

نام كتاب: المعيار و الموازنة فى فضائل الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليهما

نويسنده: ابو جعفر محمد بن عبد الله اسكافى

وفات: ٢٤٠ ق

تعداد جلد واقعى: ١

زبان: عربى

موضوع: أمير المؤمنين عليه السلام

مكان نشر: بيروت

سال چاپ: ١٤٠٢ ق

نوبت چاپ: اول

ص: ٤

[المدخل]

قال البلخى: الإسكافى هو أبو جعفر محمد بن عبد الله. و أصله من سمرقند. و كان عجيب الشأن فى العلم و الذكاء و المعرفة و صيانة النفس و نيل الهمة و النزاهة عن الأدناس. بلغ فى مقدار عمره ما لم يبلغه أحد من نظرائه. و كان المعتصم قد أعجب به إعجابا شديدا، فقدّمه و وسّع عليه. و بلغنى أنه كان إذا تكلم أصغى إليه و سكت [جميع] من [كان] فى المجلس فلم ينطقوا بحرف، حتى إذا فرغ نظر المعتصم إليهم و قال: من يذهب عن هذا الكلام و البيان؟ و كان يقول له يا محمد: اعرض هذا المذهب على الموالى، فمن أبى منهم فعرّفى خبره لأفعل به و أفعل.

و مات الإسكافى سنة أربعين، فلما بلغ محمد بن عيسى برغوث موته سجد فمات بعده بستة أشهر.

و كان الإسكافى أولا خياطا، و كان أبوه و أمّه يمنعانه من الاختلاف فى طلب الكلام، و يأمرانه بلزوم الكسب، فضمّه جعفر بن حرب إليه، و كان يبعث إلى أمّه فى كل شهر عشرين درهما بدلا من كسبه.

و له من الكتب: كتاب اللطيف، كتاب البدل. كتاب [الردّ] على النظام، فى أن الطبعين المختلفين يفعل بهما فعلا واحدا. كتاب المقامات فى تفضيل على عليه السلام.

كتاب إثبات خلق القرآن، كتاب الرد على المشبهة. كتاب المخلوق على المجبرة. كتاب بيان المشكل على برغوث. كتاب التمويه نقض كتاب حفص. كتاب النقض لكتاب [أبى] الحسين النجار. كتاب الرد على من أنكر خلق القرآن. كتاب الشرح لأقاويل المجبرة. كتاب إبطال قول من قال بتعذيب الأطفال. كتاب جمل قول أهل الحق.

كتاب النعيم. كتاب ما اختلف فيه المتكلمون. كتاب [الرد] على [أبي] حسين في الاستطاعة. كتاب فضائل عليّ عليه السّلام. كتاب الأشربة. كتاب العطب. كتاب [الرد] على هشام كتاب نقض كتاب ابن شبيب في الوعيد).

و أيضا ذكر ابن النعيم في عنوان ابن الاسكافي « من المقالة المشار إليها بعد ترجمة الإسكافي بلا فصل ما نصّه:

(ابن الإسكافي) هو أبو القاسم جعفر بن محمد الإسكافي. و كان كاتباً بليغاً. و ردّ إليه المعتصم أحد دواوينه و تجاوز كثيراً من الكتاب. و له من الكتب: كتاب المعيار و الموازنة في الإمامة).

ص: ٥

المقدّمة في التنويه بشخصية المصنف و تعريف كتاب المعيار و الموازنة

أما المصنف فهو أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي محامى العظمة العلوية في القرن الثالث و دولة المبطلين و شوكة المنحرفين عن عليّ و أهل بيته الطاهرين!!! و محامات هذا الرجل عن أعظم شخصية بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و دفاعه عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في عصر اهتضام محبيه و شوكة معانديه من أفخر معاليه و أعلى مفاخره و جهات مجده و شخصيته، إذ كل عاقل سلمت فطرته عن الانحراف، يدرك أن لجنس البشر و أبناء آدم محامد و معالي و أن من أجلّها التزامهم بالحق و الصواب و استقامتهم عليه، و انه كلما كان الالتزام بالحق و الاستقامة عليه و الدوران معه أصعب يكون شأن الملتزمين به و المستقيمين عليه أعظم و أشرف و أجلّ من غيرهم ممن يلازم الحق في دولة الحق أو فيما إذا كان المحقّقون في فسحة و رخاء و حرية في سلوك طريق الحق و القيام بلوازمه. و لهذه الجهة و العلة شرف و فضّل المهاجرون الأولون و البديون من أصحاب رسول الله - الذين استقاموا على إيمانهم و لوازمه - على غيرهم ممن آمن برسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم بعدهم حينما حصلت لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و للمسلمين قوة و شوكة و عزة و منعة و جمع و عتاد و عدّة و عدة.

و لا ريب أيضاً أن التحلى بهذه الكرامة العظيمة من أجلّ معرفات الرجال و إليه أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الكلام المشهور المنسوب إليه: و أما المحقّقون فيعرفون الرجال بالحق لا الحق بالرجال.

فمن أراد أن يعرف الخبيث من البشر من طيّبه و الصحيح منهم من السقيم و الجيّد من الرديء فليطلبها من هذا الطريق فإنه من أوضح سبلها و أسدّ محجّتها سواء كان المطلوب معرفته ممن يعاصر الطالب و يكون من الأحياء المرزوقين، أو كان من السلف الماضين ممن أباده الحدثان و لكن خلف بنحو القطع و اليقين للمتأخّرين الطالبين بعرفانه من محامد

ص: ٦

السجايا و كرائم الأخلاق - أو أضدادهما - مما اكتسبت يده أو ضمّت عليه جوانحه و حشايه أقوالاً و أفعالاً و عقائداً و أنظارا.

و بما تقدم تجلّى سهولة معرفة أبي جعفر الإسكافي و من كان على شاكلته ممن بقى منه بنحو القطع شيء من نزعاته و معتقداته و حصيلة أعماله مما كان يدور عليه و يدافع عنه بتمام القوى و الطاقات و الإمكانات فإن النواصب لأجل تركيز

مكابراتهم فى قلوب الناس و تسجيل أباطيلهم فى نفوس السذج و الغفلة من المسلمين - و هم السواد الأعظم منهم - و إن حالوا بين أبى جعفر الإسكافى و أمثاله و بين الحرية، و سلبوهم بمعونة أمراء الجور مواد الطاقات و الإمكانيات و سدّوا عليهم ساحات الفعالية و الكرّ و الفرّ، و سبل التحرك نحو الأهداف، و من أجلها لم يتمكن أمثال أبى جعفر ممن كان عنده لمحات من الحقائق و قبسات من لوامع العقائد أن يبلّغوا الناس و يبيّنوا فيهم ما عندهم من أنوار الحق و الحقيقة، و أن يسعوا فى تصفية الرشد من الغى و إذاعة الحقائق و نشرها بين الناس.

و لهذا حرم أكثر الناس عن أكثر الحقائق الموجودة عند أمثال أبى جعفر مما كان لا يلائم أهداف النواصب و أتباع الشجرة الملعونة فى القرآن.

و كما حرم معاصروا أبى جعفر عن نبيل الحقائق الموجودة عنده حرم المتأخرون عنهم أيضا منها، و كان حرمان المتأخرين أكثر من حرمان معاصرى المصنف و ذلك للحصر الجدّى الذى فرضه النواصب و أعداء أهل البيت و أرباب السلطة على أبى جعفر و أمثاله و على صدّ الناس عنهم، و لشدة اهتمامهم على إتلاف آثار هؤلاء و تمزيقها و تحريقها و محوها عن صفحة الوجود.

و لكن الله تعالى لحكمته البالغة و ليحق الحق بكلماته و يبطل الباطل، و لإنجازه تعالى وعده فى قوله تبارك و تعالى: «إن الله لا يضيع عَمَلٌ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى» ما أراد أن تتمحى جميع آثار أبى جعفر و أمثاله عن صفحة الوجود، بل أراد أن تحفظ بعض آثاره و معرفاته مكافاة له على ما قام به من الحق.

و من جملة ما أراد الله تعالى بقاءه من آثار أبى جعفر هو ردّه على عثمانىة ممسوخ آل عثمان الجاحظ، و هذا الرد و إن لم يصل إلينا بكامله، و لكن هذا القدر الذى رواه ابن أبى الحديد عنه فى شرح نهج البلاغة الذى يعدّ غرفة من نهر و قبسا من مشعل النور

ص:٧

يكفى لتوجه العقلاء إلى عظمة هذا الرجل و استقامته على ما عرفه من الحق و وصل إليه من الحقيقة.

و إذا لاحظنا عصر المؤلف و استفحال الانحراف عن أهل البيت فيه، و تكالب الناس على الدنيا و تقريبهم إلى أرباب السلطة من ظلمة بنى العباس يتجلى لنا سمو مقام المؤلف و أنه من نواذر الدهر حيث آثر الحق و الحقيقة على الدنيا و حظوظها و لم يجنح إلى أهل الدنيا و الزخارف الدنيوية، و لم يركن إلى أرباب السلطة و الذين استولوا على العباد و البلاد ظلما و زورا و نهبوا ثروة الناس و هضموا حقوق الضعفاء و المساكين، و قتلوا و حبسوا و شردوا المعترفين بالحق و الصواب.

و إذا تأملنا بالدقة حال أكثر المشايخ و الأدباء و أصناف العلماء فى حال عصر المصنّف و تلونهم فى دينهم و جعلهم الدين و التظاهر به وسيلة للتقرب إلى الظلمة و الطواغيت ينكشف لنا علوّ نفسيّة المؤلف.

و من أراد أن يعرف جليا رفعة شخصية المصنف و جلالته من باب تعرف الأشياء بأضدادها و أشكالها يكفيه ملاحظة تكالب أكثر معاصرى المؤلف على الدنيا و خسة نزعتهم و توغلهم فى اللؤم و الدّناءة، و اتّباعهم خطوات الشياطين.

و ليلاحظ حال ممسوخ آل عثمان عمرو بن بحر الجاحظ من معاصري المصنف فإنه لتوغله في إشباع غرائزه الشهوانية و أمنياته الشيطانية، و تقرّبه إلى فراعنة عصره و تراكضه في ميادين الضلالة مرّة يصنف كتاب العثمانية و مسائلها، و أخرى يكتب كتابا في إمامة المروانية و الشجرة الملعونة في القرآن.

و تارة يؤلف كتابا في إمامة ولد العباس، و هلمّ جرّاً حول تأليفه في المتناقضات و انتصاره للمتباينات «١».

(١) و المحكى عن ابن قتيبة في كتاب تأويل مختلف الحديث ص ٥٩ أنّه قال في شأن الجاحظ:

تجده يحتج مرة للعثمانية على الرفض، و مرة للزيدية على العثمانية و أهل السنة. و مرة يفضل عليا رضى الله عنه.

و مرة يؤخره و يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم. و يتبعه: قال الجمار. و قال إسماعيل بن غزوان:

كذا و كذا من الفواحش.

و يجلّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم عن أن يذكر في كتاب ذكرنا فيه فكيف في ورقة أو بعد سطر أو سطرين!! و يعمل كتابا يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين. فإذا صار إلى الرد عليهم تجوز في الحجة كأنه إنما أراد

ص:٨

هذا طريق معرفة المصنف بمقايسته مع أشكاله و أضداده و بملاحظة بعض ما بقى من تأليفاته و آثاره و معونة ما علم منه من نزعه و استقامته عليها بلا تزحزح و تردد.

و قد قلنا: إن معرفة الأشخاص من هذا الطريق من أسدّ أنحاء المعرفة و أتقنها.

و أما معرفته من طريق كتب النسب و التراجم فلا تخلو من إجمال و غموض، و ذلك من أجل انقراض المعتزلة و أكثر آثارها من صفحة الوجود و عدم وجود كتاب كامل منهم في فن النسب و الرجال يشرح حال سلفها و يفصّل ترجمة رجالها و أكابرها.

و أما ما دونه الأشعريون في فن التراجم و النسب فغير مقنع و لا واف لمعرفة المصنّف و أمثاله، و ذلك لتحقيق التنافر الشديد و العداوة الأكيدة بين المعتزلة و الأشعرية، و من الواضحات أنه قلما يوجد عدوّ يشرح حال عدوّه على ما هو عليه و يذكر محاسنه و مكارمه، على ما ينبغى إذ شأن العداوة و المعتاد من المتعاضدين كراحتهم ذكر عدوّهم و أحيانا لو جرى بمناسبة ما ذكره على لسانهم يذكرونه بما يشوه منظره و يحطّ من شخصيته، و بشتى الأكاذيب و الخزعبلات يدنسون ساحته، فلا ينتظر من المعتاد من الناس الصدق و حسن القول في عدوّهم، غاية ما يتوقّع من العدو إذا كان رزينا و مقدّرا للصدق و مبغضا للكذب أن لا يفترى على عدوّه شيئا و لا ينسب إليه سوءا بالبهتان، و أما نشر محاسنه و بثّ محامده و كريم سجايه فلا، إلا أن يكون اشتغال عدوّه على المكارم و تحليّه بالعظمة و الجلال أمرا واضحا لا يشوبه ريب و لا يختلجه شك و شبهة بحيث إذا أنكره أحد أو تردّد فيه شخص يعدّ تردّده مكابرة و يؤول إنكاره إلى ضعفه و نقص ما يهدفه و يتطلّبه كما هو الشأن في مناقب الإمام على بن أبى طالب عليه السلام المروية من طريق شيعة آل أبى سفيان!!!

و كيفما كان؛ فيما أن ذكر ما قالوه في ترجمة المؤلف غير خال عن فوائد فنحن نذكر هاهنا ما ظفرنا عليه مما ذكروه في ترجمته فنقول:

تنبيههم على ما لا يعرفون و تشكيك الضعفة من المسلمين.

و تجده يقصد في كتبه للمضاحيك و العبث. يريد بذلك استمالة الأحداث و شراب النبيذ.

و يستهزئ من الحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم كذكره كبد الحوت و قرن الشيطان. و ذكر الحجر الأسود و أنه كان أبيض فسوّه المشركون. و قد كان يجب أن يبيّضه المسلمون حين أسلموا.

و يذكر الصحيفة التي كان فيها المنزل في الرضاع تحت سرير عائشة فأكلتها الشاة ...

و هو - مع هذا - من أكذب الأمة و أوضعهم لحديث و أنصرهم لباطل ...

ص: ٩

قال الخطيب البغدادي في ترجمة المؤلف تحت الرقم: (٢٩٢٩) من تاريخ بغداد: ج ٥ ص ٤١٦:

محمد بن عبد الله أبو جعفر المعروف بالإسكافي أحد المتكلمين من معتزلة البغداديين.

له تصانيف معروفة «١» و كان الحسين بن عليّ [بن يزيد] الكرابيسي [صاحب الشافعي] يتكلم معه و يناظره.

و بلغني أنه مات في سنة أربعين و مائتين.

أقول: و قريبا منه ذكره أيضا السمعاني في مادة: «الإسكاف» من كتاب الأنساب:

ج ١، ص ٢٣٥ ط الهند.

و ذكره أيضا الياقوت الحموي في عنوان: «إسكاف» من كتاب معجم البلدان:

ج ١، ص ١٨١، ط بيروت.

و المحكيّ عن قاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي المترجم في الرسالة المستطرفة ص ١٢٠، و تحت الرقم (١) من تاريخ بغداد: ج ١١، ص ١٣، انه قال في شأن المؤلف:

كان أبو جعفر فاضلا عالما و صنّف سبعين كتابا في علم الكلام «٢».

و قال ابن أبي الحديد فى شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة: ج ٤ ص ٦٣ طبع الحديث بمصر، ما حصله: كان شيخنا أبو جعفر الإسكافى رحمه الله تعالى من المتحققين بموالاته علىّ عليه السلام و المبالغين فى تفضيله: و إن كان القول بالتفضيل عامّا شائعاً فى البغداديين من أصحابنا كافة إلّا أن أبا جعفر أشدهم فى ذلك قولاً و أخلصهم فيه اعتقاداً ...

و قريباً منه مع خصوصيات زائدة ذكره أيضاً فى شرح المختار: (٥٤) من الباب

(١) المستفاد من هذا التعبير أن كتب المصنف كانت معروفة فى عصر الخطيب أى بعد وفاة المصنف بمأتى و عشرين سنة.

(٢) صريح هذا الكلام أن السبعين من الكتب كله فى علم الكلام، و هل له تأليف فى غير علم الكلام من الفنون الإسلامية أم لا؟ كلام قاضى القضاة ساكت عنه، كما انه ساكت عن تسمية الكتب السبعين.

ص: ١٠

الثانى من نهج البلاغة: ج ١٧، ص ١٣٢، طبع الحديث بمصر؛ قال:

و أما أبو جعفر الإسكافى و هو شيخنا محمد بن عبد الله [فقد] عدّه قاضى القضاة فى الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة مع عبّاد بن سليمان الصيمرى، و مع زرقان، و مع عيسى بن الهيثم الصوفى.

و جعل أول الطبقة ثمانية بن أشرس أبا معن، ثم أبا عثمان الجاحظ ثم أبا موسى عيسى بن صبيح المردار ثم أبا عمران يونس بن عمران، ثم محمد بن شبيب، ثم محمد ابن إسماعيل ابن العسكرى، ثم عبد الكريم بن نوح العسكرى، ثم أبا يعقوب يوسف ابن عبد الله الشحام، ثم أبا الحسين الصالحى، ثم جعفر بن جرير، و جعفر بن ميسّر، ثم أبا عمران بن النقاش، ثم أبا سعيد أحمد بن سعيد الأسدى، ثم عبّاد بن سليمان، ثم أبا جعفر الإسكافى هذا.

و قال [قاضى القضاة]: كان أبو جعفر فاضلاً عالماً و صنّف سبعين كتاباً فى علم الكلام.

و هو الذى نقض كتاب العثمانية علىّ أبى عثمان الجاحظ فى حياته، و دخل الجاحظ الوراقين ببغداد فقال: من هذا الغلام السوادى الذى بلغنى أنه تعرض لنقض كتابى؟

و أبو جعفر جالس فاختنى منه حتى لم يره. و كان أبو جعفر يقول: بالتفضيل على قاعدة معتزلة بغداد و يبالغ فى ذلك، و كان علوى الرأى محققاً منصفاً قليل العصبية.

و قد ذكره أيضاً المسعودى فى عنوان: «ذكر الدولة العباسية و لمع من أخبار مروان [الحمار] و مقتله» من كتاب مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٥٣ ط مصر فى سنة ١٣٨٤، عند تعرضه لمجون عمرو بن بحر الجاحظ و تصنيفه فى المتناقضات و انتصاره للمتباينات ككتابه فى إمامة ولد العباس و كتابه فى إمامة المروانية و كتاب العثمانية و مسائل العثمانية، قال:

و قد نقضت عليه [أى على الجاحظ] ما ذكرنا من كتبه ككتاب العثمانية و غيره.

و قد نقضها [أيضا] جماعة من متكلمي الشيعة كأبي عيسى الوراق و الحسن بن

ص: ١١

موسى النخعي «١» و غيرهما من الشيعة ممن ذكر ذلك فى كتبه فى الإمامة مجتمعا و مفترقا.

و قد نقض على الجاحظ كتاب العثمانية أيضا رجل من شيوخ البغداديين و رؤسائهم و أهل الزهد و الديانة منهم - ممن يذهب إلى تفضيل عليّ و القول بإمامة المفضول - و هو أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافى، و كانت وفاته سنة أربعين و مائتين، و فيها مات أحمد بن حنبل.

أقول: هذا ما تيسّر لى عاجلا حول ترجمة المؤلف و شخصيته و أما كتاب المعيار و الموازنة هذا فإن أول ما فزت بمشاهدته كان فى أواسط شهر شوال المكرم من سنة (١٣٩٩) الهجرية عند ما زرت بعض الأجلّة و أنا كليل الفكر حسير البصر و قد وهن العظم منى و فترت الأعصاب؛ و لم أكن على عدّة و عدّة؛ أرى أبواب المضى فى الخيرات مغلقة، و طرق سلوك المعالى و المكارم مسدودة، أرى نفسى عاجزة عن كل تدبير، و لكن بمجرد ما تصفحت و قرأت أوراقا من الكتاب كأن الله نفخ الروح فى بدنى و قوى الفتير فى عظامى و أعصابى فاستنسخته فى طول أيام و ليالى ثم قابلت مخطوطى مع الأصل المأخوذ منه و أخذته معى إلى لبنان برجاء أن يفتح الله لنا بابا إلى نشره و طبعه.

و من أجل أنى كنت حينئذ على جناح سفر ضرورى، و كنت أرى بحسب الموازين العادية أنى غير متمكن من نشر هذا الكتاب فى زمن قريب لم أوفق للبحث الكافى عن خصوصيات النسخة، ثم التفتيش فى مظانه من التراجم و الكتب المدوّنة فى أسماء الكتب و الفنون حول اسم الكتاب و نسبته إلى المؤلف.

و الذى أتذكر قطعيّا من النسخة أنها كانت بخط نسخ جميل مشتملة على أغلاط إملائية كثيرة مع بلاغات مندرجة فى هوامشها، و كان فى آخر و ختامها توقيعات من

(١) كذا.

ص: ١٢

أكابر اليمنيين الذين فازوا بمطالعتها.

و أما صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف و كونه من تأليف الإسكافى فإنى أراه أمرا واقعيا نعم بيان كتاب نقض العثمانية و عباراته أعذب من عبارات هذا الكتاب، و لعلّ هذا الفرق ناشئ من جهة زمان تأليف الكتابين بأن يكون تأليف هذا الكتاب من أوائل تأليفات المصنف، و كتاب النقض من أواخر تأليفاته، أو من جهة كون هذا مسودة المؤلف و لم يبيّضه و كون كتاب النقض مبيّضته؟!!!.

و لعلّ الله أن يوفقنا فى الطبعة الثانية لإقامة شواهد آخر لصحة نسبة الكتاب إلى المؤلف.

مع أن إثبات هذا الامر وإقامة شواهد قطعية على كون الكتاب من تأليف الإسكافي لا يترتب عليه كثير فائدة، و عدم إنباته و تعذر الحصول على قرائن مقنعة لصحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه لا يوجب فوات استنتاج كبير، و خسارة متطلبات و فيرة، إذ الكتاب في أكثر ما يتضمنه مشتمل على حقائق متخذة من القرآن الكريم و نصوص رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم القطعية و سيرة الإمام أمير المؤمنين المتألفة، ساقها مؤلف الكتاب على أسلوب رصين و بيان و جيز لإثبات أفضلية الإمام أمير المؤمنين على جميع البشر بعد الأنبياء و الرسل بحيث يستفيد منه العامي بعاميته و صرافة طبيعته و سذاجة فكره كما يستفيد منه العالم بتعمقه و مقاييسه العلمية، فهو كتاب يتكفل بأسلوبه الحصين لإثبات حقائق و مزايا متشعبة لأعظم شخصية بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و استفادة هذا المعنى البرهاني لا يتوقف على عرفان صاحب الكتاب، و الحكمة و الحقائق البرهانية مقبولة و مأخوذة و لو لم يعرف قائلها و سائقها كما نسب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: انظر إلى ما قال و لا تنظر إلى من قال.

و الكتاب يوقظ النائم من نومته، و ينبّه الغافل من ذهوله و غفلته، و يرشد الجاهل و يقيه عن متاهته، و يهدى الضال إلى منجاته، و يعاضد العالم في متطلباته و بغيته، فخذوه بقوة و كونوا من الشاكرين، و لا يزهّدنكم فيه ضعف القرينة القائمة على صحة نسبته إلى مؤلفه، فإن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها و حيثما ظفر بها أخذها، و الكتاب

ص: ١٣

في أكثر مطالبه حكم و حقائق رصينة فخذوها فإنها للمؤمنين.

و في ختام هذه المقدمة نوصي رافعي الأعلام العلوية البيضاء و طالبي حقائق الإسلام و محققى حقوق خليفة رسول الله و باب علمه و عالم الإسلام علىّ بن أبي طالب عليه السلام أن يفتشوا عن كتب هذا الرجل و إحيائها فإنها من أهم المقدمات الموصلة إلى هذه الأهداف العالية.

و حيث ان لأسماء كتب المصنّف دخلا و ارتباطا للفحص عنها ثم اقتنائها ثم نشرها فنحن نذكر أسماء ما وصل إلينا من كتبه عفوا في أثناء فحصي لغيرها من الأهداف فنقول:

من مشهورات كتبه كتاب نقض عثمانية الجاحظ، و به عرف المتأخرون بطولة الإسكافي و أنه من نوادر ما أنتجه الدهر، و هذا الكتاب قد أكثر النقل عنه ابن أبي الحديد في تضايف شرح نهج البلاغة، و في الواقع و نفس الأمر، بواسطته عرف الناس بعده نقض العثمانية و مؤلفه، و لم نعهد من غيره أنه ينقل شيئا عن هذا الكتاب، و هو أيضا لم ينقل عنه المطالب حرفيا و متتابعا بل و زّع مطالبه في شرح النهج بحسب مناسبتها لشرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام و قد أشبع الكلام بالنقل عنه في شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة: ج ٤ ص ٦٣ و ما بعدها من طبع الحديث بمصر، و كذلك في أواخر شرح الخطبة القاصعة و هو المختار: (٢٣٨) من نهج البلاغة: ج ١٣، ص ٢١٩ - ٢٩٦.

و استقصى محمد هارون المصرى ما رواه عنه ابن أبي الحديد و فرقه في شرحه على نهج البلاغة فجمعه و طبعه في آخر كتاب العثمانية ط مصر، فجراه الله خيرا بما صنع.

و من جملة كتبه كتاب «التفضيل» و قد نسب هذا الكتاب إلى المؤلف ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة: ج ٤ ص ٧٣ طبع الجديد بمصر «١».

(١) و احتمال اتحاد هذا أى كتاب التفضيل مع المعيار و الموازنة غير بعيد.

ص:١٤

و من جملة كتبه كتاب المقامات فى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ذكره و نسبه إلى المؤلف السيد الرضى رفع الله مقامه فى صدر المختار: (٥٤) من الباب الثانى من نهج البلاغة.

هذا تمام ما عثرت عليه عاجلا من أسماء كتب المصنف فمن دلنى على مظان وجودها أو غيرها من بقية كتبه فله علىّ مائة تومان.

و من أهدى إلىّ كتابا من كتب المؤلف فله علىّ بإزاء كل صفحة تومان، إضافة إلى إهدائي إليه مجلدا من تأليفتي أو تحقيقاتي المنشورة و ما عند الله له من الأجر أعظم و أجزل و من صور لى كتابا من كتب المؤلف يكون قريبا من مائتى صفحة و أهدى إلىّ فله علىّ خمسمائة تومان و دورة كاملة من كتاب نهج السعادة فى ثمان مجلدات.

و من صور كتابا من مخطوطات المصنف و أهدها إلىّ بحيث يكون قريبا من خمسمائة صحيفة فله علىّ ألف تومان و دورة كاملة من منشوراتى و هى عشرون مجلدا من نفائس الكتب.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ص:١٥

بسم الله الرحمن الرحيم / ٢ / و به ثقتى الحمد لله رب العالمين [الذى] ليس كمثله شىء و هو السميع البصير، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و على جميع المرسلين.

و بعد، فإن الله قد عظم حق أوليائه و وصل محبتهم بمحبته و ولايتهم بولايته فمحبتهم علينا واجبة على قدر تفاضلهم فى طاعته إذ جرى حكمه بأن الحب فيه من أفضل ما يتقرب به إليه، فقد عظم حرمة نبيّه و حرمة وصيّه و حرمة المؤمن من أعظم الحرم، إذ عظم حرمة ماله «١» و دمه و نفسه، و أمر [با] لاستغفار له و القيام بنصرته.

فمن وصل ذلك من الله بمعرفة أوليائه و [البراءة] من أعدائه، كملت معرفته و وجب له العصمة بإصابة الولاية من الله.

و من قطع ذلك من الله أفعدته جهالته و لم تتم معرفته و ثوته قلّة «٢» عمله عن استكمال

(١) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «من أعظم الحرمة إذ عظم حرم ماله

(٢) كذا فى ظاهر رسم الخط. فإن صحّ فمعناه أقامته أو عوّقته قلّة عمله عن استكمال طاعة الله.

و كلام المصنف هذا مقتبس من آثار كثيرة من محكمات الشريعة؛ ألصقها بالمقام ما رواه السيد الرضى رحمه الله فى المختار: (١٦٤) من نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «و فضل [الله] حرمة المسلم على الحرم كلها و شد بالإخلاص و التوحيد حقوق المسلمين فى معاقدها، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده إلا بالحق...».

ص:١٦

الطاعة، و دخل فى حزب أهل الضلالة، و فى ذلك يقول الله: قل مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ [٩٨/ البقرة: ٢].

و قال: الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ [٦٧/ الزخرف: ٤٣].

و قال: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [١٠/ الحجرات: ٤٩].

و قال: لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ [١٣/ المجادلة: ٥٨] فرزقنا الله و إياكم الاعتصام بحبله و القيام بحقه فى ولاية أوليائه و معاداة أعدائه فإنه يقول: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ الْآيَةُ ٢٢ [المجادلة: ٥٨].

و نحن بعد الثناء على ربنا و الصلاة على نبيّنا مبتدئون فيما سألتهم عنه من الجواب فيما وقع فيه الناس من الاختلاف فى الصحابة و إبانة الحقّ و كشف [الصواب فى] ما ذهبوا إليه بما فيه الشفاء و السلامة و القوة بالله.

ص:١٧

[كان سبب انحراف الناس عن علىّ هو الحقد و الضغينة، و العداوة الطائفية، و الحمية الجاهلية]

. ثم اعلّموا- سلّمكم الله من الهلكة و أيدكم بالاستقامة و الصواب فى المقالة - انّ هذا باب قد كثر قول القائلين فيه و طال اختلافهم و تشعبت أهواؤهم و توغّرت من أجله صدورهم و اختلفت فيه ائتلافهم «١» و ذلك لأنّ أوله كان على الضغن و العداوة و العصبية و الحمية، و لم يكن القول فيه على طريق الخطأ من أجل شبهة دخلت أو لبس حدث فاتصلت أسبابه على ذلك و انتشعبت فروعه على حسب ما ذكرنا [ه] من حدوث أصوله فزرعت فى القلوب الهوى و الميل، فتكلم كل إنسان على قدر هواه و ميله و ما سبق إلى قلبه فنصر رأيه و ناظر فى تقوية قوله، فتأهوا على طول الأيام و الفوا الخطأ و الضلال و تعدى ذلك إلى العوام من النساء و الرجال فعظم فيه الخطب و كثر القيل و القال و توارثوا تلك الأضغان و الأحقاد حتى ظلّ الراجع عن خطائهم المبين لرشده منهم «٢» مشتموا قد نبذوه بالألقاب و رموه بالبدعة و الضلال! و حتى أن الجماعة قد [كانت] تجتمع فيتناظرون فى أبواب الاختلاف و فنون من الكلام فيصغى المستمعون و يتكلم المتكلمون على سبيل إنصاف و طريق حسن حتى إذا شرعوا فى الكلام فى هذا الباب كثر شغفهم و تكلم ساكتهم و ارتفعت أصواتهم و عظم لغظهم، و انقلبوا عن طبعهم، و تجبروا فى مقالهم، و أحالوا فى أنفسهم مقالهم، لشدة ما دخلهم من الغضب و التعصب.

[و] هذا قد يكون [يقع] من أهل الأدب منهم و المتقدمين فى الكلام و النظر.

و قد [كان] يجرى ما وصفنا بين قوم لهم أول يدعو إلى العصبية و لا لهم تقدّم يوجب الحمية.

هذا مع قولهم: إن هذا الباب ليس الخلاف فيه بعظيم و لا الخطأ فيه بكبير و لا

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «اعتلافهم...».

(٢) الظاهر أن هذا هو الصواب، و في الأصل: «حتى ضلّ الراجع عن خطأته المبين لرشده منهم....».

ص: ١٨

القول فيه كالقول في العدل و التوحيد.

[و إنما مهّدنا ذلك] لتعلموا أن آفة القوم فيه واحدة، و أن العلة فيه قائمة.

فأما أهل الحشو / ٢ / من أصحاب الحديث «١» و سائر العوام فعندهم من التعسف في هذا الباب، و العناية به و الانكماش فيه على قدر جهلهم بأوّل و آخره و على حسب ما عندهم من قلة المعرفة بالنظر و التمييز [بين] السنة و الفريضة و الشرع إلى التقليد و القول بما دعت إليه ملوك بنى أمّية.

و ان ملوك بنى أمّية و إن كانت قد بادت فإن عامّتها و شيعتها فينا اليوم ظاهرة متعلّقة بما ورثوه من ملوكهم الطاغية و أسلافهم الباغية «٢».

(١) قال في مادة: «حتى» من كتاب تاج العروس: ج ١٠، ص ٩٠: الحشوية طائفة من المبتدعة.

(٢) و هم بعد باقون إلى عصرنا هذا و هو العام (١٤٠٠) من الهجرة النبوية، و هم يشكّلون السواد الأعظم من المسلمين!!! و مما يدل على قول أبى جعفر و يشهد بما قلناه شهادة قطعية أنه لما قال م مفخر ذرية رسول الله و العبقري من علماء علوم أهل البيت السيد الخميني أطال الله أيام بركاته ليحق الحق و يبطل الباطل و يزهق تخطيطات الطواغيت في الأجواء الإسلامية و بلاد المسلمين؛ التقى بعض المتعفلقين من طواغيت شيعة بنى أمية بآخرين منهم - كما التقى أخوالهم المشركون في عصر النبي و تجمعوا في دار الندوة ليمكروا برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم - فتشاوروا و تفاوضوا حول معارضة ابن رسول الله و إبادة أنصاره و أعوانه و القضاء على نظامه و دعوته إلى الله و رسوله و أنه لا قانون إلا قانون القرآن، و لا دين إلا دين الإسلام.

فاتفق المتعفلقون و المتأمركون من طواغيت بنى أمية و تعاضدوا و تآزروا على محاربة الداعي إلى الله و رسوله و القائم بالحق من ذرية رسول الله السيد الخميني أعلى الله كلمته.

و بعد ما فرغ المجرمون من عهودهم و موافيقهم على التعاون على الإثم و العدوان و الكفر و الطغيان، تحرّك ابن اخت أبى جهل إلى مواطن أبطال الإسلام و أبناء أبى ذر و عمار و سلمان، فهجم عليه بخيله و رجله و هم غافلون برا و بحرا و جوا و قتلوا كثيرا من عجرة المؤمنين الأطهال و النساء و الشبية و دمروا كثيرا من بيوتهم بالقنابل و الصواريخ و القذائف و المسلمون - إلا من عصمه الله - بين معاضد لهم و ساكت!!! و عمل هؤلاء و صنعهم هذا من القرائن الملموسة على أن

شيعة بنى أمية و من على نزعته في كل بن نصر سعون في إطفاء الحق و استئصال المحقين و إحياء الباطل و تعزيز المبطلين؛ و أن معارضتهم للحق و الحقيقة ممتدة من عصر النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلى عصرنا هذا.

ص: ١٩

فبلغ من عنايتهم بخطتهم في هذا الباب أن أخذوا معلّمهم «١» بتعليم الصبيان في الكتاتيب لينشئوا عليه صغيرهم و لا يخرج من قلب كبيرهم و جعلوا لذلك رسالة يتدارسونها بينهم و يكتب لهم مبتدأ الأئمة أبو بكر بن أبي قحافة «٢» و عمر بن الخطاب و عثمان ابن عفان و معاوية بن أبي سفيان، حتى أن أكثر العامة منهم ما يعرف على بن أبي طالب و لا نسبه، و لا يجري على لسان أحد منهم ذكره.

و مما يؤكد هذا ما يؤثر عن محمد بن الحنفية [عن] يوم الجمل، قال: حملت على رجل فلما غشيته برمحي، قال: أنا على دين عمر بن أبي طالب!!! قال: فعلت أنه يريد عليا!!! فأمسكت عنه «٣».

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل: الذي أخذوا ...

(٢) هذا هو الظاهر. و في الأصل: «أبي بكر بن أبي قحافة

(٣) فمثل شيعة آل أبي سفيان في عرفان نسب عليّ عليه السلام في أكثر الأزمنة مثل شخص كان شهد بالكفر و نسب الزندقة إلى رجل عند جعفر بن سليمان. فقليل له بأيّ سبب. تحكم بكفره و تشهد بالزندقة عليه؟ فقال: إنّه خارجي معتزلي ناصي حروري جبري رافضي يشتم عليّ بن الخطاب و عمر بن أبي قحافة، و عثمان بن أبي طالب، و أبا بكر بن عفان؟! و يشتم الحجاج الذي كان والي الكوفة لأبي سفيان، و حارب الحسين بن معاوية يوم القطائف!!! فقال له جعفر بن سليمان: قاتلك الله ما أدرى على أيّ شيء أحسّدت؟! أعلى علمك بالأنساب؟ أم بالأديان؟ أم بالمقالات؟!!

ص: ٢٠

[أرجحية القول بتفضيل عليّ]

[أرجحية القول بتفضيل عليّ أتباعا لروايات أكابر الصحابة، على القول بمفضولية عليّ تقليدا لابن عمر؛ ثم نقض رواية المنحرفين عن عليّ بعلّة تكلم نذر يسير من ضعفاء الصحابة فيه، بمردودية قولهم بتقريض جمّ غفير من عظماء الصحابة إيّاه. ثم معارضتهم بأن من تكلم من أعظم الصحابة في عثمان كان أكثر ممن تكلم في عليّ عليه السلام من أصاغر الصحابة فما بال المنحرفين لم يتأثروا بكلام أشراف الصحابة في عثمان، و تأثروا بكلام الأندال في عليّ عليه السلام؟!!!].

و مما يدلّك [عليّ] أن العامة مخدوعة متحيرة بفقد العلم و المعرفة، مغرورة في هذا الباب. أنهم جميعا يشهدون أن أبا بكر أفضل من عمر و يسندون تفضيل أبي بكر على عليّ إلى [حديث] عبد الله بن عمر «٤» فيقلّدونه الخبر.

و قد جاءهم الإسناد في تفضيل عليّ و تقديمه [على كافة الناس] عن محمد بن أبي بكر و سلمان و عمار بن ياسر، و ما كان من شهرة قيامهم مع عليّ بن أبي طالب.

فلم يلتفتوا إلى ذلك.

فإن كانوا مالوا إلى تصديق عبد الله بن عمر لأنه أفضل وأبعد وأخير - وإن لم يكن عندنا على ذلك - فتقليد على بن أبي طالب و من ذكرنا [ه] أولى لأنه خير من عبد الله بن عمر وأفضل لا يشكون في ذلك ولا يمترون.

(٤) و هو قوله: كنّا نقول على عهد رسول الله: خير الناس رسول الله ثم أبو بكر ثم عمر ...

وانظر الحديث و نقده تحت الرقم: (٢٨٣) و تواليه من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ١. ص ٢٤٣ ط ٢.

ص: ٢١

و إن كانوا مالوا إلى عبد الله بن عمر لأن أباه كان إماما فاضلا، فالميل إلى محمد بن أبي بكر أوجب لتقديمهم لأبي بكر على عمر و تفضيلهم إياه [عليه] و لا أجد لهم في ذلك علة يوجبها التمييز و النظر غير ما ذكرنا [ه] من الخديعة و تقليد الخير.

و أبين من هذا في جهل الأنعام الضالة و الحمر المستنفرة أن عائشة عندهم في أزواج النبي صلى الله عليه أشهر و هي عندهم أفضل من بنت أبي سفيان، و أكثر في الشهرة و المعرفة، فإذا ذكر [أحد] معاوية بسوء غضبوا و أنكروا و لعنوا [من ذكره بسوء] و علّتهم أنه خال المؤمنين!! و إذا ذكر محمد بن أبي بكر بسوء رضوا و أمسكوا و مالوا مع ذاكره؛ و خولته ظاهرة بآئنة.

و قد نفرت قلوبهم من علي بن أبي طالب لأنه حارب معاوية و قاتله، و سكنت قلوبهم عند قتل عمار و محمد بن أبي بكر و له حرمة الخولة، و هو أفضل من معاوية و أبوه خير من أبي معاوية.

[فتدبروا فيما ذكرناه] لتعلموا أن علة القوم الخديعة و الجهالة و إلا فما بالهم لا يستنكرون قتل محمد بن أبي بكر، و لا يذكرون خولته للمؤمنين؟ قاتلهم الله أنى يؤفكون.

و قد مالوا عن إمامة علي بن أبي طالب و ضعفوها، و بعضهم نفاها بما كان من خلاف عائشة و طلحة و الزبير، و قعود ابن عمر و محمد بن مسلمة و أسامة بن زيد، و هؤلاء نفر الذين أوجبوا الشك في علي عندهم و ضعفوا إمامته بقولهم [هم]، الذين طعنوا على عثمان و آلبوا عليه و ذكروه بالتبديل و الاستيثار، [و] أولهم [بأدرة عليه كانت] عائشة [كانت] تخرج إليه قميص رسول الله و هو على المنبر و تقول: يا عثمان هذا قميص رسول الله صلى الله عليه لم يبل و قد أبلت سنته «١».

فو الله ما قدح الشك في قلوبهم في عثمان بقولهم و لا قصروا عن تفضيله / ٤ / و تقديمه

(١) تجد جمرات متوقّدة من صياح أم المؤمنين عائشة على عثمان في الغدير: ج ٩ ص ٧٨ و تواليها.

بطعنهم ولا أثر ذلك في صدورهم!! وعللهم في استنكارهم على عثمان مأثورة مذكورة مشهورة.

فلما قعدوا عن عليّ جعلتم قعودهم حجة و طعنهم علة [ظ] في الشك و التنقيص و صرف الإمامة عنه، من غير أن يذكروا علة تبديل و لا استيثار و لا تغيير أكثر من نكتهم و طعنهم.

و قد رويتم أن عثمان نفى أبا ذرّ، و قد عرفتم تقدم أبي ذرّ «١» و سابقته، و [أقررتهم] ما صنع [عثمان] بآبن مسعود و غيره من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه «٢».

و لا تجدون أحدا مدّ عليّ بن أبي طالب إليه يده قبل أن يبدأه بالبغي و الخلاف، و لا ذكر عنه استيثار و لا خيانة و لا خطأ وجدوه عليه.

على أنا نوجدكم لكل من ذكرتم معارضين في دعواهم مخطئين لهم في خلافهم و قعودهم.

أما عائشة فقد عارضتها أم سلمة بالخلاف عليها و التخطئة لها بحجج أوردها لم تستطع إنكارها.

و أمّا عبد الله بن عمر فقد عارضه عبد الله بن عباس و هو أكبر منه علما و فضلا.

و أمّا طلحة و الزبير فقد أقرأ بالبيعة، و نكتا و هما أول من بايع [عليّا عليه السلام].

و أمّا محمد بن مسلمة فأكبر منه سلمان.

و أمّا أسامة بن زيد فأفضل منه عمّار بن ياسر.

فلم ملتّم مع من ذكرنا و قد عارضهم من وصفنا؟

(١) و القصة من ضروريات فنّ التاريخ، و انظر الغدير: ج ٨ ص ٢٩٢ و تواليها من ط ٣.

(٢) انظر بعض ما جرى بين عثمان و عبد الله بن مسعود و غيره من أكابر الصحابة من كتاب الغدير: ج ٩ ص ٣ و تواليها.

و زاد عليهم سبعون بدريا و سبع مائة من المهاجرين و الأنصار «١» منهم المقداد بن الأسود، و أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلّم، و أبو الهيثم ابن التيهان، و خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، و غيرهم من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم.

و كيف تمت بيعة أبى بكر عندكم بأبى عبيدة بن الجراح و عمر بن الخطاب مع خلاف سعد و امتناعه من البيعة، و خلاف الأنصار، و أبو بكر [هو] الساعى إليها و الداعى لها؟! و لم تتم بيعة علىّ بن أبى طالب بالمهاجرين و الأنصار و السابقين إلى الإيمان و هم الطالبون له و المجتمعون عليه و ليس له نظير فى زمانه يشاكله و يعادله.

أف لهذا من مقال ما أبين تناقضه و أقل حياء الدارين به!! فخلافا من لم يبايع [أبا بكر] حتى مات أكثر فى تضعيف الإمامة من خلافا من نكث البيعة و ادعى بعد الإقرار.

فإن قلت: إن الأنصار اتفقت بعد خلافتها، لا يمكنكم ادعاء ذلك فى سعد بن عباد و ما تروونه من قول سلمان «٢».

و [لا يمكنكم إنكار] إقرار طلحة و الزبير [بالبيعة لأمر المؤمنين عليه السلام ثم نكثهما بيعته بلا عذر مقبول فى الدين بل و لا عند العقلاء المستقيمين ممن لا يتدين بدين] و إن كان رجوعهما [عن بيعتهما] يدلّ [بزعمكم] على خطائهما فى بدء الأمر «٣».

(١-٢-٣) كذا فى الأصل و قال الحاكم فى أواخر ترجمة عثمان من المستدرک: ج ٣ ص ١٠٤.

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الخضر بن أبان الهاشمى، حدثنا علىّ بن قادم، حدثنا أبو إسرائيل، عن الحكم، قال:

شهد مع علىّ صفين ثمانون بدرية و خمسون و مائتان ممن بايع تحت الشجرة.

و قال فى ترجمة من الإستيعاب: ج ٢ ص ٤١٣. قال عبد الرحمن بن أبى شهاب مع علىّ صفين فى ثمان مائة ممن بايع بيعة الرضوان، قتل منهم ثلاثة و ستون منهم عمار بن ياسر.

و رواه أيضا ابن حجر فى الإصابة: ج ٤ ص ١٤٩، قال: و أسند ابن السكن من طريق جعفر بن أبى المغيرة، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصبغى. قال: شهدنا مع علىّ عليه السلام ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة، ثمان مائة نفس صفين فقتل منّا ثلاث مائة و ستون.

ص: ٢٤

و أكبر منه بكاء عائشة و ندامتها «١» و تلّهف ابن عمر على ذلك، حتى دعا ابن عمر ما استبان [له] من تقصيره إلى الغلوّ و الإفراط فى مبايعة الحجاج بن يوسف و اعتل بأنه سمع النبىّ صلى الله عليه و سلّم يقول: من مات و لا إمام له مات ميتة جاهلية «٢» فهذا يدلّ على أنّه قد اعتقد إمامة علىّ بن أبى طالب لأن من اعتقد إمامة الحجاج لم يذهب عن إمامة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه.

فما رأيت خطأ أعظم و لا تقصيرا أبين من فعل ابن عمر المغفل مع روايتكم عنه أنه قال: ما آسى إلا على ثلاث: منها انى لم أكن قاتلت هذه الفئة الباغية «٣».

(١) سنعلم قريبا أن ندامتها كانت من أجل الفشل و المغلوبية لا من جهة ارتكاب المعصية.

(٢-٣) الحديث من الحقائق الثابتة بين الشيعة و أهل السنة.

كذا في الأصل، غير أن لفظتا: «آسى - و - إلّا كانتا في الأصل مصحّقتان. و لم أجد الحديث بهذا السياق إلّا في هذا المورد، نعم إن الفقرة الأخيرة منه قد وردت عن مصادر ..

و قد رواها في أواخر ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب الإستيعاب بهامش الإصابة: ج ٣ ص ٥٣ قال:

و يروى من وجوه عن حبيب بن أبى ثابت عن ابن عمر أنّه قال: ما آسى على شيء إلّا أنّى لم أقاتل مع علىّ الفئة الباغية. ثمّ رواه بسند آخر.

و رواه أيضا البلاذرى في الحديث: (٢٠٩) من ترجمة أمير المؤمنين من أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٧٩.

قال:

حدثنا عمرو بن محمد، و الحسين بن الأسود. حدثنا عبيد الله بن موسى، أنبأنا كامل أبو العلاء:

عن حبيب بن أبى ثابت، قال: قال ابن عمر: ما أجدنى آسى على شيء من الدنيا إلّا قتالى مع الفئة الباغية.

و قريبا منه رواه الحاكم في باب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام من المستدرک: ج ٣ ص ١١٥.

و رواه أيضا ابن الأثير في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أسد الغابة: ج ٤ ص ٣٣ ط ١، و قد علّقنا الأخيرين أيضا على الحديث: (١٢١٠) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ١٧٤.

ط ١.

ص: ٢٥

[المقايسة بين ما صنعه أمير المؤمنين من الصفح و الرجاحة، و ما أتى به من تقدّمه من الخفة و الشراسة]

. و قد رويتهم من توخّى أمير المؤمنين للحقّ و تركه لإعمال الهوى و صبره على كظم الغيظ ما لا خفاء به عن [كل] ذى عقل.

بلغ عثمان أن أبا ذرّ يتكلم في الشام فسيّره إلى المدينة، و تكلم بالمدينة فنفاه إلى الريزة. و تكلم عمار فصنع به ما بلغكم، و [فعل] بآبن مسعود ما رويتهم، و تكلم سعد ابن عباد، فقال عمر: اقتلوا سعدا قتله الله، حتى عارضه قيس بمثل ما تكلم فأمسك.

[ما دار بين أمير المؤمنين عليه السلام و بين من خالفه بعد مبايعتهم إيّاه، و ما جرى بين أم المؤمنين أم سلمة و عائشة].

و تكلم طلحة و الزبير بعد البيعة فبلغ ذلك عليا فدعا بهما فأنكرا فلم يعجل عليهما و استأذناه إلى مكة فلم يحبسهما [و كان] يعمل المراقبة في أمرهما و لا يمضى على التهمة حتى ينكشف الغطاء، فلما خرجا جعل لا يلقيان أحدا إلّا قالاه: ما له علينا طاعة و لا بايعناه / ٥ / إلا مكرهين.

و انتهى الخبر إلى عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه، فتلا هذه الآية:

«إن الذين يبائعونك إنما يبائعون الله، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه

ص: ٢٤

[١٠ / الفتح: ٤٨]. ثم قال: ما العمرة يريدان و لقد أتيا نى بوجهى فاجرين و خرجا من عندى بوجهى غادرين «١» ناكثين [و الله] لا ألفاهما [بعد] إلّا فى كتيبة خشناء يقتلان فيها أنفسهما، فما خفى أمرهما عليه، و لقد أصاب الرأى فيهما و أعمل الحق فى تخليتهما حتى كشفا قناعهما، و أبرزنا صفحتهما للحق.

فأما عائشة، فقد علمتم توبتها و رجوعها «٢» و ذلك لأن الله أمرها بلزوم بيتها، و نهاها ألّا تبرّج بقوله: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» [٣٣ / الأحزاب: ٣٣] و قد وقفتها أم سلمة على ما فيه رشدّها و صلاحها، و ذكرتها وصية النّبىّ صلى الله عليه و سلم لها، و أم سلمة لم تقل ما قالت فى علىّ لقرباتها القريبة منه، و لا لهوى و ميل إليه بغير الحق، و قد كانت مخزومية غير أن الدين و التقوى و الورع و الرغبة فى الحق دعاها إلى القول بفضل علىّ و الصدع به.

(١) هذا هو الصواب الموافق لما روينا فى المختار: (٤٨) من نهج السعادة: ج ١، ص ٢٣٢ ط ١، و ما وضعناه بعد ذلك بين المعقوفات أيضا مأخوذ منه، و فى الأصل: «بوجهين فاجرين و خرجا من عندى بوجهين غادرين

(٢) القرائن حاكمة بعدم توبتها، و أنّ ندامتها كانت ندامة مغلوبة لا تائبة، منها قولها لما بلغها شهادة أمير المؤمنين عليه السلام:

فألقت عصاها و استقرّ بها النوا
كما قرّ عينا بالإياب المسافر

و انظر شرح القصّة مما ذكرناه فى ذيل المختار: (٤٥) من باب الوصايا من نهج السعادة: ج ٨ ص ٥٠٨ و منها منعها من دفن الإمام الحسن فى حجرة جدّه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم.

كما رواه ابن سعد فى الحديث: (١٧٥) من ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من الطبقات الكبرى:

ج ٨ ص ...

و رواه أيضا ابن عساكر فى الحديث: (٣٥٧) من ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من تاريخ دمشق ص ٢٢٤.

و رواه أيضا فى الحديث: (٧١) من ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من أناب الأشراف: ج ٣ ص ٦١ ط ١.

و رواه أيضا المدائنى كما فى شرح المختار: (٣١) من الباب الثانى من نهج البلاغة، من شرح ابن أبى الحديد: ج ١٦، ص ١٣، طبع الحديث بمصر.

و رواه أيضا أبو الفرج فى آخر ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من مقاتل الطالبين ص ٧٤.

ص: ٢٧

[ما خطته أم المؤمنين عائشة و نقضته أم المؤمنين أم سلمة سلام الله عليها]

. و فيما يؤثر عنها: أن عائشة لما لقيتها بمكة قالت لها: يا بنت أبى أمية كنت أول ضعينة هاجرت، و كنت كبيرة أمهات المؤمنين، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقسم لنا من بيتك، و كان جبريل أكثر شىء تعبدا فى بيتك «١».

قالت أم سلمة: يا بنت أبى بكر لأمر ما تقولين هذا القول؟! قالت عائشة: إن ابنى و ابن أختى «٢» أخبرانى أن القوم استتابوا الرجل حتى إذا تاب قتلوه - يعنى عثمان - و أخبرانى: أن ابن عامر أخبرهم أن بالبصرة مائة ألف يغضبون لقتله و يطلبون بدمه و قد خشيت أن يكون بين الناس حربا و دما، فهل لك أن أسير أنا و أنت لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا؟ قالت لها أم سلمة: يا بنت أبى بكر: أ بدم عثمان تطلبين؟ فو الله إن كنت لأشد الناس عليه و ما كنت تدعيه إلا نعثلا!! أم على على ابن أبى طالب تنقمين و قد بايعه المهاجرون و الأنصار، أذكرك الله و خمسا «٣» سمعتهن أنا و أنت من رسول الله صلى الله عليه و سلم! قالت: و ما هن؟ قالت:

[أ تذكرين] يوم أقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم و نحن معه حتى إذا هبط من «قديد» مال الناس ذات اليمين و ذات الشمال، فأقبل هو و على بن أبى طالب يتناجيان، فأقبلت على جملك [عليهما] فنهيتك، و قلت: رسول الله صلى الله عليه و سلم مع ابن عمه و لعل لهما حاجة؛ فعصيتينى، فهجمت عليهما فلم تلبثى أن رجعت تبكين، فقلت لك:

(١) و فى شرح نهج البلاغة: «و كان جبريل أكثر ما يكون فى منزلك».

(٢) و فى شرح نهج البلاغة: «إن عبد الله أخبرنى أن القوم».

(٣) و فى شرح نهج البلاغة: «فقال أم سلمة إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان و تقولين فيه أخبث القول، و ما كان اسمه عندك إلا نعثلا، و إنك لتعرفين منزلة على بن أبى طالب، أ فأزدك؟ قالت: نعم ...».

ص: ٢٨

قد نهيتك، فقلت: و الله ما جرأني على ذلك إلا أنه يومي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لك: ما أبكاك؟ فقلت: هجمت عليهما فقلت: يا علي إنما لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أيام يوم، فلا تدعني و يومي؟ فأقبل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبانا محمراً وجهه، فقال: و الله لا يبغضه أحد من أهل بيتي و غيرهم إلا خرج من الإيمان، و إنه مع الحق و الحق معه! أ تذكرين هذا؟ قالت: نعم! قالت: و يوم كنت أنا و أنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أنت تغسلين رأسه و أنا أحيس [له] حيساً «١» و كان يعجبه فرفع رأسه إلي فقال: يا بنت أبي أمية أعيذك بالله أن تكوني منبحة كلاب الحوآب، و أنت يومئذ ناكبة عن الصراط. فرفعت يدي من الحيس فقلت: أعوذ بالله و برسوله من ذلك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن إحداكن يفعل هذا «٢» أ تذكرين هذا؟ قالت: نعم! قالت: و يوم كنا أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة بنت عمر فتبذلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم و لبست كل امرأة منا ثياب صاحبها فأقبل رسول الله / ٦ / صلى الله عليه وسلم حتى جلس إلى جنبك و كنت تعجبه فقال: - و ضرب بيده على ظهرك -: أ ترين يا حميراء أني لا أعرفك إن لأمتي منك يوماً مرّاً. أ تذكرين هذا؟ قالت: نعم «٣».

قالت: و يوم كنت أنا و أنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره و كان علي يتعاهد ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم و نعله، فإذا رأى ثوبه قد توسخ

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما في شرح النهج، و في الأصل: «و أنت تغلّين رأسه و أنا أحوس حيساً و كان يعجبه ...».

(٢) و في شرح النهج: «قالت: و أذكرك أيضاً كنت أنا و أنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و أنت تغسلين رأسه و أنا أحيس له حيساً، و كان الحيس يعجبه فرفع رأسه و قال: يا ليت شعري إيتكن صاحبة الجمل الأذنّب، تنبّحها كلاب الحوآب فتكون ناكبة عن الصراط. فرفعت يدي من الحيس فقلت: أعوذ بالله و برسوله من ذلك.

ثمّ ضرب على ظهرك و قال: إياك أن تكونيها. ثمّ قال: يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها. يا حميراء أمّا أنا فقد أنذرتك».

(٣) من قوله: «قالت و يوم كنّا أزواج رسول الله - إلى قولها -: نعم» غير موجود في شرح النهج طبع مصر بدار الكتب العربية.

ص: ٢٩

غسله، و إذا رأى نعله قد نقبت أو رثت خصفها، فأقبل عليّ يوماً فأخذ نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فخصفها في ظلّ سمرة، فأقبل أبوك و عمر فاستأذنا فقمنا إلى الحجاب فدخلنا ثمّ قلنا: يا رسول الله إنا و الله ما ندرى ما قدر ما تصحبنا، أ فلا تعلمنا خليفتك فينا فيكون مفزعنا إليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمّا إنني قد أرى مكانه و لو فعلت لنفرت عنه كما نفرت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران.

فلما أن خرجا، خرجت أنا و أنت فقلت له: - و كنت جريئة عليه -: يا رسول الله من كنت مستخلفاً عليهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خاصف النعل؛ قال: فنظرت إلى عليّ بن أبي طالب فقلت: يا رسول الله ما أرى إلا عليّ بن أبي طالب.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو ذاك. أ تذكرون هذا؟ قالت: نعم «١».

قالت: و يوم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجه عند موته. فقال: يا نسائي! اتقين الله و قرن في بيوتكن و لا يستفرنكن أحد. أ تذكرون هذا؟ قالت: نعم.

فخرجت من عندها و قد ضعفت عزيمتها، و فترت عن الخروج، و أمرت مناديهما فنادى بمكة: ألا إن أم المؤمنين قد بدا لها من الخروج.

فاجتمع عليها طلحة و الزبير، و مروان بن الحكم و عبد الله بن الزبير، فقلّبوا رأيها و موّها الأمور عليها، و استغلطوها و استغلّفوها، و قالوا لها: تخرجين و تصلحين بين الناس فلعلّ الله أن يدفع بك الفتنة فهو أعظم لأجرِك؟! فردّوا رأيها و قوّوا عزمها «٢».

(١) و في أواخر باب مناقب أهل البيت من اللآلئ المصنوعة: ج ١. ص ٢١١ ط ١. شاهد لما هاهنا.

(٢) و رواه أيضا ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٧٩) من نهج البلاغة - و هو قوله عليه السلام: «معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان...»:- ج ٢ ص ٧٧ ط مصر، و في ط الحديث بمصر: ج ٦ ص ٢١٧ و رواه عنه العلامة الأميني في الغدير: ج ٢ ص ٣١٩ ط ٣.

ص: ٣٠

[كتاب أم المؤمنين أم سلمة رضوان الله عليها إلى أمير المؤمنين عند مسير طلحة و الزبير و عائشة إلى البصرة و إعلامها أمير المؤمنين بمسير القوم و بعثها ابنها عمر بن أبي سلمة لمعاودة أمير المؤمنين عليه السلام]

. فلما ساروا إلى البصرة ذكروا أن أم سلمة كتبت إلى عليّ بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين! إنه و الله لو لا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نقرّ في بيوتنا لخرجت معك، و لكنني باعثة معك سمعي و بصرى عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و هو ابن أخيك فأغذه بالعلم و رشّحه بالمروءة، و احفظ منه ما تحفظ من ابنيّ الحسن و الحسين.

فلما زحف عليّ للمسير دعت أم سلمة ابنها، و كان له فضل و فقه و عبادة، فقالت له: يا بنيّ الحق بعليّ بن أبي طالب فإذا لقيت الخيل فاطعن و اضرب و اعلم أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: في عليّ قولا لا يحلّ لك [بعده] أن تتخلّف [عنه] و لا يحلّ لي أن أحبسك.

فمضى إلى عليّ حتى لحق به و قاتل معه.

ص: ٣١

[ذكر أصناف المخالفين و المعادين للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام]

و نحن راجعون إلى ذكر أصناف المخالفين، ثم نأتى إلى الردّ عليهم بما فيه إيضاح الحق و قمع الباطل، فاستمعوا لما نحن ذاكروه، و أحضرونا أفهامكم، و التمسوا الإنصاف بترك الميل يتبيّن لكم الحقّ بدلائله الواضحة و أسبابه الجلية.

قد علمتم أن أقوى الخطأ فى هذا الباب - و الذى أشكل على أهل النظر - من علماء المرجئة و المعتزلة [هو جهلهم بأول هذا الأمر و آخره، و قلة معرفتهم بالنظر و التمييز بين السنّة و الفريضة، و تشريعهم التقليد بما دعت إليه ملوك بنى أمية] «١» فبعضهم قدّم أبا بكر على علىّ، و بعضهم أمسك و دان بالوقف.

و أفصح من هذا خطأ موازنة علىّ بطلحة و الزبير، و الوقوف عندهم، و هو ما تعلّقت به خاصّة العامّة.

و أعظم من هذا جهلا و عمى موازنة علىّ بمعاوية و هو ما ذهب إليه بعض العامّة المتحيّرة و طغام الحشوية البائنة.

فإذا بدأنا بالقول الأول و بيّنا باطله، و أوضحنا خطأه وضح ما بعده و بان.

و لعلّى بن أبى طالب رضى الله عنه «٢» عند اختلاف الناس فيه مثل من عيسى بن مريم صلّى الله عليه و سلم، فاختلفت الأئمة / ٧ / فى علىّ أصنافا كما اختلفت أئمة عيسى صلّى الله عليه فيه أصنافا، و أفرط فيه قوم فعبدوه، و قصر فيه قوم فشتموه و قذفوه.

(١) ما وضعناه بين المعقوفين مأخوذ مما تقدّم عن المصنّف فى ص ٤.

(٢) و فى هامش الأصل بخط مغاير لخط الأصل: «صلوات الله عليه...».

ص: ٣٢

فمنزلة النصارى فى الإفراط، منزلة الروافض فى الإفراط «١» و منزلة المرجئة فى النصب و التقصير فى علىّ منزلة اليهود فى التقصير و شتم عيسى بن مريم صلّى الله عليه.

و فى ذلك ما يؤثر عن النبيّ صلّى الله عليه و سلم أنّه قال لعلّى: يهلك فيك رجلان محبّ مفرط، و مبغض مفرط «٢».

و أوّل ما [يجب] فى هذا الباب من التنبيه على الحق قبل التلخيص و التفسير: أنكم تعلمون أن بلدان النصب و المقصّرين عن فضل علىّ بن أبى طالب الشام و الرىّ و البصرة.

و أمّا البصرة، فإن الأمور لما انكشفت و رجع الناس - بعد الذى كان - إلى النظر استبصروا و أبصروا و شيّعوا و زادوا، و كذلك أهل الشام و الرىّ «٣».

[و] ليعلم أن أموره تنكشف على طول الأيام، و أن الحق يعلو عند النظر بما ترادف من قوارع الحجج، فيمل الناس الجهل و التعصب و الخطأ «٤» ..

و أخرى أيضا انك لم تر شيئا قط رجع الفهقري بل يزداد في الإفراط، و يغلو في القول و لا يرجع إلى التقصير حتى يصير بالإفراط رافضيا كبيرا!!!! و لذلك قال بعض الناس: أرني شيئا صغيرا أريك رافضيا كبيرا.

(١) مراده من الروافض هم القائلون بربوبية عليّ بقرينة تنزيل منزلتهم منزلة النصارى.

(٢) هذا هو الصواب، و في الأصل: «و مغط مفط».

و للحديث مصادر كثيرة، و قد ذكره الحافظ الحسكاني في تفسير قوله تعالى: «و لما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدّون» [٥٧/ الزخرف: ٤٤].

و رواه أيضا ابن عساكر في الحديث: (٧٣٧) و ما حوله من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ١٥٩ ط ٢ و قد علّقناه أيضا عليهما من مصادر شتى.

و رواه أيضا البحراني في الباب: (١٨١) من كتاب غاية المرام ص ٤٢٤.

و رواه أيضا في الحديث: (١٣٢-١٣٥) في الباب: (٣٥) من السمط الأول من فرائد السمطين:

ج ١. ص ١٧٢. ط ١.

(٣) التشيع في عموم أهل الشام غير معهود. نعم تركوا لعن أمير المؤمنين و شتمه في أيام بني العباس. في الأماكن العامة و على رؤوس الأشهاد.

(٤) لعلّ هذا هو الصواب، و ظاهر رسم الخط من الأصل المخطوط: «الخطباء».

ص: ٣٣

و علّة ذلك انه إذا قال بالتشيع اتّسعت عليه الفضائل و كثرت المناقب و ترد عليه عند النظر من فضائل صاحبه، و تقدمه دلائل تبهر و تلوح كالقمر الأزهر و كالنجوم المضيئة فيضيق عليه المخرج، فلا يكون عنده من الورع و حزم التوقي و لطافة النظر و العلم بالمخرج ما يمنعه من الغلوّ و يقعه من الإفراط و التقدم، فعندها ترفض.

و أفرط [قوم في بغضه و مقتله فلعله] و شتم و كفر «١».

و قال قوم بنبوته. و قال آخرون فيه بمثل مقالة النصارى في عيسى بن مريم.

و لا تجد أحدا قال ذلك في أبي بكر و عمر. بل قد نجد القائلين بتقديم أبي بكر و عمر قد يرجعون إلى ترك المذهب، و يميلون إلى الاعتقاد الحسن، و الصواب في اعتقاد التشيع.

و لسنّا نجعل إفراط من أفرط و شتم من شتم حجة في تقديم عليّ بن أبي طالب على أبي بكر و عمر، و إنّما جعلنا ذلك تنبيهاً قبل النظر لتعلموا أن التمييز و المعرفة في تقديمه يحثّان على الفحص و النظر، و لأنّ قوما دعاهم التعصّب و الحمق إلى أن جعلوا إفراط من أفرط فيه، و خلاف من خالفه تنقّصاً لأبي الحسن صلوات الله عليه، فأريناهم أن ذلك في الفضل أولى من النقص، و على التقديم أدلّ منه على التقصير كما قلنا في عيسى بن مريم.

[و بلغ التوهم إلى حدّ] حتى دعا قوما إلى أن زعموا أن كثرة الخلاف عليه في عسكره و ما حدث من نكت الناكثين عليه يدلّ على أنه لم يكن له نفاذ في التدبير و لا كان معه من حسن التأليف و رجاحة السياسة ما كان مع غيره على ما زعموا.

و هذا غاية ما يكون من التعدي في القول و الإفراط في ترك قلة الإنصاف و ذلك بأنهم لم يوقفونا من سوء تدبيره و خطأ سياسته على أمر معروف و لا على حديث في ذلك مأثور و مشهور، و [إنّما] أرادوا أن يوجّهوا ذلك بالقياس قصدا منهم إلى نصره الخطأ و ميلا إلى العصبية و الحما.

(١) ما بين المعقوفين قد سقط من الأصل، و لا بدّ منه أو مما هو في معناه.

ص: ٣٤

و هيهات أن ينالوا في عليّ ما قصدوا إليه، و لو كان ما ذهبوا إليه صوابا قلنا «١»:

فارتداد العرب قاطبة، و اجتماعها على الردّة في أيام أبي بكر أعظم و أدلّ على الخطأ في الرأي، و الغلط في السياسة، لأنّ الفتنة كانت أعظم في أيامه و كذلك فتنتهم أيام عثمان أشدّ، و اختلافهم [عليه] أكبر و أجلّ؛ فما قلتم / ٨ / على عثمان أوجب و من أبي حسن أبعد لأنّ الخلاف عليه كان هو سببه و علته و ذلك مأثور مشهور في [كتب] العامّة فكيف في [كتب] الخاصة. و ذلك أنّ القوم خالفوه لما ظهر من ضعفه و عواره، و لما حدث عندهم من نهمته و دعوى من ادّعى عليه تبديل السنن و استيثار الفئء، و إيواء الطريد «٢» و رجوعه [عن رأيه] مرة بعد أخرى، و من شيء بعد شيء، و إخراج أبي ذرّ رضي الله عنه «٣».

فهذا عليكم في عثمان قد وجب، و في عليّ قد بطل،، فالحمد لله على تعريفه بهت من كفر، و قمع من عاند.

و متى اعتلّ أهل الحيرة في تنقيص أبي حسن بما حدث في زمانه من الخلاف و الفتن، فذلك عليهم في أبي بكر أوجب و لعثمان ألزم.

و متى صوّبوا رأى عثمان في كفّه عن الحرب و خطّئوا عليا في إقدامه على القتال لزمهم تخطئة أبي بكر في محاربتهم لمن منع الزكاة أ [ن] يلزمه الضلال و الخطأ إذ زعم أنه يسفك الدماء و يقتل الأنفس من أجل عقال لو منعوه.

و منى صوّبوا أبا بكر في رأيه، خطّئوا عثمان في كفّه عن الدفع عن نفسه و دينه.

فأين المذهب و المفرّ و قد أحاطت بكم الحجج لو لا المعاندة و التعصّب.

و أبين من هذا أن أسامة بن زيد لما سئل عن علّة قعوده «٤» عن نصرة أمير المؤمنين على أعدائه أنّه قال: حلفت أيّام النبيّ صلّى الله عليه و سلم أن لا أقاتل من قال: لا

(١) هذا هو الظاهر و في الأصل: «فإن قلنا: فارتداد العرب ...».

(٢) و هو الحكم بن أبي العاص أبو مروان بن الحكم الذي كان يستهزئ برسول الله صلّى الله عليه و سلم.

(٣) و ما ذكره هاهنا من ضروريات التاريخ، راجع تاريخ الطبرى و أنساب الأشراف، و الكامل لابن الأثير و غيرها.

(٤) هذا هو الظاهر، و في أصلي: «عن علّته و قعوده».

ص: ٣٥

إله إلا الله. و ذلك إنه كان في سرية في بعض محاربة المشركين فقتل رجلا بعد أن قال:

أشهد أن لا إله إلا الله. فقال رسول الله: قتلته و هو يشهد أن لا إله إلا الله؟ فعاهد [أسامة] رسول الله صلّى الله عليه أن لا يقاتل أحدا يشهد الشهادتين.

فأخطأ في أول مرة في الحكم في قتل الكفرة، و غلط في حكم الله في محاربة أهل القبلة، لأن الكافر إنما وجبت محاربته لإنكاره الشهادة؛ و أهل الصلاة لم يجب قتالهم لإقرارهم «١» و إنما وجب قتالهم لبغيهم، فالحكم في أهل الصلاة أن يكفّ عن قتالهم إذا رجعوا عن بغيهم، و فاءوا إلى أمر ربهم كما أن الحكم في أهل الكفر أن لا يقاتلوا إذا رجعوا عن كفرهم.

فلم يسلم [أسامة] من الخطأ في إقدامه و لم يدرك الصواب في إمساكه، فغلط أسامة الضعيف في الحكمين [جميعا].

على أن هذا من قول أسامة يدل على تخطئة أبي بكر في رأيه؛ لأن أبا بكر قد رأى محاربة من أقر بالشهادة و صلّى القبلة.

و العجب أن الخلاف على أبي بكر كان في هذا الرأي أكثر، لأن عامّة أصحاب النبيّ صلّى الله عليه و سلم أسندوا رأيهم في خلاف أبي بكر إلى النبيّ صلّى الله عليه و سلم فقالوا: سمعنا النبيّ صلّى الله عليه يقول: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها منعوا منى دماءهم و أموالهم إلّا بحقها و حسابهم على الله.

فكان هذا من قولهم أكبر في الخلاف، و أعظم في الشبهة مما رواه محمد بن مسلمة أنه سمع النبيّ صلّى الله عليه و سلم يقول: إذا رأيت فتنة فاتخذ سيفاً من خشب و اضرب بسيفك الحائط «٢».

مع روايتكم الظاهرة أن النبيّ صلّى الله عليه و سلم قال: «علىّ مع الحق و الحق

(١) كذا.

(٢) و على أمثال هذا الخائن يوجّه و ينطبق قوله تعالى فى الآية: (٤٩) من سورة التوبة: (٩)، ألا فى الفتنة سقطوا و إنّ جهنّم لمحيطّة بالكافرين.

ص: ٣٦

مع على» «١» فكيف تكون فتنة [حرب] فائدها و دليلها علىّ بن أبى طالب؟!.

مع روايتكم المشهورة عن النبىّ صلى الله عليه و سلم أنه قال: إنّ وليتموها أبا بكر وجدتموه ضعيفا فى بدنه قويا فى دين الله، و إنّ وليتموها عمر وجدتموه قويا فى بدنه قويا فى دين الله، و إنّ وليتموها عليا يهدكم طريق الحق و يسلك بكم المحجّة البيضاء «٢».

فقبلوا هذا الرأى من أبى بكر من غير أن يسنده لهم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا يستشهد عليه أحدا من طريق الأثر، و شكّوا فى مثله، و لم يصوّبوا / ٩ / نظيره فى [علىّ فى] محاربته من بغى و نكث و شقّ العصا و استأثر بالفىء «٣» مع إسناد

(١) رواه الترمذى فى الحديث الثالث من باب مناقب علىّ عليه السلام من سننه: ج ١٢، ص ١٢٦.

و انظر ما رواه ابن عساكر فى الحديث: (١١٦٢) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق.

ج ٣ ص ١٢٠ ط ١.

و انظر أيضا الباب: (٣٦) من السمط الأوّل من فرائد السمطين: ج ١، ص ١٧٦، ط ١.

و رواه أيضا فى الباب: (٤٥) من الفصل الأخير من كتاب غاية المرام ص ٥٣٩ ط ١، عن مصادر.

و رواه أيضا العلامة الأمينى فى الغدير: ج ٣ ص ١٧٩، ط ٢ و رواه أيضا عن مصادر فى كتاب ذيل إحقاق الحق: ج ٥ ص ٦٤٤.

(٢) للحديث مع هذه الخصوصية أسانيد كلها ضعيفة، و لهذا أدرجه ابن الجوزى فى الواهيات. كما فى «ذيل الخلافة» من منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند أحمد: ج ٢ ص ١٩١، ط ١.

و قال الذهبى فى تلخيص المستدرک: ج ٣ ص ٧٠: هذا الخبر منكر.

نعم ذيل الحديث: «إنّ وليتموها عليّا يهدكم طريق الحقّ و يسلك بكم المحجّة البيضاء» صحيح من أجل شهادة القرائن الخارجيّة على صدقه، و من جهة كونه مرويًا بأسانيد أخر معتبرة، و من جهة كونه مرويًا بروايات شيعة آل أبى سفيان، و بنى العباس و معاداتهما لأهل البيت لا تقلّ عما بين إبراهيم و نمرود، و موسى و فرعون!!! فراجع ما علّقناه على الحديث: (٩٧-١٠٠) من شواهد التنزيل: ج ١، ص ٦١-٦٣ ط ١.

و راجع أيضا ما ذكرناه في تعليق الحديث: (١١١٠) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ٦٨ و تواليها، ط ١.

و راجع أيضا ما فُندنا به صدر الحديث تحت الرقم: (٢٠٨) من السمط الأول من فرائد السمطين:

ج ١، ص ٢٦٦ ط ١.

(٣) لعلّ هذا هو الصواب، و في الأصل: «و استأثروا بعد ...».

ص: ٣٧

علّيّ [فعله] إلى أمر النبيّ صلّى الله عليه و سلم، و قوله: «إنه لعهد النبيّ صلّى الله عليه و سلم» عليه إلى أن أقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين». و شهادة المهاجرين و الأنصار له بما قال [و] فيهم عمار بن ياسر، و أبو أيوب الأنصاري، و أهل الفضل و السابقة [و إنما قدّمنا هذه المقدمة] لتعلموا أن شأن من ذهب عن فضل أمير المؤمنين [ليس إلا] المعاندة و اتّباع الهوى دون الحجّة.

(٥) و في الأصل كتب فوق قوله: «صلّى الله عليه» لفظتا: «عليه السلام».

ثمّ إنّ أمر النبيّ عليّا عليه السلام بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين من الأخبار المتواترة المقطوعة الصدور عن النبيّ صلّى الله عليه و سلم. و عدّه العلماء من أدلة صدق النبيّ و نبوّته لأنّه أخبر بهذا الأمر قبل تحقّقه فوق على طبق ما أخبر به.

فممن ذكره في أعلام النبوة هو أبو حاتم الرازي في الفصل: (٥) من كتاب أعلام النبوة ص ١١٠، و منهم أبو نعيم و البيهقي في كتابيهما دلائل النبوة.

و للحديث مصادر و أسانيد كثيرة، و شواهد جمّة تجدها تحت الرقم: (٢١٦) و تواليه في الباب: (٥٣) من السمط الأول من فرائد السمطين: ج ١، ص ٢٧٨ ط ١، و تحت الرقم: (١١٩٥) و تواليه من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ١٥٨، ط ١.

ص: ٣٨

[بيان بدء بيعة أبي بكر، و بيانه و إباتته عن نفسيته و شخصيته]

. فارجعوا الآن إلى النظر في بدء بيعة أبي بكر، و كيف كان السبب لتعلموا أن القوم لم يميلوا إليه تفضيلا له على عليّ بن أبي طالب، و لا جعلوا ذلك علّة للتقدمة.

و لسنّا نحتجّ عليكم بما روته الرافضة من أن بيعته كانت على المغالبة و القهر دون الاجتماع و الرفق «١» و الذى رويتم أن القوم لمّا بلغهم اجتماع الأنصار و تأميرهم سعدا، مضوا و بادروا بالبيعة عن غير شورى و لا اجتماع و لا نظر.

فالتمسنا طلب المخرج، و تأوّلنا ما رويتم تأويلا حسنا، فقلنا: إن القوم لمّا بلغهم اجتماع الأنصار، و ما بدءوا به من الخلاف بادروا بالبيعة لأبى بكر مخافة الانتشار و الاختلاف و فساد القوم «٢» و لذلك قال عمر: كانت بيعة أبى بكر فلتة وقاه الله شرّها.

[و إنما أنطقه الله بذلك] لتعلموا أن القوم لم يميلوا إلى أبى بكر بالتقديم، و لا وجبت [له] الإمامة بالتفضيل، و لا ادّعى ذلك له أحد علمناه و إنما كانت علّتهم فى ذلك دفع قول الأنصار [و بيان حق] القرابة من رسول الله صلى الله عليه [و] أن الإمامة فى قریش محصورة، و على غيرهم محظورة.

(١) هذا غير مختصّ بروايات الرافضة بل الناصبة بل شيعة أبى بكر أيضا رويوا ذلك مع شدّة كراحتهم عن رواية أمثاله مما يوهن أمر أبى بكر و أصحابه، و يفضحهم عند من له إنسانية و حرية ضمير، فراجع قضية السقيفة من أنساب الأشراف. و تاريخ الطبرى و كتاب السقيفة للجوهري و تاريخ الكامل من أمثالها مما ألفه من له إنصاف، و ممن يراعى حق العلم و الأمانة مقدارا ما.

(٢) هذا هو الظاهر، و فى أصلى: «لفساد القول ...».

ص: ٣٩

و لسنّا نحتجّ عليكم إلّا بسلاحكم، و لا نأخذكم إلّا بما رويتم لتعلموا أن الحق قوى، و أن الباطل وهىّ.

و مما يحقق ما قلنا و يصدّقه قول أبى بكر: «وليتكم و لست بخيركم» فقد أبان عن نفسه بخلاف ما قلتم، و كذبكم نسا فى مقاتلكم «١».

فإن زعم قوم أن قوله: «وليتكم و لست بخيركم» معناه: [لست بخيركم] نسبا. كان هذا من التأويل خطأ، لأن الخبر متى خرج مرسلًا عامًّا، و حمل على الخصوص بطلت حجّية الأخبار؛ و سقط الاحتجاج بالآثار فلم ينتج «٢» علم أخبار الله فى القرآن و سقطت المناظرة و تعلّق كل مبطل بمثل هذه العلة و جعل العامّ خاصًّا، و الخاصّ عامًّا، و لو ساغ هذا التأويل لساغ مثله فى الخبر، لو جاء عن أبى بكر: وليتكم و لست بخيركم «٣».

فإن قال قائل: لو قال هذا لم يكن للتأويل مسأغ. قلنا: بلى. يقول: لست، بخيركم دينا فيما مضى و لست بخيركم دينا فى نفس الولاية، فإنما كنت خيركم دينا بنفس السبق و الهجرة. و معنى قوله: لست بخيركم دينا، يريد أنى لم أكن خيركم دينا من أجل ولايتكم.

و هذا أشدّ [خطأ] من الأوّل لأنّه ذكر الولاية في كلامه و لم يذكر النسب، و الكلام على عمومته يلزمكم مخرجه و ظاهره، فمن ادّعى الخصوص ادّعى أمرا معيّنا لا يوصل إلى علمه إلّا بأمر ظاهر أو خبر منصوص، و قائل هذا لم يذهب إلى معنى [يدل عليه ظاهر الكلام، أو خبر منصوص يبيّن المراد منه] غير أن ضيق الباطل يدعوه صاحبه إلى مثل هذا التأويل.

و ذلك لأن نسب أبى بكر كان معروفا عند القوم غير مجهول، و لم يكن بينهم

(١) كذا في الأصل، غير أن جملة: «و كذبكم نصّا في» كانت فيه مهمة.

(٢) لعلّ هذا هو الصواب، و في الأصل: «و الآثار فلم كتب علم أخيار الله في القرآن ...».

(٣) كذا.

ص: ٤٠

مشاجرة في النسب، و لا شبهة فيحتاج أبو بكر إلى ذكره و نعتة فهذا من قوله محال، و قد علموا جميعا أن أبا بكر ليس بخيرهم نسبا، و لا معنى لهذا التأويل أكثر من التلطف إلى الحيلة، و إنما قال أبو بكر ذلك عندنا على جهة الإبانة [عن نفسه].

فإن بعض الناس «١» توهم أن الولاية كانت لأبى بكر على جهة التفضيل و التقديم، فأبان عن نفسه، و نفى غلط الناس في ذلك و خطأهم و تعدّيههم و ردّهم إلى الحق، و وقفهم عليه لأن هذا كان طريقه و مذهبه / ١٠ / أن يحمل الناس على الصواب فيه و في غيره، و يبيّن لهم الحق عند تركه و الذهاب عنه، فقال: وليتكم و لست بخيركم فلا تجعلوا ولايتي سببا لغلطكم و قولكم: أنى أفضل و أحق من غيرى.

و قد احتال قوم أيضا لهذه الكلمة حيلة أخرى، فقالوا: إنّما كان ذلك منه على حدّ التواضع و النصفة، و ترك التزكية، لأنّ المؤمن لا يمدح نفسه و لا يزيّنها على لسانه لقول الله تعالى: «فَلَا تَرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى» [٣٢ / النجم: ٥٣].

و هذا في التأويل أوضح خطأ من الأوّل مع ما يلزم قائله من النقص و ذلك لأنّ التواضع لا يكون في الكذب و لا الإنصاف يكون على نفى مصير الحق، لأنّ هذا القول من غير أبى بكر كذب؛ و كيف يكون من غيره كذبا و منه تواضعا؟ و لا يجوز أن يقول المؤمن: «لست بمؤمن» تواضعا و قد علمتم أن النبيّ صلى الله عليه و سلم كان أكثر الخلق تواضعا و إنصافا، و لا يجوز أن يقول: «أرسلت إليكم و لست بخيركم» على التواضع و النصفة، و ليس من التواضع أن يقول الزكيّ: لست بزكيّ «٢» و المؤمن لست بمؤمن؛ و الصالح لست بصالح؛ و الفاضل لست بفاضل؛ و إنما التواضع يكون بالإمساك عن ذكر نفسه و مدحه لها و حسن المحاوراة و المساواة، بحسن العشرة.

ثم نرجع إلى المقدّمين لأبى بكر على أبى حسن بالمسألة، فنقول «٣»: ما حجّتكم

(١) هذا هو الصواب، و في الأصل: «و إنّ بعض الناس ...».

(٢) هذا هو الظاهر، و في الأصل لست: «لست بمؤمن ...».

(٣) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «فيقال: ما حجّتكم ...».

ص: ٤١

في تفضيله على عليّ بن أبي طالب؟ فإن لجئوا إلى اجتماع الناس على أبي بكر و هي من أكبر عللهم قلنا لهم: إن تقديم الناس له قد شرحنا سببه، و إن اختيارهم له لا يوجب له الفضل على غيره، و إنما سألناكم عن إبانة فضله على غيره قبل الاختيار له، و إلا فإن لم يكن قبل الاختيار فاضلا مقدما على عليّ بن أبي طالب لم يكن لقولكم: «اختاروه لأنه أفضل معنى يثبت النسب؟

و إن زعمتم أن باختيارهم [له] كان فاضلا لفعل غيره، لأن اختيارهم له فعلهم. و [الجواب إنه لو كان باختيارهم فاضلا مقدما، لكان قبل الاختيار منقوصا مؤخرا، فأرونا فضله على عليّ و تقدمه عليه بفضيلة مشهورة [كـي يكون] لا اختيارهم بذلك مستحقا، و بالإمامة أولا، و إلا فلم نسلم لكم ما ادّعيتم أبدا. فإن قالوا: قد كانت له فضائل لا يعرف عليها، و عليّ لا يعرفها، غير أنّنا نعلم أن اختيارهم له [كان] عن تقديم و تفضيل. يقال لهم فما الفرق بينكم و بين من قال: أجمعوا على أبي بكر لعلّه لا أقف عليها، إلا إنني أعلم أنهم لم يجمعوا عليه لأنه كان أفضل، و لو كان قبل الاختيار أفضل من عليّ لبان ذلك و شهر، و لكان ظاهرا غير مكتم، و لو كان اختيارهم لعلّه تفضيله و كانت إمامة المفضول غير جائزة لما جاز للأنصار أن يقولوا: منا أمير و منكم أمير، و لكان حراما على أبي بكر أن يمد يده إلى عمر و أبي عبيدة و يقول: أنا أباع أياكم شاء فليمد يده. فإن قالوا: الدليل على ما قلنا: صلاته بالناس أيام حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قول النبي صلى الله عليه و سلم لعائشة: مري أبا بكر يصلي بالناس.

قلنا: هذا خبر جاء عن عائشة لم تقم حجّته و لم تلقه الأمة بالقبول، على أنا متى سلمنا لكم الحديث لم يجب به تقدمة لأبي بكر على عليّ، و متى نظرنا في آخر الحديث احتجنا إلى أن نطلب للحديث مخرجا من النقص و التقصير و ذلك ان في آخره: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما وجد إفاقة و أحسّ بقوة خرج حتى أتى المسجد، و تقدم فأخذ بيد أبي بكر فنحاه عن مقامه و قام في موضعه.

فقال الرافضة: هذا من فعله يدلّ على أن ذلك لم يكن عن أمره و دليل على تهمة

ص: ٤٢

الخبر بل يوجب اليقين و العلم بأن الأمر له بالصلاة لو كان تلقيا «١» عن الرسول صلى الله عليه لم يخرج بالمبادرة مع الضعف / ١١ / و العلة حتى نحاه و صار في موضعه، و لو كان ذلك عن أمره لتركه و صلى خلفه كما صلى خلف عبد الرحمن بن عوف.

و قد شهدتم جميعا أن صلاته خلف عبد الرحمن بن عوف لا توجب له تقدما على عليّ بن أبي طالب. مع ما يدخل حديثكم من الوهن و الضعف و الشذوذ.

و قد عارضتكم الرافضة فى حديثكم، فقالت: كيف قبلتم قول عائشة فى الصلاة و جعلتموها حجة، و لم تقبلوا قول فاطمة فى فذك، و شهادة أم أيمن لها و علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، و قد شهد لها النبىّ صلى الله عليه و سلم بالجنة.

فإن قلت: إن الحكم فى الأصول لا تجب بشهادة امرأة! قلنا لكم: و كذلك الحجة فى الدين لا يثبت بقول امرأة، و لئن كانت صلاة أبى بكر بالناس توجب له التقدم على من صلى خلفه، فصلاة عمرو بن العاص بأبى بكر و عمر توجب له التقدم عليهما، و لعمرو مع الصلاة الولاية الجامعة للصلاة و غيرها و هذا الخبر مجمع عليه، فلم يكن عند أحد منهم علة يدعيها فى تقديم أبى بكر على علىّ رضى الله عنه.

فلجأ بعض أهل النظر إلى القياس، فقال: لو جاز أن يوّلّى المفضول على الفاضل لجاز أن يرسل مفضول إلى فاضل، و لو جاز ذلك لجاز أن يكون فى زمن الرسل من هو أفضل منهم، فرجع هذا بعد إلى فعل الناس فجعله حجة من طريق القياس.

فقلنا له: إن جوابك هذا قد انتقض من وجوه:

أولها: إن الإمامة لا تشبه النبوة، و هى بالإمارة أشبه «٢» لأن الإمام لا يشهد على

(١) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «تلعبا...».

(٢) هذا سهو عظيم من المؤلف و من على مزعمته، إذ الإمامة أخت النبوة، و العلة الماسة إلى بعث الرسول، هى العلة الماسة إلى تعيين الرسول خليفته فى أمته كى يحافظ على ما جاء به من عند الله من كتاب الله تعالى، و مما سنّ لأمرته مما لا يوجد فى كتاب الله، أو مما لا يمكن لغير المؤيد من عند الله، و غير المتعلم من رسول الله أن يفهمه من كتاب الله تعالى، و إلّا لغير الجاهلون و المبطلون من الأمة الدين عن مجراه الأصيل و منهجه القويم، و قضا

ص: ٤٣

غيبه، و قد يجوز عليه التبديل و التغيير، و النبىّ صلى الله عليه و سلم قد يشهد على غيبه و يؤمن بتبديله و تغييره، فهل يجوز لقائل أن يقول: لو جاز أن يوّلّى إمام لا يشهد على غيبه لجاز أن يرسل رسولا يشهد على نفسه «١».

و لو أمكن أن يكون إمام لا يؤمن بتبديله و تغييره، أمكن أن يرسل الله رسولا لا يؤمن بتبديله و تغييره، فهذا عندهم قياس منتقض فاسد، و الإمامة لا تقاس بالنبوة، و قياس الإمامة الإمارة لأن الإمام ليس له أن يتعدى حكم الله و عليه الاتّباع، و تلك منزلة الأمير و الأمير لا يشهد على نفسه كما لا يشهد على غيبه [ظ] الإمام، و الإمام قد يوّلّى و يعزل و يصلى و تلك منزلة الأمير.

قلنا: فهل يجوز تولية المفضول على الفاضل؟ و ذلك فى الدين جائز صحيح و من اختيار الأمة غير فاسد على حسب ما كان من اختيار النبىّ صلى الله عليه و سلم عمرو ابن العاص و توليته على أبى بكر و عمر فى غزوة ذات السلاسل، و لم يوجب تجويزه بعثة رسول الله صلى الله عليه و سلم مفضولا إلى من هو أفضل منه، قياسا على إمارة المفضول على

الفاضل، و لو كان ما قلتم جائزا لكان هذا لكم ألزم لأن اختيار النبي صلى الله عليه و سلم إلى اختيار الله أقرب و أولى من اختيار الناس باختيار الله.

فإن قالوا: فعل ذلك النبي صلى الله عليه و سلم لأن عمرو بن العاص متى بدّل و غيّر رجع أمره إلى النبي صلى الله عليه و سلم و ذلك بعد موته غير جائز.

قلنا: تولية الإمام المفضل جائزة من اختيار الأمة لأنه متى بدّل و غيّر رجع أمره إلى الأمة في عزله و تولية غيره، و لو كانت تولية المفضل جائزة أيام النبي صلى الله عليه و سلم لأنه متى غيّر المولى رجع أمره إلى النبي صلى الله عليه و سلم إذ كان حيّا لكان هذا في إرسال الله نبيا إلى الفاضل أوكد، لأنه متى عصى و غيّر رجع أمره إلى الله إذ كان حيا لا يموت.

انقضى القول في إمامة المفضل.

على الدين و أهله في أقصر مدّة كما صنعه من يدعى أتباع موسى و عيسى عليهما السلام، فإذا لا بدّ من وصيّ الرسول و خليفته أن يكون كالرسول إلّا في النبوة. و تلقّى الوحي من الله بلا واسطة.

(١) كذا.

ص: ٤٤

[طريقة انعقاد الإمامة بنظر المؤلف، و وصفبيعة الناس لأُمير المؤمنين عليه السلام، و انها كانت أقوى بيعة أركاناً و أعظمها حجّة و أوضحها سنة و أوكدها سببا و أقومها طريقة]

. و نحن / ١٢ / واصفون «١» إمامة علىّ و [أنها] كيف كان سببها لتعلموا أن إمامته كانت أقوى إمامة سببا و أثبتها قوّة و أقواها أركاناً، و أوضحها سنة، و أعدلها سبيلا، و أعظمها حجّة.

إن سبيل الإمامة و سببها أن تكون برأى أهل الفضل و السابقة و من يمثلهم يزول التهمة و الريبة، و تثبت الحيطة و النصيحة.

و سنّة الإمامة أن تكون شورى بين أهل الفضل و العدالة و العلم و المعرفة بحكم الكتاب و السنّة لقول الله تبارك و تعالى: «وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَبَيِّنُهُمْ» [٣٨ / الشورى: ٤٢].

و سنّة الإمامة أن لا يكون الناظرون فيها يظهر كل إنسان منهم لنفسه الطلب لها و الرغبة فيها لأن هذا المعنى يدعو إلى الاختلاف و يوجب الظنّة و التهمة، و يكون سببا للانتشار و الفتنة.

و من سببها أن يكون متى بدأ بعقدها لرجل و تولّاها جماعة موصوفون بالستر و العدالة معروفون بالخير غير متّهمين أن يسلم الباؤون إلّا أن يكون عندهم حجة في أن المولى لا يستحقها، و أن غيره أولى بها، فمتى لم يظهر منهم طعن عليه [و لم] تتبيّن حجة أو

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «و نحن واضعون ...».

ص: ٤٥

دليل واضح كان عليهم الرضا و التسليم.

فانظر [وا] هذه الشرائط فيمن اجتمعت لتعلموا صحّة ما نقول.

و قد وصفنا لكم بيعة أبي بكر و كيف كان سببها و انها كانت على العجلة دون الانتظار و المشورة، و أن الذى تولّى عقدها رجلان فى البدء: عمر و أبو عبيدة، و أنهم سعوا فيها و طلبوها بعد أن كان العقد للأنصار و ما كان من خلاف سعد و يمينه «١» و قول سلمان و غيره «٢».

و روى أن على بن أبى طالب لم يبايع أشهراً من غير أن يظهر إنكاراً و لا سخطاً «٣».

(١) و هو قوله لعمر - لمّا قال: اقتلوه قتله الله -: أما و الله لو أن بى قوّة أقوى على النهوض لسمعت منى فى أقطارها و سككها زئيراً يحنجر و أصحابك، أما و الله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع ... و أيم الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم ...

(٢) كحباب بن المنذر و قيس بن سعد بن عبادة و الزبير بن العوام، و الصديقة الطاهرة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليهما، و الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

و القوم لشدة كراحتهم عن ذكر أمثاله لم يذكروه على سبيل التفصيل و مجموع الأطراف. نعم أجرى الله قلمهم بذكر جمل وافية منها تتم بها الحجة كما تجدها فى تاريخ الطبرى و الكامل و أنساب الأشراف و سقيفة الجوهري و غيرها.

(٣) و المروى فى كتاب المصنف: لعبد الرزاق: ج ٥ ص ٤٤٢ و صحيح البخارى و حوادث سنة (١١) من الهجرة من تاريخ الطبرى: ج ٣ ص ٢٠٢. و تاريخ الكامل: ج ٢ ص ٢٢٠ ط بيروت إنه عليه السلام مع كافة بنى هاشم لم يبايعوا أباً بكر حتى توفى بضعة رسول الله فاطمة الزهراء صلوات الله عليهما بعد ستة أشهر من وفاة النبى صلى الله عليه و آله و سلم، فعند ذلك صرف وجوه الناس عنه بالكليّة فاضطرّ إلى بيعة أبى بكر.

ثم إن قول المصنف: «من غير أن يظهر إنكاراً و لا سخطاً» من أبداع العجائب؛ و من المصنف طريف جداً، فإنّه عليه السلام أنكر تقدّمهم عليه فعلاً و قولاً، أمّا إنكاره عليهم فعلاً فكفى إمساكه عن بيعته لهم طول حياة فاطمة صلوات الله عليها. و كفى لضلّالهم و كون رئاستهم ظلماً و زوراً أن يتخلّف عنهم علىّ الذى يدور معه الحقّ حيثما دار، و الذى يكون مع القرآن

و القرآن معه لا يفترقان حتى يردا على النبي صلى الله عليه و سلم حوضه كما فى حديث الثقلين الذى ورد بنحو التواتر عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

و رواه شيعة آل أبى سفيان فى صحاحهم و كتبهم المعتبرة بثبوت الأسانيد. و كذلك قوله صلى الله عليه و آله

ص: ٤٦

و سلم: «على مع الحق و الحق مع حيثما دار». و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «على مع القرآن و القرآن معه». فراجع الحديثين فى الباب: (٣٦) من فرائد السمطين: ج ١، ص ١٧٦، ط ١، و تحت الرقم:

(١١٦٠) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ١١٧، ط ١، و فى الباب: (٤٥) من الفصل الأخير من غاية المرام ص ٥٣٩ و الغدير: ج ٣ ص ١٧٩، ط ٣، و إحقاق الحق: ج ٥ ص ٦٤٤.

و أمّا إنكاره عليه السلام قولاً على المتقدمين عليه و إظهاره السخط عليهم شفاهاً فيكفى لمن له حرية الضمير ما رواه البلاذرى فى الحديث: (٣٥٩) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف:

ج ١ / الورق ٣٦٦. و فى ط ١: ج ٢ ص ٢٨١.

و رواه أيضاً ابن عبد ربّه فى العقد الفريد: ج ٣ ص ١٠٨، ط ٢.

و رواه أيضاً الخوارزمى فى آخر الفصل: (٣) من الفصل: (١٦) من مناقبه ص ١٧٥، من أن علياً عليه السلام كتب فى جواب معاوية:

و ذكرت حسدى الخلفاء، و إبطائى عنهم و بغى عليهم، فأما البغى فمعاذ الله أن يكون. و أمّا الإبطاء و الكراهية لأمرهم فلست أعتذر منه إلى الناس ...

و راجع أيضاً المختار: (١٢) من نهج السعادة: ج ١ ص ٤٤ ط ١. فإنك تجد فيه و فى تعليقه شواهد فى شكايته عنهم.

سبحان الله هل يمكن لأحد أن يعبر عن سخطه بمثل ما عبّر به عليه السلام فى الخطبة الشقشقية، و هو قوله: «فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق شجى!!! أرى تراثى نهبا حتى مضى الأول لسبيله - إلى إن قال -: فى عجبنا بينا هو يستقبلها فى حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعها ...».

فراجع تمام الخطبة تحت الرقم: (٣) من نهج البلاغة. و الرقم: (٣٠٢) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٩٨.

و عجباً!! هل يتصور إنكار قولى مثل قوله عليه السلام: فنظرت فإذا ليس لى معين إلّا أهل بيتى، فضننت بهم عن الموت، و أغضيت على القذى، و شربت على الشجى، و صبرت على الكظم، و على أمر من طعم العلقم!!! هكذا رواه السيد الرضى رحمه الله فى المختار: (٢٥) من نهج البلاغة، و أظهر منه ما رواه أيضاً فى المختار: (٢٢٠) من نهج البلاغة قال:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى قَرِيْشٍ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحْمِي، وَ أَكْفَنُوا إِنَائِي، وَ أَجْمَعُوا عَلَى مَنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوَّلِي بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَ فِي الْحَقِّ أَنْ تَمْنَعَهُ!! فَاصْبِرْ مَغْمُومًا أَوْ مَتَّ مُتَأَسِّفًا!! فَظَنَنْتُ، فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَ لَا ذَابٌّ وَ لَا مُسَاعِدٌ. إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي!! فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَ جَرَعْتُ رَيْقِي عَلَى الشَّجَى. وَ صَبِرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ، وَ آلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشَّفَارِ!!!.

وَ انْظُرْ أَيْضًا قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَخْتَارِ: (٦٤) مِنْهُ: «اِحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَ أَضَاعُوا الثَّمَرَةَ».

وَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَخْتَارِ: (١٦٧) مِنْهُ: «أَمَّا الِاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ - وَ نَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسْبًا

ص: ٤٧

[فِي أَنْ عَقَدَ الْخِلَافَةَ لِعَمْرِ إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَاصَّةً، كَمَا كَانَ عَمْرُ عَقْدَهَا لِأَبِي بَكْرٍ فِي يَوْمِ السَّقِيْفَةِ، فَجَلِبِهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ تَدَاوُلًا وَ تَشَاطُرًا]

. ثُمَّ كَانَتْ بَعْدَهُ بَيْعَةُ عَمْرٍ فَعَقْدَهَا [لَهُ] أَبُو بَكْرٍ، كَمَا عَقْدَهَا هُوَ لِأَبِي بَكْرٍ - وَ فِي هَذَا مَقَالٍ يَسْبِقُ إِلَى الْقَلْبِ يَدْفَعُ بِلَطِيفِ الْحَجَجِ وَ الْمَخْرَجِ «١» - فَأَظْهَرَ الْمُسْلِمُونَ الْإِنْكَارَ لَذَلِكَ وَ التَّسَخُّطَ وَ قَالُوا: وَلَيْتَ عَلْنَا فَظًّا غَلِيظًا!! فَقَالَ: وَلَيْتَهُمْ يَا رَبَّ خَيْرَ أَهْلِكَ.

وَ عَلَىَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ سَاكِتٌ، وَ لَوْ كَانَ مِمَّنْ يَرْغَبُ فِي الْإِمَامَةِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقِهَا، وَ بَغَيْرِ حَقِّهَا «٢» وَ [كَانَ] يَحِبُّ - كَمَا قَالَ الْجَاهِلُونَ - الْفِتْنَةَ لَكَانَ لِهَذَا الْمَوْضِعِ

وَ الْأَشْدُّونَ بِرَسُولِ اللَّهِ نَوَاطًا - فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ وَ سَخَتْ عَنْهَا نَفُوسُ آخَرِينَ؟! وَ الْحُكْمُ اللَّهُ وَ الْمَعُودُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ».

وَ قَوْلُهُ فِي الْمَخْتَارِ: (١٧٧): «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى قَرِيْشٍ وَ مِنْ أَعَانِهِمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحْمِي، وَ صَغَّرُوا عَظِيمَ مَنَزَلَتِي، وَ أَجْمَعُوا عَلَى مَنَازَعَتِي، أَمْرًا هُوَ لِي ...».

وَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَخْتَارِ: (٢٠٦): «وَ سَتَبْنِيكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافَرِ أُمَّتِكَ عَلَى هُضْمِهَا فَاحْفَظْهَا السُّؤَالَ ...».

وَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَخْتَارِ: (٤٤): مِنْ الْبَابِ الثَّانِي مِنْهُ: «بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكَ مِنْ كُلِّ مَا أَظْلَلَتْهَا السَّمَاءُ فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ، وَ سَخَتْ عَنْهَا نَفُوسُ آخَرِينَ، وَ نَعَمَ الْحُكْمُ اللَّهُ ...».

أَقُولُ: وَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمٌ آخَرٌ فِي الْمَوْضُوعِ بِمَسَاقِ الْكَلِمِ الْمَذْكُورَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بَانْفِرَادِهِ يَحْكِي بِأَوْضَحِ دَلَالَةٍ وَ أَبْلَغِ مَفَادٍ عَلَى أَنَّ الْخِصَامَ وَ الْمَعَادَاتِ بَيْنَ عَلِيٍّ وَ مَنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ كَانَ بَلِغَ آخِرِ حَدِّهِ وَ أَقْصَى مَرْتَبَتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ أَكْمَلِ أَنْحَاءِ بَيَانِ السَّخَطِ وَ الْإِنْكَارِ لَمْ يَوْجَدْ فِي دَارِ الْوُجُودِ سَخَطٌ وَ لَا إِنْكَارٌ حَتَّى بَيْنَ اللَّهِ وَ بَيْنَ إِبْلِيسَ، وَ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْفِرَاعِنَةِ وَ بَقِيَّةِ النَّمَارِدَةِ!!! ..

(١) عفى الله عنك يا أبا جعفر ما هذا التسامح في التعبير والكشف عن الواقع؟

(٢) عفى الله عنك يا أبا جعفر قل لنا بحق العلم والإنصاف متى كانت الإمامة والخلافة لغير عليٍّ أو تليق لغيره،

ص: ٤٨

بعينه، و لكان [يظهر منه] ما كان [ظهر] من الأنصار من محبته [لها و التصدي لطلبها] فلم يكف عن ذلك إلا طلب السلامة و انتظارا لرجوع القوم إلى الحق و مجتمع الكلمة «١».

ثم جعلها عمر شوري بين ستة فوجّهت إلى عثمان بما قد عرفت.

فهذا موضع الكلام و الشبه، و موضع النكت الغامضة، لا ما تعلّقتم به من التفضيل و التقدمة.

و لا تليق به حتى يكون تطرّفه إليها و طلبه إيّاها على غير طريقها و بغير حقّها؟! أ فلا يسمع أبو جعفر دوى شكايه عليٍّ و طنين تظلمه في الدنيا، و صدق قوله: أما و الله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة و هو يعلم أنّ محلى منها محلّ القطب من الرّحى ... حتى إذا مضى إلى سبيله فأدلى بها إلى فلان بعده!!! فيا عجباً!!! بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما تشطّرا ضرعيها!!! فصيّرها في حوزة خساء يغلظ كلامها، و يخشن مسّها و يكثر العثار فيها و الاعتذار منها!!! و أمّا قول أبي جعفر: «و عليٌّ في ذلك الوقت ساكت ...» فإن كان مراده من السكوت السكوت القولي و عدم تكلمه و تلفّظه بكون الولاية و الخلافة مخصوصة له، و لا حظّ فيها لمن تقمّصها بعد صاحبه، فهذا غير مسلم، بل كان عليه السلام دائما متى تسنح له الفرصة، و يرى المصلحة، يعلن التبرّم من صنيعهم، و يظهر الشكوى عنهم و أنّهم تقمّصوا قميصه ظلما ...!!! ..

و لو سلّمنا جدلا أنّه عليه السلام سكت و لم يتكلّم حول اغتصاب عمر الخلافة منه، يكفينا و يكفي كلّ منصف إعلانه عليه السلام ببطلان خلافة أبي بكر و أنّه ظلما و عدوانا تردّا برداء الخلافة التي كانت تخصّ عليّا، و لا حظّ لأبي بكر و غيره فيها، و إذا تكلم على بطلان خلافة أبي بكر فقد أعلن ببطلان خلافة عمر لأنّها فرع خلافة أبي بكر.

و إن أراد أبو جعفر من السكوت السكوت العملي و عدم التحرك لتصدّي الخلافة و تباعد عمر و أشكاله عن عليا ساحتها، فهذا مسلم و علّة هذا السكون و عدم التحرك هو كون المسلمين حديثي عهد بالإسلام، و فيهم من يتشبّث بكل الوسائل لانهدام الإسلام. و الثانية تكثّر الجنّ الذين قتلوا سعد بن عبادة!!!

(١) هذا هو الظاهر، و في أصلي: «و انتظار القوم لرجوع الحقّ و انتظار الكلمة ...».

ص: ٤٩

[إسراع الناس بعد قتل عثمان إلى الإمام عليٍّ بن أبي طالب، و تداعهم عليه و إلحاحهم به لأن يبسط يده لبياعوه، و تقرّضهم إيّاه بتعيّنه للإمامة و الخلافة، و إباته عن ذلك، ثم ازدحام الناس عليه، ثم إتمامه الحجّة على طلحة و الزبير، ثم شرطه على الناس أن يبايعوه في مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، ثم مبايعة الناس إيّاه في المسجد].

و هو رضى الله عنه [كان] على طريقة واحدة فى الكف و الرضا عند اجتماع الكلمة.

فلما قتل عثمان و قد كان علىّ قبل ذلك معتزلاً له لما كان منه فى أبى ذرّ و غيره- كأنه رضى الله عنه مطبوع على الصواب، مؤيد بملك يجنبه طرق الخطأ و [يثبته على] لزوم الاستقامة و الصحة لا يقدر أحد أن يرينا فى فضله تناقضا، و لا فى قوله اختلافا، فبيّض الله وجهه و أعلى فى الآخرة درجته-.

فلما قتل عثمان تذاكّ الناس علىّ بن أبى طالب بالرغبة و الطلب له بعد أن أتوا مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم «١».

(١) انظر إلى كلامه عليه السلام فى وصف بيعته فى المختار: (٣) من نهج البلاغة: «فما راعنى إلّا و الناس كعرف الضبع إلىّ، ينثالون علىّ من كل جانب. حتى لقد وطىء الحسان، و شقّ عطفائى مجتمعين حولى كربيضة الغنم...».

و قوله عليه السلام فى المختار: (٥١) منه: «فتذاكّوا علىّ تذاكّ الإبل الهيم يوم وردها، قد أرسلها راعيها، و خلعت مثانيها، حتى ظننت أنّهم قاتلى أو بعضهم قاتل بعض لدى...».

و قوله عليه السلام فى المختار: (٢٣٠): «و بسطتم يدي فكففتها، و مددتموها فقبضتها. ثمّ تذاكّتم علىّ تذاكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل و سقطت الرداء و وطىء الضعيف.

و بلغ من سرور الناس ببيعته إياى أن أبتهج بها الصغير و هدى إليها الكبير، و تحامل نحوها العليل، و حسرت إليها الكعاب.

ص: ٥٠

و حضر المهاجرون و الأنصار و أجمع رأيهم علىّ بن أبى طالب بالإجماع منهم أنّه أولى بها من غيره، و أنّه لا نظير له فى زمانه فقاموا إليه حتى استخرجوه من منزله.

و مضى علىّ بن أبى طالب إلى طلحة بن عبيد الله، فقال له: إن الناس قد اجتمعوا علىّ أن يبايعوا لى و لا حاجة لى فى بيعتهم، فابسط يدك يبايعك الناس على كتاب الله و سنة محمد صلى الله عليه و سلم، فقال له طلحة: أنت أولى بذاك منّى، و أحق به لفضلك و سابقتك و قرابتك، و قد استجمع لك من هؤلاء الناس ما قد تفرّق علىّ/ ١٣ قال له علىّ: إني أخاف أن تغدر بى و تنكث ببعثى، قال: لا تخافنّ ذلك فو الله لا تؤتى من قبلى بشيء تكرهه، قال: الله عليك بذلك كفى؟ قال: الله علىّ به كفى.

فأتى الزبير، فقال له مثل ذلك، و ردّ عليه مثل طلحة.

فمضى علىّ بن أبى طالب إلى منزله إرادة التأنّى و التوكيد.

فرجع الناس إليه و هم متوافرون مجتمعون فاستخرجوه من داره، و قالوا له:

ابسط يدك نبايعك؟ فقبضها و مدّوها، و لما رأى تداكهم عليه، و اجتماعهم، قال:

لا أبايحكم إلا في مسجد النبيّ صلى الله عليه و سلم ظاهرا، فإن كرهني قوم لم أبايح.

فأتى المسجد و خرج الناس إلى المسجد، و نادى مناديه.

فيروى عن ابن عباس أنه قال: إني و الله لمتخوّف أن يتكلّم بعض السفهاء، أو من قتل علىّ أباه أو أخاه في مغازي رسول الله صلى الله عليه و سلم، فيقول: لا حاجة لنا بعليّ بن أبي طالب فيمتنع من البيعة.

قال: فلم يتكلّم أحد إلا بالتسليم و الرضا.

ثم قال في بعض كلامه رضى الله عنه:

كنت و الله كارها للحكومة بين أمّة محمد صلى الله عليه و سلم «١» حتى أكرهتموني

(١) و ذلك لأجل اعتيادهم بالترفه و الأثرة في أيام السابقين، و انحرافهم عن محبّة العدالة الإسلامية، و رغبتهم إلى الأثرة و الاستبداد بالمصالح الشخصية و النزعات الطائفية، و نسيانهم ما كان النبيّ صلى الله عليه و سلم يسلك بهم من الإيثار و تقوية نزعة السماح و الجود و الكرم، و اجتثاث جذور البخل و الحرص و مذاق الشيم.

ص: ٥١

عليها، و دخلت منزلي فاستخرجتموني، و قبضت يدي و بسطتموها، و تداكتم علىّ كتداكّ الإبل عند ورودها، حتى خشيت أن يقتل بعضكم بعضا، و خفت أن لا يسعني عند الله ردّكم حين اجتمع إليّ ملائكم، فبايعتموني طائعين غير مكرهين، ثم خالفني منكم مخالفون، و نكث ناكثون، على غير حدث أحدثته، و قد سمعت النبيّ صلى الله عليه و سلم يقول: ما من وال ولى من أمر أمّتي شيئا إلا جاء يوم القيامة حتى يوقف به على حدّ الصراط، ثم ينشر كتابه فتقرأه الملائكة، فإن كان عادلا نجا، و إن كان جائرا هوى، ثم ينتفض به الصراط انتفاضة إلى الدرك الأسفل من النار.

فإن أنتم معاشر أمّة محمد صلى الله عليه و سلم سمعتم قولي و أطعتم أمرى، أقمتم على المحبّة البيضاء، و إن أبيتم عاقبتكم بسيفي هذا حتى يحكم الله بيني و بينكم و هو خير الحاكمين «٢».

فأول من بايعه طلحة و الزبير، ثم المهاجرون و الأنصار، ثم قام فخطب الخطبة المعروفة بالفضل على الخطب و الكلام الذي لا يعرف مثله لأحد «٢» فلما فرغ [أمير المؤمنين] من خطبته، قام خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين، ثم قال:

أيها الناس: إنّنا قد تشاورنا و اخترنا لديننا و ديانا رجلا اختاره لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فبايعناه، و لو استوى عباد الله ذهب النعم، و لو اتّبع الهوى ذهب الشورى و لو جاز التنازع ذهب التسليم، إن المدينة دار الإيمان و الهجرة، و بها الحكمّ على الناس و لسنا من أمر عثمان في شيء.

و قام أبو الهيثم ابن التيهان «٣» - و كان عقيبا بدريًا - فقال: قد عرفتم

(١) ببالي أن الخطبة روينها عن مصدر - أو مصادر - و لكن لم تكن مسوداتي عندي حين تحقيق ما هاهنا.

(٢) ليت المصنّف ذكر الخطبة بتمامها أو فقرات منها حتّى ينسبّ باب الاحتمال و التشكيك، و المظنون أن المراد منها ما ذكرناه في المختار: (٥٤) من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ١٨٨، ط ١.

(٣) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «و قال أبو الهيثم ابن التيهان ...».

و قوله: عقيبًا بدريًا» يعنى أنّه كان ممن حضر العقبة و بايع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فيمن بايعه فيها، و كان حضر مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في حرب بدر، و حارب الكفّار فيها.

ص: ٥٢

رأى لكم و نصحى إليّكم، و مكاني [الذي] كان [لى] من رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد جعلنا هذا الأمر إلى أولاكم برسول الله صلى الله عليه و سلم، و أقدمكم إسلاما، و أكثركم علما، و أفقهم في دين الله، و أنصحكم للأمة، و أعرفكم بالسنة، و عسى الله أن يجمع به الألفة، و يحقن به الدماء، و يصلح به ذات البين، و يظهر به ما درس الظالمون. فقالوا جميعا: قد أجبنا إليه و عرفنا فضله.

فلما بلغه خبر من تخلف عن بيعته، قال: إنهم لم يعرفوا الحق فيسارعوا إليه، و لم يعرفوا الباطل فيخذلوا من آتاه «١».

فخلّى سبيلهم و لم يكره أحدا على بيعته.

(١) كذا في الأصل، و في المختار: (١٧) من الباب الثالث من نهج البلاغة: «[إنهم] خذلوا الحقّ و لم ينصروا الباطل ...».

و في المختار: (٢٦٢) منه: «إنّ سعدا و عبد الله بن عمر لم ينصرا الحق و لم يخذلا الباطل».

و انظر المختار: (٩٢) من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ٢٩٨.

ص: ٥٣

[خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام لما بلغه مسير طلحة و الزبير و عائشة إلى البصرة و إخباره عن نفسيّتهم و مآل أمرهم و قصة نباح الحوآب على عائشة و اضطرابها]

فلما بلغه رضى الله عنه و عن جميع المؤمنين مسير طلحة و الزبير و عائشة إلى البصرة سعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و صلى على / ١٤ / محمد النبيّ صلى الله عليه و سلم فقال:

قد سارت عائشة و الزبير و طلحة، و كل يدعى الأمر دون صاحبه، يطلبه طلحة لأنه ابن عم عائشة، و لا يرى الزبير إلا أنه أحق بالخلافة لأنه ختن عائشة!! فوالله لئن ظفروا بما يريدون- و لا يرون ذلك أبدا- ليضربنّ طلحة عنق الزبير، و الزبير عنق طلحة!! تنازعا «١» شديدا على الملك!! و الله إن راكبة الجمل لا تصعد عقبة «٢» و لا تنزل منزلا إلا إلى معصية الله و سخطه حتى تورّد نفسها و من معها متالف الهلكة، يقتل ثلثهم «٣» و يهزم ثلثهم، و يتوب ثلثهم،

(١) و هذا مما أظهره عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو من الأخبار الغيبية التي أخبر بها قبل وقوعها فوقع الخبر على طبق ما أخبر به عليه السلام.

(٢) لعلّ هذا هو الصواب، و في الأصل: «و الله إنّما راكبة الجمل لا يستد عقبة ...».

و انظر المختار: (٧١) من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ٢٣٨.

(٣) هذا هو الصواب الذي ذكره في هامش الأصل عن نسخة من الكتاب، و في متن الأصل المخطوط: «يقتل ثلاثتهم».

ص: ٥٤

و الله لتنبحنها كلاب الحوآب، فهل يعتبر معتبر أو يتفكر متفكر؟

و الله إن طلحة و الزبير ليعلمان أنّهما مخطئان و ما يجهلان، و لربّ عالم قتله جهله و علمه معه لا ينفعه.

فتدبروا رحمكم الله هذه الأنباء ففيها التبيان و الشفاء، و تفهّموا ما يرد عليكم من الهدى، و لا يذهبنّ عنكم صفحا لتعلموا أن أموره مبنية على يقين متقدّم، و علم ثاقب و حجة بالغة. لا يهن عند الشدائد و لا يفتر عند النوازل، أمره في التقدم و البصيرة أمر واحد لا يضيع في القول، و لا يفتر عند الإقدام، و لا يفرّق بين حاله أيام النبيّ صلى الله عليه و سلم، و بين هذه الحال في الجهد و الاجتهاد، و القوة و العزم و البصيرة في جميع أموره [فلاحظوا أحواله] لتعلموا أن أعماله مبنية على أساس اليقين، و أموره ماضية على البصيرة في الدين، و أن هذه الأفعال لا يبينها إلا علم نافذ و [أن] أموره لا تتساق و لا تتفق إلا لمن اعتمد على الثقة و المعرفة، و أيد بالنصر من الله و الملائكة. ثم قوله [عليه السلام] على المنبر: «إنه لم ير إلا قتالهم أو الكفر بما أنزل الله» «١».

لا يجترئ من خالفه أن يدعى مثل هذه و لا يقدم أحد على تكذيبه، فأين هذه إلا له.

ثم تتبع هذا الكلام بأن نقول: [أنه كان يقول]: «إنه لعهد النبيّ صلى الله عليه

(١) و قد رواه البلاذري بسندين في الحديث: (٢٩٣) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف:

ج ٢ ص ٢٣٦ ط ١ و رويناه عنه و عن الحاكم في المختار: (٧٨ - ٧٩) من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

و رواه أيضا الحاكم في باب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام من المستدرک: ج ٣ ص ١١٥.

و رواه أيضا ابن عساكر في الحديث: (١٢١١-١٢١٢) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ١٧٤، ط ١.

و رواه أيضا الحموي في الحديث: (٢١٨) في الباب: (٥٣) من فرائد السمطين: ج ١، ص ٢٧٩ ط ١.

ص: ٥٥

و سلم إلى أن أقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين «١» فهل تجد لمن خالفه مثل هذه الدعوى قبل النظر في الحجّة؟ و ما تجد لهم إلا عللا ملفقة ينكرها من سمعها، و يستدلّ على ريبة القوم بها و ضعفهم عند ذكرها، فمرة يطلب بدم عثمان، و مرة بايعنا مكرهين!! و مرة جئنا لنصلح بين الناس!! مع ما يرد عليهم من الاحتجاج، ممّن رأى الاختلاف في قولهم و التناقض في منطقهم، و ما تروون من تلوّن عائشة، و روايتكم عنها مرة: أخرج للإصلاح، و مرة تعزم على الرجوع عند تذکر الخطأ، و عند التوقيف لها [كذا].

هذه روايتكم ظاهرة مكشوفة في ماء الحوآب [بأسانيدكم] عن الشعبي، عن ابن عباس، قال: طرقت عائشة و طلحة و الزبير ماء الحوآب و من معهم ليلا- و هو ماء لبنى عامر بن صعصعة، فنبحتهم كلاب الحوآب، فنفرت صعاب إبلهم، فقال قائل: لعن الله أهل الحوآب ما أكثر كلابهم.

قالت عائشة: أيّ ماء هذا؟ فقال محمد بن طلحة و عبد الله بن الزبير: هذا ماء الحوآب، فقالت عائشة: و الله لا صحبتكم ردّوني ردّوني، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «كأنّي بكلاب ماء يدعى الحوآب قد نبحت على امرأة من نسائي و هي في فئة باغية، ثم قال: لعلك أنت يا حميراء، قالت: ثم دعا عليا فناجاه بما شاء» ردّوني.

(١) الحديث متواتر، و قد عدّه علماء السنّة من أعلام نبوّة النبيّ صلى الله عليه و سلم.

كما ذكره أبو حاتم الرازي في الفصل: (٥) من كتاب أعلام النبوة ص ٢١٠-٢١١، قال: فقاتل عليّ بعده هذه الفرق الثلاثة.

و قد رواه الحاكم النيسابوري في أربعينه بطرق كثيرة.

و رواه عنه الحموي في الحديث: (٢١٩) و تواليه في الباب: (٥٣) من فرائد السمطين: ج ١، ص ٢٨١.

و رواه أيضا السيوطي في آخر مناقب أهل البيت عليهم السلام في اللآلي- المصنوعة: ج ١ ص ٢١٣.

و رواه أيضا ابن عساكر في الحديث: (١١٩٥-١٢١٠) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ١٥٨-١٧٤، ط ١.

ص: ٥٦

فقال لها الزبير: مهلا يرحمك الله، يراك الناس و المسلمون فيصلح الله ذات بينهم.

و قال طلحة: ليس هذا بحين رجوع.

ثم جاء عبد الله بن الزبير، فقال: ليس هذا ماء الحوآب، و حلف لها على ذلك، قالت: و هل من شاهد يشهد على أن هذا ليس ماء الحوآب؟ فأقاموا خمسين رجلا من الأعراب يشهدون أنه ليس ماء الحوآب، و جعلوا لهم جعلًا، و كانت أول شهادة زور أقيمت في الإسلام «١».

فليعتبر من به حيوة، و ليدكر من كان له قلب!! و اعلّموا أن مثل هذه الأخبار لا تكون مفتعلة، و كيف أفتعل مثل هذه الأخبار في عائشة و لم يفتعل مثلها في عليّ [و إنما مهّدنا ذلك] لتعلموا أنه لو كان سبيلها التخرّص و التقوّل لجاز لمن خالفه عليه مثلها، و هذه روايتكم لا تدفعونها / ١٥ / و الكذب من عليّ و المهاجرين و الأنصار أبعد، و من الأعراب و الطعام، و جند المرأة أقرب.

يقول عليّ رضي الله عنه و هو بالمدينة: «ستنبحها كلاب الحوآب» و تقول هي - لما رأت الماء و نبحتها كلاب الحوآب -: «سمعت النبي صلى الله عليه و سلم» [و ذكرت] ما ذكرناه آنفا، [ثم قالت]: «ثم دعا بعليّ فناجاه».

هل يكون بيان أوضح [من هذا] من أن عليا لم يقدم و لم يحجم، و لم يقل، و لم يسكت إلّا بأمر من الرسول صلى الله عليه و سلم.

ثمّ قوله: «لئن ظفرا بالأمّ - يعني الزبير و طلحة - ليضربنّ بعضهم بعضا» «٢».

و قد كان من تشاحهما على الصلاة و قتالهما عليها ما يحقّق قوله رضي الله عنه.

(١) و القصة من أعلام نبوة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم حيث أخبر بها نحوًا من أربعين سنة قبل وقوعها، ف وقعت على وفق ما أخبر بها صلى الله عليه و آله و سلم. و هي من ضروريات فنّ التاريخ و الحديث، و قد رواها في كتاب فضائل الخمسة: ج ٢ ص ٣٦٩ عن مصادر كثيرة.

(٢) هذا نقل بالمعنى، و نصّ الحديث كما تقدّم آنفا: «فو الله لئن ظفروا بما يريدون - و لا يرون ذلك أبدا - ليضربنّ طلحة عنق الزبير، و الزبير عنق طلحة...».

ص: ٥٧

[استقبال الصحابي الكبير عمران بن حصين الخزاعي و أبي الأسود الدئلي أمّ المؤمنين عائشة بقرب البصرة و نصيحتهما لها و وعظهما إيّاها].

و ذكروا أن عائشة لما قربت من البصرة، لقيها عمران بن حصين الخزاعي صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أبو الأسود الدئلي، فلمّا دخلا عليها قالّا لها: يا أمّ المؤمنين! أبعهد من رسول الله صلى الله عليه و سلم خرجت من بيتك؟؟

ألم يبايع الناس لابن عمّ نبيّهم و وصيّ رسولهم و خير من تعلمون؟ فتركت بلد رسول الله صلى الله عليه و سلم و حرمة و أتيت البصرة؟! قالت جئننا نطلب بدم عثمان!! فقال لها عمران بن حصين: ليس بالبصرة أحد من قتلة عثمان. قالت: لكنهم مع عليّ بن أبي طالب، فجئنا لنقاتلهم فيمن تبعنا من أهل البصرة و غيرهم!! غضبنا لكم من السوط و العصا على عثمان، و لا نغضب لعثمان من السيف؟ فقالوا لها: و ما أنت من سيفنا و سوطنا و سوط عثمان و عصاه؟ إنما أنت حبيسة رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد أمرك الله أن تقرّى فى بيتك، و تذكرى ما يتلى فيه من آيات ربّك، فتركت ذلك و جئت تضربين الناس بعضهم ببعض؟ و لست من طلب الدماء و حضور القتال فى شيء؟

و عليّ أولى بعثمان منك! فقالت: و هل أحد يقاتلنى؟! قال: إى و الله قتالا أهونه الشديد، قالت: إنما جئت مصلحة ألم و لا أشعث، و أجمع و لا أفرّق!!

فقال لها عمران بن حصين: اتقى الله يا أمّ المؤمنين فإن الله إنما عظّمك و شرفك فى أعين الناس ببني هاشم، فاتقى الله و احفظى قرابة عليّ من رسول الله صلى الله عليه و سلم و حبّه إياه.

ص: ٥٨

قد بايع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم أباك، فرضى و سلّم و لم يخالف و لم ينكث «١» ثم جعله عمر سادس ستّة فرضى و سلّم. ثم كان من أحداث عثمان، و أمر الناس فيه ما قد علمت، و كنت أنت أشدّ الناس فيه قولا، و أكثرهم عليه تحرّضا.

ثم بايعه طلحة و الزبير و الناس، و اتّنا كتبهم بذلك فرضينا و بايعنا، فما الذى بدا لكم؟! فلم يكن عندها شيء أكثر من أن قالت لهما: القيا طلحة فهذا كلام من خالفه [و هو] يدل على تهمة قائله و خطئه، من قولها: «أتينا نصلح بين الناس» و الناس على هدوء و سكون، و سبيل استقامة و طاعة فى مصرهم و ما بينهم، فلما دخلوا المصر؛ أو غروا الصدور، و شتّوا الكلمة و عصّبوا القبائل، و دعوا إلى خلاف ابن أبي طالب، و قتلوا السبابة و غيرهم من أهل السوابق و الفضل.

فتدبروا أفاعيلهم تجدوها ناقضة لأقوابيلهم، منبهة لهم على مرادهم و بغيتهم.

فهذه أحوالهم قد كانت مكشوفة لأهل الفطنة و المعرفة، ثم انكشفت لأهل التقليد و الحيرة ممن لم يكن له معرفة عند انكشاف الحق، و حين وضعت الحرب أوزارها ازداد أهل الإيمان و المقتدون بالإمام بصيرة و يقين، و رجع المفرطون إلى التلهف و الأسف و الندامة، و ارتهن الماضى منهم بعمله، و تبرّأ الذين اتّبعوا من الذين اتّبعوا، و رأوا العذاب و تقطعت بهم الأسباب، و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب / ١٦ / ينقلبون.

فارجعوا رحمكم الله إلى الأخذ بما تعرفون، و اعرفوا للفاضل فضله، و للمحقّ حقّه، تكونوا فى حزبه، فاتّقوا الله و كونوا مع الصادقين.

(١) أمّا عدم مخالفة أمير المؤمنين علىّ عليه السلام عملا مع القوم فمسلّم، و أمّا رضاه عليه السلام عنهم فلا.

و قد تقدّم في ص ٤٦ ذكر شواهد جمّة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في شكايته عنهم، و أنّهم ظلّموه و غضبوا حقّه. فلمّا لم يجد أنصارا يصول بهم لاسترداد حقّه سكت و اغضى على القذى و صبر من كظم الغيظ على أمر من العلقم، و ألم من حزّ الشفار!!! فمن هاهنا إن ثبت أن عمران و أبا الأسود قالاه لأئمّ المؤمنين، فالمراد منه لازمه و هو عدم قيام علىّ عليه السلام لمخالفة القوم عملا. لا أنّه كان راضيا عنهم.

ص: ٥٩

فلو أردنا أن نذكر لكم كل ما في هذه الأبواب بالتقصّي لطال ذلك، و لكنّا نذكر من كل باب جملة كافية و صفات شافية. ثم انظروا في سير أمير المؤمنين و حروبه، فاعتبروا بفعله و قوله، فإنكم تجدونه أوفى الناس بذرّة، و أعدلهم سيرة، و أحسنهم عفوا عند المقدرة، و أدهم إلى النصفة، و أصبرهم على محنة، و أصدعهم بأمر الله.

ص: ٦٠

[كتاب الإمام علىّ بن أبي طالب عليه السلام إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري لما صح عنده مسير طلحة و الزبير إلى البصرة و أمره إياه بالحسنى. و بعض مكارم أخلاقه مع أصحاب الجمل].

كتب «١» [عليه السلام] عند ما صحّ عنده من مسير القوم إلى البصرة - و نكتهم و خروجهم من طاعته - إلى و إليه بالبصرة:

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف أمّا بعد فإن النكتة لما عاهدوا الله [عليه] نكتوا. ثم توجّهوا إلى مصر، و سائقهم الشيطان يريدون ما لا يرضى الله به، و الله أشد بأسا و أشد تنكيلا، فإن قدموا مصر فادعهم إلى الحق و الرجوع إلى الوفاء بعهد الله و الميثاق الذي بايعوا عليه، فإن فعلوا فأحسن جوارهم، و مرهم بالانصراف إلى المكان الذي أقبلوا منه، و إن أبوا و تمسّكوا بحبل النكت فقاتلهم حتى يحكم الله بينك و بينهم «٢».

ثم إن عليا رضى الله عنه ظفر بهم فلم يجهز على جريحهم، و لم يفتح منازلهم، و لم يتبع المولى منهم، و لم يغنم أموالهم. يتبع حكم الله فيهم في الأحوال كلها.

ثم دعا بمحمد بن أبي بكر، و عمار بن ياسر، و أمرهما بأن يكونا قريبا من عائشة فإذا انكشف القوم دنوا منها، و دفعوا الناس عنها، و يستروها، لأن لا يبدو للناس من أمرها ما لا يحلّ حفظا لها و رفقا بها.

ثم أخرى قد تعلمونها لا يمكنكم دفعها، و لا يقبل قلوبكم غيرها، أن الرجل القاسى

(١) هذا هو الظاهر من السياق، و ظاهر رسم الخط من الاصل المخطوط: «يكتب» و يساعد رسم الخط أيضا ضعيفا أن يقرأ: «فكتب».

(٢) و رويناه عن مصدر آخر في المختار: (١٤) من باب الكتب من نهج السعادة: ج ٤ ص ٤٢

القلب، المنهمك في الشرّ إذا نزل به ملك الموت رقّ قلبه، و استغفر ربّه من معصية إن عملها، أو شبهة إن كانت.

قد علمتم أن عمر بن الخطاب قد ندم في مرضه على أمور كثيرة، و دعا عليّ بن أبي طالب، فسأله عن رضائه عنه، و قال: إن بقيت صرت إلى التسوية بين الناس.

و هذا أبو بكر يقول في بعض كلامه: إذا أنا زلت فقوّموني فإن لي شيطاناً يعتريني فإذا غضبت فتنحوّ عني، لا أؤثر في أشعاركم و لا أبشاركم «١».

و [هذا] عمر يقول: أنشدكم بالله هل تعرفوني عدلاً؟ يقولها ثلاثاً.

و هذا الزبير و ما كان من نصرته عند توقيف عليّ له «٢».

و ذكروا أن رجلاً قال لعليّ- رضي الله عنه و عن جميع المؤمنين - عند ما اشتدت الحرب، و بلغت [ما بلغت] من القوم: يا أمير المؤمنين أي فتنة أعظم من هذه؟

إن البدرين يمشى بعضهم إلى بعض بالسيف!!

فقال له عليّ رضي الله عنه: أفتنة هذه و يحك و أنا قائدها و أميرها؟؟! و الذي أكرم محمداً بالحق صلى الله عليه و سلم، ما كذبت و لا كذبت، و لا ضللت و لا ضلّ بي، و لا زلت و لا زلّ بي، و إني لعلّ بيّنة من ربي، بيّنها الله لرسوله و بيّنها رسوله صلى الله عليه و سلم لي، و ليكفرنّ عني ذنوبي ما أنا فيه من قتالهم.

و هذه عائشة و ما تظهر من ندامتها و بكائها، و قولها: لوددت أن الله أمتني قبل ذلك بعشرين سنة.

هذا مع قولها في عمار: سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول: إن الجنة تشتاق

(١) هذا هو الصواب، و الأبشار: جمع بشرة: ظاهر الجلد. و في الأصل: «أشباركم...».

(٢) لفظة: نصرته «رسم خطّها غير واضح في أصلي».

إلى أربعة: أحدهم عمار بن ياسر «١».

فقال لها رجل من ثقيف: كيف كنت صانعة يا أمّ المؤمنين لو أنه قتل عند جملك؟! و ما يؤثر عن طلحة و إقراره بالخطأ، و قوله عند الموت: ما رأيت شيخاً أخطأ مني، و قد عنا الله [بنا] بهذه الآية: «و اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» [٢٥ / الأنفال: ٨].

و علىّ مستبشر بما فعل، جادّ مجتهد مسرور بما رزقه الله من الصبر على جهاد من بغى عليه، مبشّر لأصحابه مرغّب.

تلك حاله في السّراء و الضراء، شاكر ذاك صابر، محتسب حتى / ١٧ / لقي الله مفقودا شهيدا صلوات الله عليه صلاة تامّة زاكية مرضية، و ألحقه بنبيّه محمد صلى الله عليه و آله و سلم تسليما.

[و] قد قلنا في الإمامة بما فيه البيان و الكفاية، و الحمد لله على منّه و إحسانه حمدا كثيرا، و شكرا أبدا سرمدا

(١) انظر الحديث: (٣٣١) و تواليه من مناقب ابن المغازلي ص ٢٩٠. و الحديث: (٦٥٨) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ١٧٨، ط ١.

ص: ٦٣

[البيان التفصيلي لأفضلية الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام على جميع البشر بعد الأنبياء و الرسل، لاحتوائه على أصول المكارم، و اشتماله على أساس المحاسن مما قد تفرّق في غيره، و استغنائه عن غيره، و احتياج غيره إليه].

و بعد فمن سألنا من أصناف أهل النظر في تقديم عليّ بن أبي طالب على جميع البشر بعد النبيين و المرسلين «١» و قال: قد طعنتم فيما قلنا [ه] فأثبتوا قولكم بحجج لا يمكن دفعها، و أبينوا صاحبكم بفضيلة يكون بها على غيره مقدّما.

قلنا: ذلك لكم علينا، و نحن ذاكرون - و بالله نستعين - من أموره أمورا مكشوفة لا تدفع، و حججا قويّة لا تردّ، و ما توفيقنا إلا بالله، و هو حسبنا، و إياه نسأل تأييدنا.

فقد عرفتم أن فضل الفاضل، و منزلة المتقدّم، إنما يكون بفضل و تفضل باجتماع مناقب الخير فيه، و احتوائه على الفضائل، فيجتمع فيه ما يتفرّق في غيره، فلا يكون له مساو فيما جمع، و لا نظير فيما حوا [ه].

و تفسير المناقب و الخصال التي بها يجب فضل الفاضل ما لا ينكرونه أمور أولها:

العلم بالله و دينه، و الذبّ عن توحيده، و القيام بحجّته على من عند عنه، و في تحقيق ذلك يقول الله: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» [٩ / الزمر: ٣٩] «٢»

(١) و انظر عنوان: «علىّ خير البرية» و انظر أيضا الحديث (٩٦٠) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٤٤٤ و ما حولها من ط ١.

(٢) و قال تعالى في الآية: (٥٠) من سورة الأنعام: ٦: «هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ أَمْ لَا تَتَفَكَّرُونَ».

و قال تعالى في الآية: (١٦) من سورة الرعد: ١٢: «هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ؟ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَ النُّورُ». و بسياقهما الآية: (١٩) من سورة فاطر، و الآية: (٥٨) من سورة فاطر غافر.

و قال: «أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ» [١٩ / الرعد: ١٣] و قال: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» [٢٨ / فاطر: ٣٥].

ثم بعده التقدم فى الإسلام، و فى تحقيق ذلك يقول الله: «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا، وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى» [١٠ / الحديد: ٥٧].

ثم جهاد العدو، و فيه يقول [الله تعالى]: «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» [٩٥ / النساء: ٤].

و قال: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [١] «فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [١١١ / التوبة: ٩].

ثم الصبر على البأساء و الضراء، و كظم الغيظ، و فيه يقول الله تبارك و تعالى: «وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا، وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» [١٧٧ / البقرة: ٢].

و قال: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا [وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] » [٢٠٠ / آل عمران: ٣].

[و قال تعالى:] «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» [٢] «.

(١) إلى هنا ذكرها فى الأصل ثم قال: إلى قوله: «فاستبشروا ببيعكم الذى

(٢) و هذه هى الآية: (١٥٥-١٥٧) من سورة البقرة، و المصنف ذكر كلمتين منها فى المتن.

[و قال جلّ و علا:] «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» [٣٥ / الأحقاف:

[٤٦].

[و قال عزّ شأنه:] «وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ» [١٣٤ / آل عمران:

[٣].

ثم العبادة بالزهد و الصوم و الصلاة و المسارعة فى أعمال البرّ.

فهذه مناقب الفضل، و منازل الخير، فهي مذكورة في القرآن بالجملة و التفسير، فمن حازها و جمعها فهو المتقدم بها [على] الناس باجتماعها.

ص: ٦٦

[أفضليّة عليّ عليه السلام من غيره من جهة سبقه إلى الإسلام، و اعتناقه به حيثما كان غيره يعبد الأصنام].

فنبتدئ بذكر تقدّمه في الإسلام فإنّ الناس مختلفون «١» في أبي بكر و عليّ، و قد أجمعوا أنّ عليّاً أسلم قبله «٢» إلاّ أنهم زعموا أنّ إسلامه كان و هو طفل فقد وجب تصديقنا في أنّه أسلم قبله. و دعواهم في أنّه كان طفلاً غير مقبول إلّا بحجّة «٣».

فإنّ قالوا: و قولكم: إنّّه أسلم و هو بالغ، دعوى مردودة.

قلنا: الإسلام قد ثبت له، و حكمه قد وجب بالدعوة و الإقرار و لو كان طفلاً لكان في الحقيقة غير مسلم، لأنّ أسماء الإسلام و الإيمان، و أسماء الكفر و الضلال و الطاعة

(١) هذا هو الظاهر و في الأصل: «بذكر التقدمة في الإسلام فإنّ الناس يختلفون...».

(٢) و بعد الإجماع الأخبار أيضاً بذلك متواترة فانظر الحديث: (٥٩ - ١٤٠) و ما علقناه عليها من ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ١، ص ٤١ - ١١٧، ط ٢.

و انظر أيضاً الباب: (٢١) من الفصل: (٢) من كتاب غاية المرام ص ٩٩ ط ١، و الباب (٦٥) من البحار: ج ٩ ص ٣٢٥، و في ط الحديث: ج ٣٨ ص ٢٠١ ط ٢ و ذيل إحقاق الحق: ج ٤ ص ٢٩، و ذكره أيضاً في ج ٥ ص ٤٩٣، و في: ج ٧ ص ٤٩٣.

و قد ذكر المصنف أيضاً قطعاً كثيرة من هذه الأقمار المنيرة مسندة في ردّه على عثمانية الجاحظ المطبوع في آخرها ص ٢٨٢.

و قد رواها عنه ابن أبي الحديد في شرح الخطبة القاصعة - و هو المختار: (٢٣٨) من نهج البلاغة -:

ج ٣ ص ٢٥٠ طبع القديم بمصر، و في الطبع الحديث: ج ١٣، ص ٢١٩ ..

(٣) و هذا الفصل و أكثر ما يأتي بعد ذلك ذكرها المصنف في ردّه على عثمانية الجاحظ و لكن بألفاظ أجود مما هاهنا.

ص: ٦٧

و المعصية، إنّما يقع على العقلاء البالغين دون الأطفال [و المجانين] «١».

و حجة [أخرى] أيضا: إن الله لم يرسل رسولا إلى الأطفال و المجانين، فلمّا رأيناه قد قصد صلى الله عليه و سلم إلى علىّ بن أبى طالب فدعاه إلى الإسلام، و أمره بالإيمان و بدأ به قبل الخلق علمنا انه عاقل بالغ، و أن الأمر له لازم.

فإن قالوا: و ما تتكروّن أن يكون ذلك منه بالتأديب كما يكون / ١٨ / ذلك منّا إلى أطفالنا على جهة التعليم.

قلنا: ذلك من قولكم غير جائز و إنما ذلك يكون منّا عند تمكّن الإسلام بأهله و عند ظهوره و النشوء و الولادة عليه، فأما فى دار الشرك و الحرب فليس يجوز ذلك، فالنبيّ صلى الله عليه و سلم لم يكن ليدع ما أرسل به و يقصد إلى دعاء الأطفال و الدار دار شرك و كفر، فيشتغل بالتطوّع قبل أداء الفرض [و] ذلك عنه منقرّ صلى الله عليه و سلم.

و ما باله لم يدع طفلا غير علىّ بن أبى طالب؟! و ليس فى السنّة أن يدعى أطفال المشركين إلى الإسلام، و يفرّق بينهم و بين آبائهم قبل أن يبلغوا الحلم.

و حجة [أخرى] أيضا. إن منزلة النبيّ صلى الله عليه و سلم كانت فى بدء الدعوة منزلة ضيق و وحدة و غربّة و شدّة، و هذه منازل لا ينتقل إليها إلّا من قد تمكّن الإسلام عنده بحجّته، و دخل اليقين قلبه بالعلم و المعرفة، و شأن الطفل اتّباع أهله، و تقليد قرابته، و المضىّ على منشئه و مولده، و أن لا يدخل فيما تزعجه المعرفة، و تميل إليه النفس باليقين و العلم و العاقبة «٢».

(١) ما بين المعقوفين مأخوذ مما ذكره المصنف فى ردّه على عثمانيّة الجاحظ، و زاد بعده: و إذا أطلقتم و أطلقنا عليه اسم الإسلام، فالأصل فى الإطلاق.

الحقيقة كيف و قد قال له النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: أنت أوّل من آمن بى و صدّقنى. و قال لفاطمة:

زوّجتك أقدمهم سلما. أو قال: إسلاما.

(٢) و لأبى جعفر رحمه الله فى ردّه على عثمانيّة الجاحظ ها هنا أدلّة فطريّة. و أبحاث وجدانيّة يصدّقها كل عاقل

ص: ٦٨

فإن قالوا: إن عليّا قد كان يألف النبيّ صلى الله عليه و سلم، فوافقه على طريق المساعدة.

قلنا لهم: و إن كان يألفه، فلم يكن إلفه [به] بأكثر من [إلفه] أبويه و إخوته و عمومته و أهل بيته «١» و لم يكن الإلف ممّا يخرجّه عمّا نشأ عليه و غدّى به، و لم يكن الإسلام ممّا غدى به، و كثر على سمعه.

و وجه آخر: إن الإسلام لا يكون إلّا بخلع الأنداد و الأصنام، و كل معبود من

سلمت فطرته و لم يعقد قلبه على بغض الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و مشاققة الحقائق، و آثرنا أن نذكرها هنا جملاً منها، قال:

و ما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه، و لم يلصق بأشكاله، و لم ير مع الصبيان في ملاعبهم بعد إسلامه، و هو كأحدهم في طبقته، كبعضهم في معرفته؟! و كيف لم ينزع إليهم في ساعة من ساعاته؟ فيقال: دعاه نقص الصبا و خاطر من خواطر الدنيا، و حملته الغرة و الحداثة على حضور لهوهم، و الدخول في حالهم!! بل ما رأيناه إلّا ماضياً على إسلامه، مصمّماً في أمره، محققاً لقوله بفعله، و قد صدق إسلامه بعفافه و زهده، و لصق برسول الله صلى الله عليه و آله من بين جميع من [كان] بحضرته، فهو أمينه و أليفه في دنياه و آخرته، و قد قهر شهوته و جاذب خواطره صابراً على ذلك نفسه لما يرجوه من فوز العاقبة، و ثواب الآخرة.

(١) هذا هو الصواب، و في الأصل: «أبوته...». و ما بين المعقوفين زيادة توضيحية منّا.

و قال المصنف في ذيل ما ذكرناه الآن عنه في نقض عثمانية الجاحظ:

ثم لينظر المنصف، و ليدع الهوى جانبا، ليعلم نعمة الله على عليّ عليه السلام بالإسلام حيث أسلم على الوضع الذي أسلم عليه، فإنّه لو لا الألطاف التي خصّها بها و الهداية التي منحها له؛ لما كان إلّا كـبعض أقارب محمد و أهله صلى الله عليه، فقد كان ممازجاً له كـممازجته، و مخالطاً له كـمخالطته كثير من أهله و رهطه، و لم يستجب أحد منهم له إلّا بعد حين، و منهم من لم يستجب له أصلاً...

و ساق الكلام في تسمية من استجاب النبيّ و من لم يستجبه من عشيرته إلى أن قال:

فكيف ينسب إسلام عليّ عليه السلام إلى الإلف و التربية و القرابة و اللحمة، و التلقين و الحضانة، و الدار الجامعة، و طول العشرة، و الأُنس و الخلوة، و قد كان كل ذلك حاصلًا لهؤلاء، أو لكثير منهم، و لم يهتد أحد منهم إذ ذاك، بل كانوا بين من جحد و كفر و مات على كفره، و من أبطأ و تأخّر و سبق بالإسلام، و جاء سكيناً و قد فاز بالمنزلة غيره.

و هل يدلّ تأمل حال عليّ عليه السلام مع الإنصاف إلّا على أنّه أسلم لأنّه شاهد الأعلام، و رأى المعجزات و شمّ ريح النبوة، و رأى نور الرسالة، و ثبت اليقين في قلبه بمعرفة و علم و نظر صحيح؛ لا بتقليد و لا حميّة و لا رغبة و لا رهبة، إلّا فيما يتعلّق بأمور الآخرة.

ص: ٦٩

دون الله و البراءة ممن أشرك بالله و هذا لا يجتمع في اعتقاد طفل، بل قد يشتد اجتماع ذلك عند العقلاء البالغين إلّا من آثر الحجّة، و رغب في العاقبة، و خاف عذاباً لا طاقة له به.

و إن قالوا: فكيف أوجبتم له حكم البلوغ و حكم النبيّ صلى الله عليه و سلم في البلوغ كان في خمس عشرة سنة، و لم تكن هذه سنّ عليّ بن أبي طالب؟ و ذلك أنّ حكمه كان يوم الخندق في إجازته من أتت عليه خمس عشرة سنة «١».

قلنا لهم: إن آخر حد البلوغ هو [إكمال] خمسة عشر سنة، و آخر حد البلوغ آخر و أوسط يعلمه الله و يعلمه النبي صلى الله عليه و سلم، و كان الحكم فى خمس عشرة سنة جعله الله حكما وقف العباد عليه، لأن أقل الخلق عقلا و أنقصهم طبعاً فى القوة على المعرفة يتم بلوغه فى خمس عشرة سنة.

و فى الناس تفاضل فى سرعة البلوغ و كمال العقول فأول حد البلوغ هى منزلة على ابن أبى طالب بعد النبي صلى الله عليه و سلم و هى ثلاث عشرة سنة، و آخر حد البلوغ هى منزلة عبد الله بن عمر و هو خمس عشرة سنة، و بين ذلك وقت البلوغ على قدره لتفاضل الناس فى العقول و ذلك معروف فى التعارف و العادة و ما عليه الصغار و الكبار من التفاضل فى الحفظ و العلم و الفطن و البلوغ من الاحتلام و الحيض و ذلك أيضا معروف فى صفة الصبيان فى الكتابات و الصناعات [فإنهم] مختلفون فى حفظهم و قوتهم على التعليم، و قد يوظف المعلم على كل صبي ما يحتمله حفظه، و تضبطه معرفته.

و لله أحكام كثيرة هى مثال ما قلنا [ه] فى البلوغ، فى أن البلوغ حد له أول و آخر

(١) انظر لى ما ذكره أبو جعفر فى ردّه على عثمانية الجاحظ فى سرد الأخبار الدالة على كميّة عمر على عليه السلام حين أظهر إسلامه.

و ليلاحظ أيضا الحديث: (٦٤ - ٦٩) و تعليقها من ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ١، ص ٤٤ - ٤٦ ط ٢.

ص: ٧٠

و واسط، كما حكم صلى الله عليه و سلم فى وقت صلاة الظهر أن أوّله أن يكون ظل كل شىء مثله، و آخره أن يكون ظل كل شىء مثليه، و قال صلى الله عليه و سلم: ما بين هذين وقت لأمتى. و كذلك ما وقت فى صلاة العصر على هذا المثال.

قلنا: فقد أبان الله على بن أبى طالب رضى الله عنه و عن جميع المؤمنين فى عقله فجعله أول الناس بلوغاً بعد النبي صلى الله عليه و سلم و أقدمهم إسلاماً، و كان فى سن الأطفال، و عقول البالغين، فبان عقله و تقدم فى إسلامه و تكليفه.

و أنتم قد تعلمون أن منزلة النبي صلى الله عليه و سلم فى البلوغ / ١٩ / و العقل ليست كمنزلة الخلق، كذلك كان فى صغر سنّه يعرف بالوقار و الحلم و الوفاء و الصدق و الرجاحة فى علمه.

[و إنما أطلنا الكلام] ليعلموا أن حكم البلوغ يختلف، و أن الناس يتفاضلون فيه، فمنزلة النبي صلى الله عليه و سلم لم يلحقها أحد، و منزلة علىّ دونها لم يلحقها أحد. ليعلموا أن أموره عند الفكرة فيها و الاستنباط لها منزلة على البينة من الناس و القرب من النبي صلى الله عليه و سلم لذلك استحق أن يكون منه بمنزلة هارون من موسى - صلوات الله على محمد و على من تقدمه من الأنبياء - و قد رويتم أنّه اصطفاه لأخوته، و قال:

علىّ منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدى «١».

و قد رويتم ما قلنا [ه] في الأثر: ذكروا أن علياً دخل على النبي صلى الله عليه وسلم، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم و خديجة يصليان، فلما فرغ قال له علي: ما هذا الذي رأيته؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا دين الله - يا علي - الذي بعثني به فأدخل فيه. فقال له علي بن أبي طالب: انظرني حتى أتفكر فيه الليلة.

(١) و الحديث متواتر بين شيعة آل أبي سفيان فضلا عن تواتره بين شيعة أهل البيت صلوات الله عليهم. و يكفيك مراجعة الحديث: (٣٣٦) و تواليه من ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ١.

ص ٣٠٦ - ٣٩٤ ط ٢.

ص: ٧١

فأنظره، ثم أصبح مسلما بعد الروية و الفكرة.

فليس هذا فعل طفل و لا جوابه، و لا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم دعاء طفل.

و يروى عن زيد بن علي عليه السلام، أن عليا أتى بسلام قد سرق فقال: حلّوا مئزره و انظروا إليه. فنظروا فلم يجدوا شيئا، فقال حلّوا سبيله، و قال: الغلام إذا أتت عليه اثنتا عشر سنة جرى عليه الحكم و له فيما بينه و بين الله، و الجارية إذا أتت عليها عشر سنين جرى عليها [الحكم] و لها فيما بينها و بين الله، و إذا بدت العانات جرت الحدود.

فهذا في الأثر قد أتى و إن كان ما قلنا [ه] قد وجب بحجة الخبر، و دللنا على معرفته بالقياس و حسن النظر.

و في مثله و تحقيقه يؤثر عن أسماء بنت عميس، قالت: كنّا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ظهره إلى قبة ثم قال: لأقولنّ اليوم كما قال أخى موسى صلى الله عليه وسلم: اللهم اغفر لى ذنبي، و اشرح لى صدرى، و اجعل لى وزيرا من أهلى عليا أخى اشد به أذى، و أشركه فى أمرى، كى نسبك كثيرا، و تذكر كثيرا، إنك كنت بنا بصيرا «١».

فأشهد أن الله قد أجابه و شفع مسألته، ثم أمره بأن يشهر ذلك لأُمَّته فى حجة الوداع تأكيدا و إظهارا لأمر الله، لتقوم بذلك الحجة على الخليقة، و ينقطع عذر الناصبة النابتة و المرجئة، فقام خطيبا فقال: أ لست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: اللهم نعم.

فقال: أ لست أولى بكل مؤمنة من نفسها؟ «٢» قالوا: اللهم نعم. فأخذ بيد عليّ و قال:

(١) اقتباس من الآية: (٣٠ - ٣٣) من سورة «طه».

و الحديث رواه الحافظ الحسكاني فى تفسير الآية الكريمة من شواهد التنزيل بأسانيد، و رويناه أيضا فى تعليقه عن مصادر بأسانيد.

(٢) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «أ لست أولى بكل مؤمن و مؤمنة...».

و هذا هو حديث الغدير المتواتر بين المسلمين، فانظر الحديث: (٥٠١) و تواليه من ترجمة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٥.

ص:٧٢

من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه.

فهذا يصدق ما قلته من الرواية، و يقطع علّة كل معتلّ يلتمس إدخال شبهة من أهل الكلام و النابتة و المرجئة، لأن هذا خبر قد بانت حجّته، و ثبتت أسبابه و أركانه، و ما قلنا [ه] من طريق النظر فقد تقصّينا بما فيه كفاية مما لا يمكن للمخالف أن يدخل في ذلك شبهة، و ثبت ذلك بحجّة واضحة بغاية ما يكون للمخالفين من الدحل - فنحمد الله على ما أعطى و أنعم - ففضيلة السبق في الإسلام قد ثبتت [لعليّ] و صحّت.

و في الإسلام فضيلة أخرى [لعليّ] تتلو ما تقدّم، و هو أن إسلام أبي بكر كان عن كفر تقدّم، و إسلام عليّ عن غير خطأ و زلل «١» فكيف لا تكون هذه فضيلة ثابتة و قد بانت بها الرسل قبله، تكون معها الرسالة، كيف لا تكون لعليّ فضيلة لأنّها من معاني الطهارة، و زوال التهم، و ازدياد في الحجج.

فإن قال قائل: فأنت أفضل من أبي بكر / ٢٠ / لأنك أسلمت لا عن كفر، و أسلم أبو بكر عن كفر.

قلنا: ليس ما قلت قياساً [صائباً] لأن أبا بكر و عليّاً كانا في زمن واحد بين قوم مشركين، أحدهما قد نشأ و عقل فبعد «٢» و قصر و أشرك و كفر - و لله عليه في تلك الحال حجج من قبل الرسل قائمة -.

و عليّ في تلك الحال قد نشأ في دار الشرك و الكفر كما نشأ أبو بكر، فلما قرعته الحجّة أسلم و لم يجحد، و آمن و لم يكفر و منزلتى مخالفة لهذه المنازل، لأنّى إنما نشأت في دار الإسلام و الإيمان، و ولدت

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل عن غير خطأ و لا زلل...».

(٢) لعلّ هذا هو الصواب، و في الأصل: «فبعداً» مهملة. و يحتمل أيضاً أن الأصل كان: «فعند» فصحبها الكاتب.

ص:٧٣

على ذلك، و تلك منزلة الأب و الأم [و] ليس بتلك المنزلة عليّ بن أبي طالب و أبو بكر [لأنهما] استويا في الولادة في دار الشرك، و في كفر الأب و الأم، ثم اختلفا في الإسلام، فخلص له الفضل على أبي بكر، إذ انفقت العلل و الأسباب، و اختلفا في الكفر و الإيمان.

و فرق [آخر] أيضا فيما سألتهم عنى و عن أبى بكر و ذلك لأن أبا بكر قد بان منى بأمر كثيرة لا أقاس أنا به، و أكون بهذه الخصلة مقدما عليه، فلو كنت له مساويا فى الأمور كلها خلاف هذه الخصلة لكنت منه باينا.

و أمور علىّ كلها تؤكّد تقدّمه عليه و فضيلته فى الخصلة التى ذكرناها.

فإن قال قائل: قد نجد لأبى بكر فضيلة فى السبق ليست لعلّى «١» بدلالة الآية:

[١٠/ من سورة الحديد] و هى قوله: «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى» لأنه أسلم أبو بكر و هو ذو مال فأنفقه على النبىّ صلى الله عليه و سلم و المؤمنين حتى قال: لقد نفعنا مال أبى بكر.

قلنا: إن الله لم يذكر إنفاق المال مفردا، و إنما قرن معها «٢» فضيلة بان بها علىّ أبى بكر و هو سبق علىّ إلى القتال فلما قرن الله الإنفاق مع القتال و كان لأبى بكر الإنفاق «٣» دون القتال حصلت الفضيلة لعلّى بن أبى طالب بالقتال.

(١) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «لأبى بكر فضيلة فى السبق بدلالة الآية...».

(٢) هذا هو الظاهر الموافق لما سنذكره عن نقض العثمانيّة، و فى الأصل: «إن الله إنما ذكر إنفاق المال مفردا و قد قرن معها فضيلة...».

(٣) هذا من باب المجاملة و التسليم للخصم جدلا، و إلّا لم يعهد لأبى بكر إنفاق أبدا، و الدليل على عدم كون أبى بكر من المنفقين هو تقاعده مع أخذانه عن مناجات رسول الله مخافة أن ينقص من مالهم مقدار دائق أو أقل، من أجل التصدّق على الفقراء كيّ يحلّ لهم المناجاة مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فتركوا رسول الله وحده و لم يناج معه غير علىّ بن أبى طالب كان له دينار صرفه بعشرة دراهم، كلما أراد أن يناجى مع رسول الله تصدّق بدرهم حتى نسخت الآية الكريمة، و نزل فى ذمّ المسكين عن النجوى و التصدّق. قوله

ص: ٧٤

فإن قال قائل: و لم جعلت فضيلة القتال لعلّى إذ تفرّد بها و لا تجعل فضيلة الإنفاق لأبى بكر إذ تفرّد بها؟

قلنا: لأن الله قد ندبهما جميعا إلى القتال و لم يندبهما إلى الإنفاق فلا يلزم عليا التقصير فى الإنفاق لأن الله لم يندبه إليه، و وجب علىّ أبى بكر التقصير فى فضيلة القتال لأنّه مندوب إليه، و علىّ غير مندوب إلى الإنفاق، و لو كان لهما جميعا مال قد ندبا إلى الإنفاق منه، فأنفق أحدهما و لم ينفق الآخر كان صاحب الإنفاق أفضل، كما أنهما

تعالى: «أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات؟ فإذ لم تفعلوا و تاب الله عليكم» [١٤/ المجادلة].

فراجع تفسير الآية: (١٣) من سورة المجادلة من شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٢٣١ ط ١، حتى ينكشف لك توغل القوم في اللؤم.

و قال المصنف في ردّ فخفة العثمانيّة و بخبثهم لإنفاق أبي بكر:

أخبرونا على أيّ نوائب الإسلام أنفق [أبو بكر] هذا المال؟ و في أيّ وجه وضعه؟ فإنّه ليس بجائر أن يخفى ذلك و يدرس حتى يفوت حفظه و ينسى ذكره.

و أنتم لم تتقفوا على شيء أكثر من عتقه بزعمكم ستّ رقاب لعلّها يبلغ ثمنها في ذلك العصر مائة درهم.

و كيف يدعى له الإنفاق الجليل و قد باع من رسول الله صلى الله عليه و آله بغيرين عند خروجه إلى يثرب و أخذ منه الثمن في تلك الحال، روى ذلك جميع المحدثين.

و قد رويتم أيضا أنّه كان حيث كان بالمدينة موسرا. و رويتم عن عائشة أنّها قالت: هاجر أبو بكر و عنده عشرة آلاف درهم، و قلت: إنّ الله تعالى أنزل فيه: «و لا يأتل أولو الفضل منكم و السعة أن يؤتوا أولى القربى» [٢٢/ سورة النور: ٣٤] قلت: هي في أبي بكر و مسطح بن أثاثه.

فأين الفقر الذي زعمتم أنّه أنفق حتى تخلّل بالعباءة.

و أنتم رويتم أيضا: أنّ الله تعالى لما أنزل آية النجوى فقال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ» [١٣/ المجادلة]. لم يعمل بها إلّا عليّ بن أبي طالب وحده مع إقراركم بفقره و قلّة ذات يده، و أبو بكر في الذي ذكرنا من السعة أمسك عن مناجاته، فعاتب الله المؤمنين في ذلك فقال: «أ أشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات؟ فإذ لم تفعلوا و تاب الله عليكم».

فجعله سبحانه ذنبا يتوب عليهم منه. و هو إمساكهم عن تقديم الصدقة!!! فكيف سخت نفسه [أي أبي بكر] بإنفاق أربعين ألفا و أمسك عن مناجاة الرسول، و إنما كان يحتاج إلى إخراج [درهم أو] درهمين.

و ساق الكلام إلى أن قال: فأما قوله تعالى: «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ...» فقد ذكرنا ما عندنا من دعواهم لأبي بكر بإنفاق المال.

و أيضا فإنّ الله تعالى لم يذكر إنفاق المال مفردا و إنما قرن به القتال، و لم يكن أبو بكر صاحب قتال و حرب

ص: ٧٥

لما اتّفقا في ندبة القتال فقاتل أحدهما و لم يقاتل الآخر كان صاحب القتال أفضل.

فهذا في الحجّة مؤكّد لما تقدّم، و على مثال ما قلنا، بل أدلّ و أبين و قد استوت حاله فيما يمكن به القتال مع وجوب الأمر عليهما، ففضل من أقدم عن منزله من منزلة من أنفق إذ كان معدما و الآخر موجدا فقد استوت حالهما في الأمر في القتال

و قد مكّنا، و اختلفت حالهما فى المال فى العدم و الوجود، فالذى قاتل قد فضّل على من لم يقاتل إذ كانا جميعا قد ندبا إلى القتال و لم يكونا جميعا مندوبين إلى الإنفاق، فلم يفضل من أنفق على من لم ينفق، إذ لم يكن [الإنفاق] مأمورا به.

فتفهّموا ما قلنا، و الطفّوا فى النظر فما بقيت لكم غاية فى النقص إلّا و قد ذكرتها فرصت من المسألة إلى آخرها و حدّ الكلام فيها و لم أغنم تفصيركم عن غايتها و عجزكم عن القيام بها و تولّيت من أموركم كلّما سبق إلى قلبى أنّه يجرى فى عللكم و ألزمت نفسى الصدق فيما لى و لكم، و جانبى الهوى فى الميل عليكم ففعلت ذلك لخلال:

أولها: أداء ما يجب لله [على] من المبالغة فى الطلب و الاجتهاد فى النظر.

و الثانية: لأن ينقطع العلل و القال ممّن يدعى النظر فلا يقول: أغفل و قصر.

فلا تشمله الآية، و كان علىّ عليه السلام صاحب قتال و إنفاق قبل الفتح ...

أمّا قتاله فمعلوم بالضرورة، و أمّا إنفاقه فقد كان على حسب حاله و فقره.

و هو الذى أطعم الطعام على حبّه مسكينا و يتيما و أسيرا. فنزلت فيه و فى زوجته و ابنه سورة كاملة من القرآن [و هى سورة الدهر].

و هو الذى ملك أربعة دراهم فأخرج منها درهما سرّا. و درهما علانية ليلا، ثم أخرج منها فى النهار درهما سرّا و درهما علانية [كذا] فأنزل فيه قوله تعالى: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» [٢٧٤ / سورة البقرة].

و هو الذى قدّم بين يدي نجواه صدقة دون المسلمين كافة ...

و هو الذى تصدّق بخاتمته و هو راعى فأنزل الله فيه: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ. وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» [٥٥ سورة المائدة: ٥].

أقول: و ليراجع الأخبار الواردة حول شأن نزول هذه الآيات المباركات من كتاب شواهد التنزيل فإنّه مغن عن غيره. و يلقّم النواصب حجر الحجّة. و يجعل أفئدتهم هواء.

ص: ٧٦

و الثالثة: أردت أن أحاشيكم إلى مثل هذه الطريقة الواسطة / ٢١ / المثلى لتكون نحن و أنتم عليها فى النظر فيما اختلفنا فلا نتعدّى فى المقال، و لا نتعسف الكلام بالدعوى دون الحجّة و البيان و ترك الإنصاف.

و بالله لقد صدقتكم عن نفسى و محضت لكم نصحى، و لم أبق لكم علّة فى مبلغ اجتهادى، و بالله عصمتى و توفيقى.

و متى جعلتم الدعوى حجة و سلّحتم بالتعسف و المكابرة، تركناكم و الراضة، فقد يقصّر دعوكم عند دعوها، و تقلّون عن مناظرتها، و تضطّرّكم إلينا فأعينونا على نصحكم بالإنصاف و حسن التفهّم، و سأزيدكم فى فضيلة السبق شرحا يزيد فى إيضاح الحق تبيانا فأحضرونا أفهامكم.

قد تعلمون أنّ الله امتحن عباده بالشدة و الرخاء و النعمة و البلاء ليبلوهم أيّهم أحسن عملا.

فمما امتحن به عباده الفقر و الغنى فمنزلة علىّ الفقر، فى إسلامه، و منزلة أبى بكر الغنى فى إيمانه. فالغنى نعمة قد أوجب الله الشكر عليها، و فى الشكر عليها منازل:

منها أداء الفرض، و منها التطوّع بأبواب البر، و سدّ الخلّة، و مواساة أهل الحاجة.

و الفقر بليّة امتحن الله بها الفقير [و] قد أوجب الله الصبر عليها، و للصبر «١» منازل:

منها فرض، و منها تطوّع ..

قلنا: فأبو بكر قد جاز فى منزلة الشكر حدّ الفرض، و صار إلى التنقّل بماله، و التطوّع بإنفاقه «٢».

(١) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «فالصبر منازل ...».

(٢) قد تقدّم فى التعليق السالف أنّه دعى إلى إنفاق دائق ليناجى أفضل مخلوق و ينال أكرم مطلوب فبخل و أمسك، فمن بخل من إنفاق ما يطلق عليه الصدقة و لو أقل من دائق ليفوز بمناجاة أكرم خلق الله، و يستأنس به و يستنتج منه أغلى مواهب الله، كيف ينفق فى غيره؟ فالصواب أنّه بخل و استغنى.

ص: ٧٧

و كذلك علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه قد جاز بالصبر حدّ الفرض و بلغ من صبره بأن احتمل ما لم يحتمله غيره، و بذل من نفسه ما لم يكلفه، و ستذكر تفسيره فى موضعه إن شاء الله.

قلنا: فأسلم أبو بكر غنيا شكورا، و أسلم علىّ بن أبى طالب رحمه الله فقيرا صبورا، فأنى يكون أبو بكر فى إنفاقه المال مقدما؟!.

على أن بينهما فرقا لطيفا يوجب للصابر ما للشاكر، و لا يوجب للشاكر ما للصابر لأنه قد يقال للصابر علىّ البلاء: احمد الله و اشكره على ما ابتلاك به، و لا يقال لصاحب العافية: احمد الله و اصبر على الغنى و العافية.

و بمثل هذا قد يفرّق بين الأنصارىّ و المهاجرىّ، إن معنى الأنصارىّ قد دخل فى فعل المهاجرىّ بالنصرة لله و الرسول صلى الله عليه و سلّم، فالنصرة لله و رسوله داخل «١» فى فعل المهاجرىّ، و الهجرة لا تدخل فى فعل الأنصارىّ، [و] لذلك فإن المهاجرين أفضل من الأنصار و أرفع منزلة.

ففضل إسلام علىّ مع فقره على أبي بكر مع غناه كفضل المهاجرين على الأنصار لأن محنة الفقراء أعظم من محنة الأغنياء، كما أن محنة الهجرة أعظم من غيرها، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه و سلم بالفقر ممتحنا.

فأسلم علىّ بن أبي طالب مع فقره، و نابذ قومه مع فاقتة، و خلع الدنيا [عن نفسه] مع حدائته و حاجته، و كثرة دواعيه و نوازعه، فقمع الشهوة بصحة العزيمة، و أزال الوحشة بالانقطاع إلى الله، و اعتصم بالتقوى، و تقوى بالتوكل «٢» و فارق القرابة، و استبدل بها الأنس بالله، و كابد المشقة بحسن الفكرة، و استعمل الصبر بيقين القلب.

قلنا: فالفقر محنة عظيمة قد افتتن بها الخلق عامة، و هتكت ستر أكثر الخاصة،

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «و في فعل المهاجرى داخل...».

(٢) هذا هو الظاهر من السياق، و في الأصل: «و تعرى بالتوكل...».

ص: ٧٨

و بخاصة فقر من خرج من السعة إلى الضيق، و من الجماعة إلى الوحدة، و من الكفاية إلى من هو في مثل حاله في فقره، و قلّة ذات يده.

نعم ثمّ [كان] ينتقص بالفقر، و يعيّر به في وقت قد عمّ تمكّن الإسلام و اعتدل بأهله، و قوى بظهوره حين خطب النبيّ صلى الله عليه و سلّم لعلّى فاطمة عليهما السلام، عيّره قريش بالفقر، و قلّة المال، و ألقوا ذلك إلى فاطمة عليها السلام، حتى شكت / ٢٢ إلى أبيها، و قالت: «زوّجتنى أحدثهم سنّا، و أقلّهم مالا» «١» فقال لها: إنّ الله زوّجك [منه] «٢» من السماء، و لو علم خيرا منه لزوّجك منه.

فهيئات هيهات، من يصبر على محنة الفقر أيام حياته، و يقاسى عدم الكفاية أيام بقائه؟ إلّا من قلّت الدنيا في عينه، و باشر من حقائق الصبر ما سرّه، و قوى من قمع [هوى] النفس و زمّها، و حسن تأديبها على ما قوى عليه، رضى الله عنه و بيّض وجهه.

فلذلك أجرى الله على لسانه ينابيع الحكمة، و عرفه داء الدنيا و دواءها، و ما يحلّ بأهلها من أجل طلبها.

فتدبروا كلامه، و تفهّموا صفاته لتعلموا أن المعرفة الثابتة أدّته إلى هذه المنزلة [و] هو القائل في صبر العلماء، و ما يلقون من مصائب الدنيا في بعض كلامه لكميل بن زياد.

(١) كذا في الأصل، و انظر الحديث: (٣٠٧) و ما علقناه عليه من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ١، ص ٢٦٤ ط ٢.

(٢) هذا هو الظاهر و في الأصل: «إنّ الله زوّجه...». و ما بين المعقوفين زيادة منّا.

باب [فى بعض] ما [ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من ينابيع الحكم]

ذكر عن كميل بن زياد رحمه الله أنه قال: أخذ بيدي أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، فأخرجني إلى الصحراء، فلما أصرحنا، تنفّس الصعداء، ثم قال:

يا كميل بن زياد، إنّ أوّل من أسّس بنيان العمى و أدام توثب الجهل «١» تعسّفا فظنّ أنّه ظفر، و جاز عن دليل احكام الحق، فتدأكت عليه الأمور، و تقحّم فى المهالك، [و] يحسب أنّه قد أحسن صنعا، فتداولته الشبهات، و تعاورته الجهالات، فهو فى ظلما [ت] إذا أخرج يده لم يكد يراها، و من لم يجعل الله له نورا، فما له من نور، فرام إبطال حقّ تولى الله إثباته، و قامت العلماء [با] لله بحججه و براهينه، يمنعون عنه الظلم، و زخاريف أهل الهوى، و أباطيل أهل الخطاء، فأخّر ما قدّم الله، و قدّم ما أخّر الله، و نقض الميثاق، و فرق الجماعات فأرعد و أبرق.

ثم قال [عليه السلام] «٢»:

يا كميل إنّ هذه القلوب أوعية، و خيرها أوعاها، فاحفظ عنيّ ما أوصيك به، و لا تبغ بوصيتي بدلا:

(١) كذا فى الأصل، غير أنّ كلمة: «توثب» كانت فيه مهملة و المعنى غير واضح. و خبر «إن» أيضا غير مذكور فى الكلام، و لم نظفر بعد من القرائن المنفصلة على ما يبيّن به خبر «إن».

(٢) و الكلام التالى هو المختار: (١٤٧) من الباب: الثالث من نهج البلاغة، و هو متواتر عن كميل بن زياد رحمه الله، و له مصادر و أسانيد جمّة.

الناس ثلاثة: فعالم ربّانيّ، و متعلّم على سبيل نجاة، و همج رعا ع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، و لم يلجئوا إلى ركن وثيق.

يا كميل العلم خير لك من المال، العلم حاكم و المال محكوم عليه، و العلم يحرسك و أنت تحرس المال، و العلم يزكو على الإنفاق، و المال تنقصه النفقة.

يا كميل محبّة العلم دين يدان به، العلم يكسب به الطاعة فى حياته، و جميل الأحدثة بعد وفاته.

يا كميل هلك خزّان المال و هم أحياء؛ و العلماء باقون ما بقى الدهر، عيونهم مفقودة، و أمثالهم فى الناس موجودة، ثابتة راسخة «١» قال: ثم قال: أوه أوه و أوما بيده إلى صدره [ثم قال: إن هاهنا لعلماء جمّا لو أجد له حملة؟! بلى قد أجد لقنا غير مأمون عليه، مستعملا آلة الدين للدين، أو مستظها بنعم الله على أوليائه، و بحججه على كتابه، أو منقادا لأهل الحق لا بصيرة له فى أحنائه. يقدح الشك فى قلبه لأوّل عارض من شبهة «٢» - فلا ذا، و لا ذا، و لا ذا- و منهم من هو منهموم

باللذة، سلس القياد للشهوة «٣» أو منهوم بالجمع و الادّخار، ليسوا من رعاة الدين و العلم فى شىء، أقرب شبها بهم الأنعام السائمة «٤» كذلك يموت العلم بموت حامله، و موت حامله الترك لاستعماله،

(١) و فى نهج البلاغة: «هلك خزّان الأموال و هم أحياء، و العلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة، و أمثالهم فى القلوب موجودة، ها إنّ هاهنا لعلماء جمّا...».

(٢) هذا هو الصواب الموافق لنهج البلاغة و أكثر المصادر، و فى الأصل: «أو منقادا لأهل الحقّ لا بصيرة معه فى حياته، يقدر الشكّ فى قلبه لأوّل عرض عرض أو شبهة».

(٣) هذا هو الظاهر الموافق لجميع ما رأيناه من المصادر، و فى الأصل: «الشبهة».

(٤) هذا هو الظاهر الموافق للمختار: (١٤٨) من نهج السعادة، و فى الأصل: «ليس هو من رعاة الدين و العلم فى شىء أقرب شبهم بالأنعام السائمة...».

ص: ٨١

لأنّ من عصى الله أموات غير أحياء، و ما يشعرون «١».

[اللهم] بلى لا تخلو الأرض من قائم لك بحجّة يقوم بالحقّ و الصدق إمّا ظاهرا معلوما، و إمّا خائفا مقهورا، لئلا تبطل حجج الله و بيّناته، و كم و عسى؟ و أين؟

أولئك الأقلون عددا، و الأعظمون عند الله قدرا، بهم يحفظ الله حججه و بيّناته حتى يؤدّوها إلى نظرائهم، و يزرعوها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة «٢» فباشروا روح اليقين، و استلّنا ما استوعر منه المترفون / ٢٣ / و استانسوا بما استوحش منه الجاهلون، و صحبوا الدنيا أيام حياتهم، و قلوبهم معلقة بالمحلّ الأعلى «٣».

ثم قال: يا كميل اطلبهم. قلت: يا أمير المؤمنين و أين أطلبهم؟! قال: اطلبهم فى أطراف الأرض [تجدهم] قد اتّخذوا الأرض بساطا، و الماء طيبا، و اليقين زادا، و القرآن شعارا.

[تجدهم] رمص العيون، دنس الثياب، يقرضون الدنيا قرضا قرضا.

إن غابوا لم يتفقّدوا «٤» و إن حضروا لم يعرفوا، و إن خطبوا لم يزوّجوا، و إن قالوا استهدف بكلامهم.

(١) هذا هو الظاهر بحسب التركيب اللفظى، و فى الأصل: «و موت حامله التارك لاستعماله...». و الظاهر أنّ جملتى: «و موت حامله الترك لاستعماله لأنّ من عصى الله أموات غير أحياء و ما يشعرون» من زيادات الرواة، أو المصنف أو بعض الكتّاب، إذ هذه الزيادة لا توجد فى أى مصدر من المصادر التى رأيناها، و التأليف اللفظى أيضا فيها ضعيف ليس بقرة ما قبلها و ما بعدها.

و فى المصادر التى رأيناها كلها: «كذلك يموت العلم بموت حامله».

(٢) هذا هو الظاهر الموافق لنهج البلاغة، و فى الأصل: «على حقيقة الصبر...».

(٣) كذا فى الأصل، و الظاهر أن المصنف كتب الكلام من حفظه و من شأنه أن يتطرق فيه الزيادة و النقصان، و التقديم و التأخير، و السهو و النسيان، و التبديل و التغيير.

و فى نهج البلاغة و أكثر المصادر: «و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى».

و فى العقد الفريد: «و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالرفيق الأعلى

(٤) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «لم يفقدوا...».

ص: ٨٢

أولئك عباد الله حقّا حقّا [و] خلفاء الله فى أرضه، و الدعاة إلى دينه «١».

ثم قال «٢»: قد أصبحت فى عمياء مظلمة سوداء مزبدة، تقلّبكم [من] فينة إلى فينة «٣» قد تعلّقت عليكم أبوابها، و ذهبت ألباؤها، و ليس لكم فيها سبيل هدى، و لا تعرفون فيها سبيل نجاة، فأعلام دينكم طامسة، و آثار نبيكم دارسة، و المنكرات فيكم فاشية، زالت عنكم النعم، بترككم الطاعة، و الميل مع أهل الضلالة، و الركون إلى العاجلة.

فلو شكرتم الله على ما استخلفكم عليه من نصر دينه، و الذّبّ عن كتابه، لوفّاكم نعيم الدنيا، و ثواب الآخرة.

ثم قال «٤»: سلونى قبل أن تفقدونى.

فقام إليه رجل و هو صعصعة بن صوحان، فقال له: يا صعصعة «٥» اعقد أصابعك إذا أضاع الناس الأمانة، و أكلوا الربا، و شيّدوا البناء، و سفكوا الدماء، و استعملوا السفهاء على الأحكام، و كان الحليم ضعيفا، و الظالم مقتدرا، و الأمراء فجرة، و القراء فسقة، و ظهر الجورة، و كثر الطلاق، و قول البهتان، و حليت المصاحف، و زخرفت

(١) لم أجد هذا الكلام مرويا عن أمير المؤمنين عليه السلام برواية كميل إلّا فى هذا الكتاب، نعم هذا المتن قد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام بمغايرة جزئية برواية نوف البكالى كما فى المختار: (١٣٥ - ١٣٨) من نهج السعادة: ج ١، ص ٤٣٦ - ٤٤٩ ط ١، و له أيضا مصادر أخرى.

(٢) ظاهر سياق المصنّف يفيد أنّ الكلام متّصل بما قبله و ليس الأمر كذلك، و هكذا الأمر فى التوالى، و كان عليه أن يقول: و قال أيضا.

(٣) أى تقلّبكم من حال إلى حال أى من الصغر إلى الكبر، و من الضعف إلى القوة و من الصحة إلى المرض و هكذا.

و الفينة - بفتح الفاء - الحين و الساعة.

(٤) سياق كلام المصنف يفيد أن هذا الكلام تكلم به أمير المؤمنين عليه السلام بعد الكلام السابق بلا مهملة و تراخ و فصل، و ليس الأمر كذلك بل الكلامان منفصلان.

(٥) كذا في الأصل، و قد سقط هاهنا من الأصل سؤال صعصعة، و هذا نصّه أخذنا من المختار (١١٧) من نهج السعادة:

ج ٣ ص ٤٣٨، قال: فقام إليه صعصعة فقال له: يا أمير المؤمنين متى يخرج الدجال؟ فقال: ...

ص: ٨٣

المساجد، و حربت القلوب، و تقطعت العهود، و عملت المعازف، و شربت الخمر، و ركبت [ذات] الفروج السروج، و اكتفى الرجال بالرجال، و النساء بالنساء، و كان السلام للمعرفة و الشهادة من غير أن يستشهد [و] لبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، [و] قلوبهم أمر من الصبر، و أنتن من الجيفة، و التمس طمع الدنيا، بعمل الآخرة، و تفقه «١» لغير الدين، فالنجا النجا [و] الجدّ الجدّ هربا من الناس، نعم المسكن يومئذ عبّادان «٢» النائم فيها كالمجاهد في سبيل الله، من رابط فيها أربعين يوما و ليلة فقد أدّى ما يجب عليه، و من أشركني في رباط أربعين يوما و ليلة، أشركته في صحبتي محمدا صلى الله عليه و سلم، و على الأخيار من آله.

ثم قال: لما رأينا التدبير «٣» متصلا و التقدير معتدلا، علمنا أن للأشياء صانعا حكيما، و أستغفر الله لي و لك إذا شئت يا كميل [فانصرف].

فعلى هذه الجملة كان رضى الله عنه.

و ذكر عنه أيضا، رضى الله عنه أنه قال:

إنّ لله خالصة من عبادته، و نجباء من خلقه، و صفوة من بريته، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملكوت الأعلى، أولئك أشباه الروحانيين في الدنيا أمثالهم فينا قليل. أولئك نجباء الله من عبادته و أمناءه في بلاده، و الدعاة إلى معرفته، و الوسيلة إلى دينه، هيهات هيهات بعدوا و فاتوا، و وارثهم بطون الأرض و فجاجها.

على أنّه لم يخل الأرض من حجة لله على خلقه، لأن لا تبطل حجج الله و بيناته.

هيهات هيهات أولئك قوم اصطفاهم الله لمعرفة، فحجبهم عن عيون خلقه،

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما في المختار: (١١٦) من نهج السعادة: ج ٣ ص ٤٣٦ ط ١، و في الأصل: «و التفقه لغير الدين».

(٢) كذا هاهنا، و في المختار: (١١٧) من نهج السعادة: ج ٣ ص ٤٤٠: «نعم المسكن يومئذ بيت المقدس ...».

(٣) هذا هو الظاهر، و في الأصل «لما رأينا البدر متصلا ...».

و لم أر هذا الكلام مرويًا عن أمير المؤمنين برواية كميل إلّا هاهنا.

ص: ٨٤

و قطع بهم عن امتحان الصبر، و حاد بهم عن آفات الدنيا و فتنتها، ألا و هم الذين قطعوا أودية الشكوك باليقين، و جازوا ظلم الاشتباه بنور البصائر «١» و استعانوا على أعمال الفرائض بالعلم، و استدّلوا على فساد العمل بالمعرفة «٢» فهربوا عن وحشة الغفلة عمّا خلقوا له بالنقل، و تسربلوا العلم بأنقاء الجهل، و احتجزوا عن غرّة الاضطراب بخوف الوعيد، و جدّوا في صدق الأعمال لإدراك الثواب، و خلّوا عن الطمع / ٢٤ / الكاذب مع معانقة الهوى، و قطعوا منها الارتياح بروح اليقين، و استضاءوا بنور الآخرة في ظلم الدنيا [ظ] و أدحضوا حجج المبتدعين باتباع السنن، و بادروا بالانتقال عن المكروه قبل فوات الإمكان، و سارعوا في الإحسان تعرّضا للعفو عن الإساءة، و تلقّوا النعم بالشكر استجلابا للمزيد، و صيّروه نصب أعينهم عند خواطر الهمم، و حركات الجوارح.

عملوا [ظ] فأخلصوا فادّخروا ما عملوا ليوم الجزاء، و لم يبدلوه بالثمن الوكس في الدنيا، و الطمع الكاذب، فلعجّوا بهذه الأدوات إلى معاقل الإيمان، و تحصّنوا من مكائد الشيطان، و مردة الإنس بحصن التوحيد، و تجرّدوا من سوء ضمائر الأنفس بأعمال الإخلاص، و احتجبوا من تقلّب الهوى بلزوم الحقّ، فوسمهم ذلك بسيماء المتّقين، و شواهد الصالحين.

أولئك قوم قطعوا الدنيا بالقوت من الحلال، و دافعوها بالراح، للتجربة و البلاغ لنفاد المدّة و انقطاع الأكل، و أحسنوا صحبتها بحسن السيرة منهم في الأخلاق و الآداب و اصطفوا نور بهجتها، و تألّو زينتها، بحسن وصف الآخرة.

أولئك قوم اتّخذوا الأرض بساطا، و الماء طيبا، و بقاع الأرض مساجد، و مساجدها بيوتا، و بيوتها كمنازل الأضياف.

(١) لعلّ هذا هو الصواب، و في الأصل: «و حازوا ظلم الاشتباه ...».

(٢) رسم الخط في قوله: «و استدّلوا» غير واضح في الأصل المخطوط.

ص: ٨٥

أولئك قوم نزع الله ما في قلوبهم من غلّ و طهرهم تطهيرا، و سلّم قلوبهم من الريب و الشكّ فأنقاها، فأصبحوا و بطونهم خميصة من أموال الناس، و أيديهم نقيّة، و ظهورهم خفيفة «يمشون على الأرض هونا، و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلاما، و إذا مروا باللغو مروا كراما» «١».

أولئك قوم عرفوا الناس و لم يعرفوهم، بل عرفهم الله منه برضوان، فجعلهم مصابيح الهدى، و جلا بهم كل فتنة مضلّة «٢».

أولئك قوم عرفوا الدنيا بأبصار عيونهم، و صحبوها بأبدانهم، و عرفوا الآخرة بأبصار قلوبهم، و صحبوها بأرواحهم، فعانوا بأبصار قلوبهم من ملك الآخرة، كبهجة ما عانوا بأبصار عيونهم من زينة الدنيا، فزهّدوا في الدنيا عيانا، و رغبوا فيما

عاینوا بأبصار قلوبهم من ملك الآخرة، فأكلوا قصداً، وقدموا فضلاً، وأحرزوا ذخراً، وشمروا في طلب البغية، بالسير الحثيث، والأعمال الزكية، وهم يظنون- بل لا يشكون- أنهم مقصرون! وذلك لأنهم عقلوا حتى آمنوا، ثم آمنوا حتى أيقنوا، ثم أيقنوا حتى تعلموا، ثم تعلموا حتى علموا، ثم علموا حتى غنموا، ثم أشفقوا حتى تفكروا ثم تفكروا حتى أبصروا، فلما أبصروا تسورت عليهم طوارق أحزان الآخرة، وقطع بهم الحزن عن حركات الألسن للكلام، وكلت ألسنتهم من غير عى من محاسن الوصف بالحكمة خوف التزيين به فيسقطوا عند الله فأمسكوا، وإن حاجة أحدهم لتتلجلج في صدره، ما يأذن لنفسه في إظهارها خوفاً من شر نفسه، فأصبحوا- والله يا أخى مع حسن هذا الوصف- في الدنيا مقهورين، وأمسا فيها محزونين، مع عقول صحيحة، و يقين ثابت، و قلوب شاكرة، و ألسن ذاكرة، و أنفس ذليلة، و أبدان صابرة، و أنفس مقهورة، و جوارح مطيعة، و أهواء معلقة بالملكوت الأعلى، معلقة أمراً عظيماً.

(١) ما بين القوسين مقتبس من الآية: (٦٣) و ما بعدها من سورة الفرقان: ٢٥.

(٢) أى كشف بهم كل فتنة توقع الناس فى الضلالة. و فى الحديث: (١٢٦٣) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ٢٠٧: «أولئك مصابيح الهدى يخلو عنهم كل فتنة مظلمة...».

ص: ٨٦

تراهم إلى ذلك أهل دين، و شكر و سلامة، و توكل و رضى، و إيمان، و يقين.

عقلوا عن الله مواعظه، فشغلوا الأدوات منهم فيما أمروا به و خلقوا له، و قطعوا الدنيا بالصبر على لزوم الحق، و هجروا الهوى به لآلات عقولهم، و تمسكوا بحصن التنزيل، و شريعة السنّة، فصارت الدنيا لهم سجنًا، و ذلك إن المسجون مصيره إلى راحة «١». ثم خرجوا من الدنيا مغبوطين مغتبطين، فوها لوصفهم، بل واهّا لرؤيتهم / ٢٥ / بل واهّا للمنيّة معهم، فما شىء على الله العزيز بأكرم منهم.

رجع الكلام إلى حديث كميل بن زياد بينه و بين أمير المؤمنين، فقال كميل: كان و الله أمير المؤمنين رأس أهل هذه الصفات الجميلة، فلذلك استلان عنده كلّ شديدة فى جنب الله، فأنس عند كل وحشة ثقة منه بالله، و لذلك حفظ الله به بيناته و حججه حتى زرعه فى قلوب أتباعه و أوليائه، و باشر روح اليقين بما من الله عليه.

(١) لعلّ هذا هو الصواب، و فى الأصل: «إلى ناحية».

ص: ٨٧

[تقسيم مخالفى أمير المؤمنين عليه السلام على طبقات ثلاث خاسرة هالكة].

و أمّا صفة من خالفه فعلى طبقات ثلاث: من منقاد للشهوة- و هم الذين بايعوه، فلمّا أملوا أن ينيلهم من الدنيا شيئاً فلم يفعل، رجعوا إلى نكت البيعة، و طلب الدنيا، و تشتت الكلمة- أو منقاد لأهل الحق لا بصيرة له و هم الذين تخلفوا عن

بيعه رضي الله عنه «١» قدح الشك في قلوبهم لأول عارض من شبهة، فلا هم نصروا الحق و كانوا مع أهله «٢» و لا هم تعمّدوا الخطأ بالمعادنة، فهم في منزلة الوقف، أقعدهم الشك لأول عارض من شبهة.

[أو منهوم و حريص بالجمع و الادّخار] و أتباعهم كالأنعام السائمة [التابعة] لكل ناعق، أتباع لم يستضيئوا بنور العلم، و لم يلجئوا إلى ركن وثيق.

فارجعوا وفقكم الله إلى تفهّم ما قلنا [ه] فقد بان القول في منزلة المتقدّم في الإسلام و وضحت فضيلته، و أن محنة الفقراء أعظم من محنة الأغنياء، لذلك يروون عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين عاما.

و رويتم عن عمر بن الخطاب أنّه قال: لو شئت أن أكفر الناس لكفرتهم؟! قالوا: و كيف ذلك؟ قال: أمنعهم حقوقهم، فيكفرون، لأن الصبر على الفقير شديد.

(١) هذا سهو عظيم من المصنّف، إذ لا يعقل أن يكون المتخلّفون عن أمير المؤمنين من المنقادين لأهل الحق؛ إذ لو كانوا منقادين لأهل الحق لما تخلّفوا عن أمير المؤمنين الذي كان بنص من رسول الله يدور معه الحق حيثما دار. فإذن لا بدّ أن يكونوا داخلين في القسم الأول من هذا التقسيم أي انهم جميعا كانوا من المنقادين للشهوات المتمردين عن قبول الحق.

(٢) هذا تناقض بين من المصنّف بعد أن عد هؤلاء من مخالفي أمير المؤمنين عليه السلام، و كيف يمكن مع تخلّف هؤلاء عن بيعة أمير المؤمنين و نصرته أن يكونوا معدودين فيمن كان مع أهل الحق؟!

اللهم إلا أن يريد المصنّف أنهم كانوا مع أهل الحق في المدينة كما كان أبو جهل و أبو لهب مع النبي صلى الله عليه و آله و سلّم في مكة!!!!

ص: ٨٨

[فضيلة علىّ خاصّة و بنى هاشم عامّة على سائر المؤمنين بما ابتلوا و تحمّلوا في أيام حصر النبيّ في شعب أبي طالب من الضنك الشديد و الحرج البالغ أقصى حدّه]

و له في بدء إسلامه فضيلة شريفة اكتسبها، و محن عظام اختصّ بها [و كان] أبو بكر منها بمعزل، فتدبّروا رحمكم الله ما نحن واصفون، و ارفضوا الميل و التعصّب، و استعملوا الإنصاف بحسن التفهّم، فقد بان تنقيصكم و تقصيركم فيما يجب من حقّه و معرفة فضله، و بان ذلك في قولكم إذ دان بعضكم بالوقف في حروبه و إمامته.

و بعضكم زعم أن تولية أبي بكر كانت لتفضيل منه عليه، لذلك كان أولى بالإمامة منه.

ثم فكّروا فيما امتحن به علىّ بن أبي طالب من حصار الشّعْب مع النبيّ صلى الله عليه و سلم، و ما رأى من الدّلّ في نفسه و قرابته، فبان صبره، و خرج حميدا محمودا رضي الله عنه، و أبو بكر مع أهله في أمن وسعة.

فهذه فضيلة في بدء إسلامهم، ليس لأبي بكر مثلها، و هي من اعظم المصائب كانت على بنى هاشم، لأن العرب تعاقبت و تحالفت أن لا يبايعوهم، و لا يأمنوا فيهم حتى يدفعوا إليهم النبي صلى الله عليه و سلم ليقتلوه.

و كان على رضي الله عنه يحمل إليهم الطعام مسارقة [كانوا] يمنعون من المبايعه.

فقد بان [فضله] في فضيلة السبق إلى الإسلام على جميع السابقين.

ص: ٨٩

[أفضليّة علىّ عليه السلام على كافة المؤمنين في منازل الجهاد و ميادين بذل النفس و التفادى في سبيل الله]

و نحن ذاكرون بعد السبق إلى الإسلام منازل الجهاد:

قلنا: و فضيلة الجهاد تكون بآلات مجتمعة و أسباب معروفة، منها: الشدة في البدن، و الشجاعة في النفس، و العلم بالثقافة، و الحذر و الفروسية. فالشرف في منزلة الجهاد يكون باستعمال الآلة، و لقاء الأبطال، و ضرب الأقران، و التغرير بالنفس، و إلقاءها بين الأسنة، و الأهوال و المخاطرة وفاء لله بعهد، و استئناسا ببيعته «١».

فالمذكور من أهل الشجاعة و النجدة على بن أبي طالب، و حمزة بن عبد المطلب و الزبير بن العوام، و أبو دجانة الأنصاري، و خالد بن الوليد، ليس / ٢٦ / أحد يعدّ أبا بكر و لا عمر مع المذكورين بالحرب و الشجاعة، و الطعن بالأسنة «٢» فنظرنا في أحواله، و أموره في حروبه، فإذا هو بائن ممن ذكرنا [ه] جامع لأسباب الجهاد، متقدّم في الآلة و الفعل، فاجتمع الفضل فيه على حسب اجتماع أسبابه و آلاته.

و حمزة بن «٣» عبد المطلب و إن كان رجلا شجاعا مقداما حمولا، فقد كان للحذر

(١) لعلّ هذا هو الصواب، و في الأصل: «و استئسانا ببيعته ...»

(٢) بل المتعمّق في غزوات النبي صلى الله عليه و آله و سلم يرى كونهما من الجبناء أمرا ملموسا لأنّهما في جلّ الغزوات كانا إمّا من النظارة أو من الفرّاة، و لنعم ما قال ابن أبي الحديد في شأن عمر.

و ليس بنكر في حنين فراره، و في أحد قد فرّ قبل و خبير.

(٣) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «و ذكر أنّ حمزة بن عبد المطلب ..»

ص: ٩٠

مضيّعا، و لم يكن بالثقافة موصوفا.

و كان أبو دجانة رجلا يقاتل بالسيف دون الرمح، و لم يكن بالفروسية المذكورا.

وكان الزبير فارسا، و لم يكن كذلك راجلا.

و كان أبو الحسن لهذه الأمور جامعا، و كان بالسيف ضروبا، و بالرمح طعانا، و بالفراصة و الشجاعة موصوفا، و بالشدة معروفا، و للحذر مستعملا و يدلّك على ذلك [ما و] صفه [به] وحشى [حيث] إنه قال: لما وقفت نفسى «بعير» «١» قريبا من أحد أردت النبىّ صلى الله عليه و سلم فإذا هو لا تناله الأيدي.

ثم أقبل علىّ بيده سيف يفرى، و خيل إلىّ أن فى كل جارحة من جوارحه عينا تنتظر إلىّ، فلما نظرت إلى من هذه حالة قلت: تراكها تراكها، لست من هذا و لا هذا منى.

ثم أقبل حمزة كأنه فحل يهشم بليسا «٢» يقاتل بسيفين و هو يقول: أنا أسد الله و أسد رسوله. فاهتبلتها فدفعت حربة كانت فى يدي فوقع فى تنّته و قضى، فو الله ما أغسل عنى عارها.

ثم كانت نكايته فى أكثر الحروب، و بأسه أشدّ ممن ذكرنا [ه] من أهل النجدة.

فهذا فعله مشهور يوم بدر، كان عدد القتلى [فيه] نيّفا و أربعين كان له عشرون [خاصّا] و شاركهم فى البقيّة.

و هذا يوم الخندق خرج عمرو بن عبد ودّ [و] دعا إلى البراز فأحجم الناس عنه فى كل ذلك يقوم إليه علىّ رضى الله عنه فيكفّه النبىّ صلى الله عليه.

(١) غير - بفتح العين المهملة و سكون المثناة التحتانيّة - جبل بالمدينة كما ذكره فى مادة «ثور - و غير» من النهاية و فى مادة: «غير» من معجم البلدان و غيرهما.

(٢) كذا فى الأصل.

ص: ٩١

و ما كان ذلك من النبىّ صلى الله عليه و سلّم إلّا دلالة علىّ ليظهر و يكشف فضيلته على غيره للناس إذ لم يقدم عليه غيره، و الدليل على ذلك كفّه له ثم إذنه له بعد أن أحجم الناس.

و مما يحقّق ذلك أيضا من فعل الرسول صلى الله عليه قوله يوم بدر: قوموا يا بنى هاشم فقاتلوا عن دينكم. و كان يقدمهم قبل الناس فى الحروب.

فلما كان يوم الخندق فعل علىّ ما رأيتم بكفّه عن المبادرة إلى عمرو، فلما بان إمساك الناس عنه، و تخلفهم عن الإقدام عليه، قام علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه فى المرة الثالثة، فقال له النبىّ صلى الله عليه و سلم: يا علىّ إنه عمرو بن عبد ود - تأكيدا لما قلنا [ه] و تنبيها لمن كان له قلب أنه أراد بذلك الدلالة على تقدّم علىّ و تفضيله - فقال له علىّ: و أنا علىّ بن أبى طالب يا رسول الله.

فعَمَّمه بيده، و قَلَّده سيفه ذا الفقار، فخرج إليه و المسلمون مشفقون، قد اقشعرت جلودهم، و زاغت أبصارهم، و بلغت الحناجر قلوبهم، و ظنَّ قوم بالله الظنون «١» و النبيَّ صلى الله عليه و سلَّم يدعو له بالنصر، ملحَّ في ذلك، مستغيث برَّبِّه ففرج الله به تلك الكرب، و أزال الظنون، و ثبت اليقين بعليِّ بن أبي طالب، و قتل عمرو بن عبد ود، و قبل ذلك ما زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر، و ظنَّ بالله الظنون، و زلزل المؤمنون زلزالاً شديداً، و قال المنافقون: ما وعدنا الله و رسوله إلَّا غرورا.

و في ذلك يؤثر عن حذيفة بن اليمان أنَّه قال: لقد أيدَّ الله تبارك و تعالى رسوله و المؤمنين بعليِّ بن أبي طالب في موقفين، لو جمع جميع أعمال المؤمنين لما عدل بهما يوم بدر و يوم الخندق «٢» ثم قصَّ قصَّته فيهما

(١) و انظر الآية: (٩) و تواليها من سورة الأحزاب حتَّى يتبيَّن لك أنَّه لا فتى إلَّا على و لا سيف إلَّا ذو الفقار.

(٢) كذا في الأصل، و رواه الحاكم الحسكاني بطريقتين في الحديث: (٦٣٤ و ٦٣٦) من شواهد التنزيل:

ج ٢ ص ٦ و ٩ و قال في الأول: فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلَّم بشر يا عليّ فلو وزن اليوم عملك بعمل أُمَّة محمد لرجح عملك بعملهم ...

ص: ٩٢

فهذه أحواله مكشوفة، و مناقبه في الحروب معروفة، و في الآثار مأثورة، و في السيِّر مذكورة، و في العامَّة ظاهرة مشهورة.

شهد [مع] النبيَّ صلى الله عليه و سلم في جميع حروبه و مغازيه، فمرة يأخذ الراية قدَّامه، و مرة يتمشَّى بسيفه بين يديه، ينقُص الكرب عن وجه نبيِّه صلى الله عليه [و سلم] و ينصر الله في قتل أعدائه / ٢٧.

فكم من مبارز قد قتله [و قد] أعى المبارزين قتله، و كم من قرن قد أكثر المسلمون مقامه، و ضاقت أنفسهم عنده، كفاهم ابن أبي طالب مئوته، و سقاها الموت بيده.

و تقدمه على المذكورين في الجهاد بيِّن و فضله على المشاركين له في حروب النبيَّ صلى الله عليه و سلَّم قائم.

و قال بعض المكابرين مقالة يعجب لها «١» من كانت فيه [أدنى] معرفة.

زعم أنَّ فضيلة أبي بكر في الحروب أكثر، و فعله في الجهاد أعلا و أكبر!!! قلنا: و ما هو؟ قال: تدبيره في الحروب و وقوفه مع النبيَّ صلى الله عليه و سلم.

قلنا: أمَّا وقوفه فلم يدفع أن يكون وقوف ناظر. فإن قلتم: كان وقوفه وقوف محارب مقدم عند دنوَّ المشركين من رسول الله صلى الله عليه و سلم، و إحاطتهم به فأرونا فيه أثرا في تلك الحال، يجوز لقاتل يقول: قد كان في موضع الكن و الحمل «٢» فلذلك أصيب يده، أو شج رأسه، أو أصيب بدنه أو جوارحه، أو [هاتوا] رواية في أنه أصاب

و قال فى الحديث الثانى:

لمبارزة علىّ بن أبى طالب لعمر و بن عبد وّ يوم الخندق أفضل من عمل أمتى إلى يوم القيامة ..

و راجع ما علّقناه عليه، و أيضا راجع الباب: (٤٩) و ما علّقناه عليه من فرائد السمطين ج ١ ص ٢٥٥ ط ١.

و راجع أيضا ترجمة لؤلؤ القيسرى من تاريخ بغداد: ج ١٣، ص ١٨، و كذا ترجمة الرجل من تاريخ دمشق. و كتاب المغازى من المستدرک: ج ٣ ص ٣٢.

(١) كذا فى الأصل؛ غير أنّ فيه: «فقال بعض المكابرين ...».

(٢) كذا.

ص: ٩٣

أحدا من قرب أو بعد فيكون علّة للدعوى، و سببا لمن لم يتحرّ الحق يبصره أهل الهدى «١» هذا رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أدمى ساقه و كسرت ربايعته، و طاعن بيده، و كان أبو بكر فى هذه الحال معه يصنع ما ذا؟ فإن قلتم [كان] واقفا يتمنى بقلبه عزّ الإسلام، و يدعو ربّه بالنصرة، و يفرح بظهور الدين و الظفر بالعدوّ، فتلك منزلة لا ندفعها بل نوجيها و نحققها لأبى بكر و هذه منزلة حسنّ بن ثابت [المعروف بالجبن].

فإن قالوا: إن ما قلتم فيه يوجب التنقّص لأبى بكر، و هذا مذهب الرافضة فى عيبه.

قلنا لهم: ليس ما ذكرنا من ضعفه على الإقدام تنقصا له و لا عيبا لأنّه قد كان من صحة العزيمة و المحبّة لعلوّ الدين و عزّ الإيمان ما لا يكون ضعفه عن الشجاعة و الإقدام عيبا و لا تنقصا.

و قد رويتم أنّ النبىّ صلى الله عليه و سلم قال: إن وليتموها أبا بكر تجدوه ضعيفا فى بدنه قويا فى أمر الله «٢» فلم يكن ضعف بدنه عما قوى عليه قلب علىّ تنقيصا و لا عيبا.

و أمّا ما ذكرتم من تدبيره و رأيه الذى لا أجد له علّة فى دعواكم، فقد كان النبىّ صلى الله عليه و سلم قائما بحروبه متوليا لتدبيره بفضل رأيه و رجاحة علمه، فبعض التدبير [كان] يتلقاه عن وحى الله، و بعض يستشير فيه أصحابه تألّفا و استعطافا، ثم يرجع بعد ذلك إلى رأيه و عزمه، فأرونا لأبى بكر تدبيرا أو رأيا تروونه أنتم دون غيركم و تعلمونه فى روايتكم دون رواية من خالفكم، قد يروى أنه صلى الله عليه و سلم نزل منزلا فى بعض حروبه، فقالت له الأنصار: أ برأى منك يا رسول الله أم وحى؟ فقال: برأى، فأشاروا عليه بغيره فقبله، فأرونا لأبى بكر مثل هذا الرأى وحده فنقبله ثم نعارضه بما هو أكبر منه!! ثم العجب من عظم الغفلة و إعمال الهوى كيف يعمى صاحبه؟ و قد زعمتم أنّ

(١) كذا.

(٢) و من أراد أن يعرف ضعف الرواية، و يرى ضعفه ملموسا، فعليه بما علّقناه على الحديث: (٢٠٨) في الباب:

(٥٢) من فرائد السمطين: ج ١، ص ٢٦٦ ط ١.

ص: ٩٤

النبىّ صلى الله عليه و سلم ولىّ عمرو بن العاص على أبى بكر و عمر ليس لفضله عليهما فى الدين و لكن لفضله عليهما فى رأى و التدبير، فكيف يفضّل على علىّ بن ابى طالب من فضله عمرو فى تدبيره و رأيه؟ [و كيف] يكون معينا للنبىّ صلى الله عليه و سلم فى رأى و التدبير من هو المولى عليه لنقصان تدبيره «١» و لو كانت كذلك لم يجعل عليه أمير.

ثم أنتم و غيركم تروون أن الردّة لما حدثت فى عهد أبى بكر أراد الخروج بنفسه، فقال له علىّ: إنك إن خرجت إلى القوم لم يكن للمسلمين فئة يلجئون إليها «٢» فتخلّف أنت و وجه إليهم لتكون لهم فئة من ورائهم، فعلم صواب رأيه، و رجاحة ما دبّره [ظ] فتخلّف و قبل رأيه فحمد عاقبته ..

(١) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «و يكون النبىّ صلى الله عليه و سلم معينا فى رأى و التدبير و هو المولى عليه ...»

(٢) فئة أى مأوى و مادة و جماعة. يفرعون إليها: و يركنون إليها.

ص: ٩٥

[بيان أشعّات من أنوار الآراء العلويّة الصائبة، و إيراد قبسات من الأقوال و التدابير المرتضويّة الشامخة].

فإن قالوا: فدلّونا على فضل علىّ فى رأى و التدبير كما دلّلتهم على فضله فى الشجاعة و الجهاد، و قد تعلمون أن قريشا طعنوا عليه فى رأيه، و ضعّفته / ٢٨ / فى تدبيره!! قلنا لهم: أمّا تضعيف قريش له فى تدبيره و رأيه، فبالعداوة و العصبية، لا بحقّ طعنوا، و لا حجة [على دعواهم أقاموا] و إلا فليوقفونا من رأيه على غلط أو خطأ.

و الدليل على فضل رأيه و رجاحة تدبيره أنّه لم يولّى عليه [قط] أحد فى جيش فى حروب النبىّ صلى الله عليه و سلم، و لو كان من ضعف التدبير على ما ادّعيتم و من الشجاعة على ما أقررتهم كان فى رأى و صلاح الحروب أن يكون مأورا فى الحروب و لا يكون أميرا فما كان من النبىّ صلى الله عليه و سلم فى أمره و توليته دليل واضح على ما قلنا و نفى ما قلتم.

و قد بلغه ما قالت قريش فكذبّه و تعجّب من قولها، و قال: لله أبوه، و هل أحد كان أشدّ مراسا لها منى؟ و الله لقد نهضت فيها و أنا ابن عشرين، و ها أنا ذا قد نيّفت على الستين، و لكن لا رأى لمن لا يطاع «١» و لذلك تمثّل عند تركهم لرأيه بقول دريد بن الصّمّة «٢»:

(١) و انظر تمام الخطبة فى المختار: (٢٧) من نهج البلاغة و المختار (٣١٨) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٥٥٩.

(٢) و انظر الخطبة: (٣٥) من نهج البلاغة، و المختار: (٢٥٩) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٣٥٦.

ص: ٩٦

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلّا ضحى الغد

و قد كان رحمة الله عليه يترك الشيء من رأى و التدبير عن معرفة، يمنعه من ذلك الخوف من الله لأنّه محرّم فى الدين، و يستعمله من خالفه كالغدر و الخديعة و الكذب و نقض العهد و الغارة و البيات و ما أشبه ذلك فيظنّ الجاهل أنّ ذلك منه قلة معرفة به، و أنّ من خالفه إنما صار إلى ذلك بفضل رأيه و قد ذكر ذلك فى بعض كلامه فمدح الوفاء، و عاب الغدر و انتهز الفرصة بما لا يحلّ فقال رحمة الله عليه و ذكر الوفاء:

ذاك و الله توأم الصدق، و ما أعلم جنّة أوقى منها، و ما غدر من علم كيف العواقب، و أيم الله لقد أصبحنا فى زمن اتّخذته أكثر أهله كيسا و نسبهم أهله إلى حسن الحيلة ما لهم خبيهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة و دونها حاجز من أمر الله و نهيه فيدعها رأى عين و بعد قدرة عليها، و ينتهز فرصتها من لا حريجة له فى الدين «١».

نعم، و يجد على ذلك أعوانا غير مستبصرين، و ما يرتاب فى مثل هذا إلّا الجاهلون.

و لعمرى أن عمرو بن العاص و معاوية الغادر قد كان [كل واحد منهما] يعمل رأيه إذا شرعت له الفرصة لا يحجزه عن ذلك خوف من الله و أمره فيحنث و يكذب و يغير و يغدر.

فارتاب بمثل هذا من فعلهم من لا بصيرة له. و ما ظنّك بقوم لما انتبهوا عند قتل عمّار بن ياسر لقول النبىّ صلى الله عليه و سلّم: يا ابن سميّة تقتلك الفئة الباغية «٢» قال لهم معاوية: إنما قتله من أخرجه. فوجد قوما طغاما لا علم لهم بكفر من إيمان و لا هدى من ضلال، أصحاب جفاء و جهل و ارتياب فجاز عندهم هذا الكلام، و ظنّوا أنّه قد خرج من هذا السؤال، و أنّ قاتل عمّار بن ياسر هو علىّ دون معاوية.

(١) و رواه السيد الرضى رحمه الله بمغايرة لفظية فى المختار: (٤١) من نهج البلاغة.

(٢) و الحديث من أعلام النبوة و متواترات فنّ الحديث، و قد أخرجه الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عمار من تاريخ دمشق على وجه بديع.

ص: ٩٧

فلما بلغ هذا من قوله علىّ بن أبى طالب قال للجفاة الطغام و أشباه الأنعام: لو كنت أنا قتلت عمارا لأنّى أخرجته لكان رسول الله قتل حمزة و جميع من قتل فى حربته لأنّه هو المخرج لهم.

فتوّاز معاوية و عمرو و استعانوا علىّ بالمكيدة و الغدر، و استعان عليه آخرون بالتمويه و الشبه و كلّهم يعتلّ بطلب الدم، و إن كان بعضهم أجرى من بعض، و أقدم على الفجور و الإثم.

و لقد ذكر أمير المؤمنين بيّض الله وجهه بعد رجوعه من البصرة من قعد عنه [و أنّهم] فقام إليه صاحب شرطته مالك بن حبيب اليربوعي، فقال: إنّ التأنيب و الهجر [لهم] لقليل؛ فمرنا بقتلهم، فو الله لئن أمرتنا لنقتلنهم. فقال عليّ: سبحان الله يا مالك جزت المدى و عدوت الحكم، و أغرقت في النزاع. فقال: يا أمير المؤمنين لبعض الغشم أبلغ في أمور تنوبك من مدهانة الأعادي. فقال عليّ: ليس هذا قضاء الله يا مالك؛ إنما النفس بالنفس، فما بال ذكرك الغشم و قد قال الله / ٢٩ / تبارك و تعالى: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا» [٣٣ / الإسراء: ١٧] و الإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك، فقد نهى الله عن ذلك، و ذلك هو الغشم الذي نهى الله عنه.

فتدبروا سيرته، و تصفّحوا سياسته لتعلموا فضله في رأيه و تدبيره و فضله في شجاعته و إسلامه و فضله عند الشدائد في صبره و يقينه. و سنتكلّف لكم جمع ذلك لتخفّ المؤنة عليكم، و نأتى من بيان ذلك بما فيه الشفاء لكم.

و مما يؤثر عنه في صواب رأيه و تحقيق ما ذكرنا [هـ] من توقّيه و إثارة الصواب في اختياره [ما رواه أهل النقل]:

قالوا: لما بلغه قول الزبير و طلحة و تعريضهما [له] بالنكث، دعا بعبد الله بن عباس و قال له: يا أبا العباس أ ما بلغك قول هذين الرجلين؟ قال: بلى.

قال: فما ترى؟ قال: أرى أن ينصفا حتى يذاقا، و لن يذاقا حتى يعملّا، فولّ طلحة

ص: ٩٨

البصرة، و الزبير الكوفة فإنهما متى يليا و يبسطا أيديهما و ألسنتهما استحقاّ العزل، و استوجبا البغض.

فضحك عليّ و قال: يا أبا العباس إنّ العراق بها الرجال و الأموال، و متى يملكان رقاب الناس، يستميلا السفية بالطمع، و يضربا الضعيف بالبلاء و يقويا «١» على البغى بالسلطان!!! و لو كنت مستعملا أحدا لنفعه أو لضره في يومه أو غده، استعملت معاوية على الشام! و لو لا ما ظهر لي من حرصهما كان لي فيهما رأى.

فأىّ الرأيين عندكم أبلغ و أولى بالصواب و أوفق و أجمعهما للدنيا و الدين؟ و قد تعلمون فضل ابن عباس في رأيه، و أن عمر قد كان يستعين به على أمره.

فلم يؤت [عليّ] رضى الله عنه في أموره لسوء تدبير كان منه أو لغلط «٢» في رأى، غير أنه كان يؤثر الصواب عند الله في مخالفة الرأى و لا يؤثر الرأى في مخالفة رضا ربّه.

و قد كانت له خاصّة من أهل البصائر و اليقين من المهاجرين و الأنصار، مثل ابن عباس و عمّار و المقداد و أبى أيّوب الأنصارى و خزيمة بن ثابت و أبى الهيثم بن التيهان و قيس بن سعد [بن عبادة الأنصارى] و من أشبه هؤلاء من أهل البصيرة و المعرفة، فأفنتهم الحروب و اخترمهم الموت.

و حصل معه من العامّة قوم لم يتمكّن العلم من قلوبهم، تبعوه مع ضعف البصيرة و اليقين، ليس لهم صبر المهاجرين، و لا يقين الأنصار، فطالت بهم تلك الحروب.

و اتصلت بعضها ببعض، و فنى أهل البصيرة و اليقين، و بقى من أهل الضعف فى النية و قصر المعرفة من قد سئمو الحرب، و ضجروا من القتل، فدخلهم الفشل، و طلبوا الراحة، و تعلقوا بالأعالييل، فعندها قام فيهم خطيبا فقال:

[أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهى الصم الصلاب،

(١) كذا.

(٢) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «أو لغط فى رأى ...».

ص: ٩٩

و فعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون فى المجالس كيت و كيت، فإذا جاء القتال قلتم: حيدى حيايد «١» ما عزت دعوة من دعاكم، و لا استراح قلب من قاساكم، أعالييل بأضاليل، و سألتمنى التطويل دفاع ذى الدين المطول].

[و قال: ليتنى لم أعرفكم معرفة جرت ندما [و أعقبت سدما] «٢».

[و قال:] و [لقد] ملأتم قلبى غيظا «٣» و أفسدتم على رأى بالعصيان و الخذلان [حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبى طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب].

و قد كانت هذه الأحوال مع النبى صلى الله عليه و سلم - و قد ظهرت أسباب العزة «٤» و قد جاءهم من الله اليقين - من ارتباب قوم و شك آخرين، و ضعف قوم، و تخلف قوم و انهزام قوم خلوا مراكزهم و ولوا العدو أدبارهم، و فيهم يقول الله تبارك و تعالى:

«إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ» [١٥٣ / آل عمران: ٣].

و فى المتخلفين يقول الله: «فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ» [٤٦ / التوبة: ٩].

و قال: «وَ إِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ: قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا» الآية: [٧٢ / النساء: ٤] فهذه الأحوال التى يذكرونها فى حروب على عليه السلام، قد كانت فى حروب النبى صلى الله عليه و سلم، فلم جعلتموها علة للنقص، و الخطأ فى الرأى لو لا الحيرة؟! و النبى صلى الله عليه و سلم [كان] ينزل عليه الوحي و يعينه الله بالملائكة [و مع]

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما فى المختار: (٢٩) من نهج البلاغة، و فى أصلى المخطوط: «تدافعونى دفاع ذى الدين المطول حيايدى حيايدى ...».

و إنما وضعنا جميع هذا الكلام بين المعقوفين - مع أن قطعة منه كانت مذكورة في أصلى .. دلالة على أن ما في الأصل كأنه لم يكن موجودا، لخروجه عن مجراه الحقيقى.

(٢) ما بين المعقوفات فيه و ما بعده مأخوذ من المختار: (٢٧) من نهج البلاغة، و فيه: «لوددت أنى لم أركم و لم أعرفكم معرفة - و الله - جرت ندما».

(٣) و فى نهج البلاغة: «قاتلكم الله لقد ملأتم قلبى قيحا و شحنتم صدرى غيظا و جرعتمنى نغب التهمام أنفاسا» ..

(٤) لعلّ هذا هو الصواب، و فى الأصل: «و قد ظهرت أسباب العرب ..».

ص: ١٠٠

ذلك [فقد زاعت الأبصار من قوم / ٣٠ / عند محنة كانت و ضاقت صدورهم و ظنّوا بالله الظنون.

فإن كنتم صادقين - و لا أخالكم إلا متعمدين - فاذكروا لنا رأيا من رأيه، و غلطة من غلطاته، بها ضعفتكم أمير المؤمنين رضى الله عنه فى رأيه لو لا المعاندة.

[و] قد تعلمون شدة مقاساته للحروب «١» و اضطلاعها بها، و ما منى به من تراكم المحن عليه، و اجتماع أهل النكت و البغى على حرية [و] هو المتولى للاصطلاء بحرّها و القائم بلمّ شعنها، و الداعى إلى الإجماع عليها منفردا بذلك ليس له نظير يعينه - كما تعرفون لمن كان قبله - يكتب الكتاب، و يجند الجنود، و يبعث و البعث، و يعبى العساكر، و يؤمّر الأمراء، و يقوم بالخطب تحريضا و بيانا و تأنيبا، و يوضح السنّة، و يتولى محاجة من حاجّه.

فكم من شبهة قد أوضحها، و كربة قد كشفها، و ضلالة قد محققها، و ضالّ قد هداه، و نفس قد أحيّاها:

فهل يقوى قلب أحد على ما ذكرنا [ه] إلّا من نور اليقين قلبه، و عرف ما له عند ربّه، و علم أن بمثل ما فعل ينال رضاه، و يباعد من سخطه.

فضيلته فى الجهاد قد بانت أيام النبىّ صلى الله عليه و سلم على من كان بحضرته، و من قدّمتموه عليه بدلالة القرآن.

و تقدّمه فى الإسلام قد وضع بما خصّ به من المحن الشداد، و محن الحروب قد خصّته بالمكاره «٢» و ما يشيب عند مثلها الذوائب، و العلم بسببها فى قتال الكافرين

(١) هذا هو الظاهر، و المقاسات: تحمّل المشاق. و فى الأصل: «شدة مقاماته».

(٢) لعلّ هذا هو الصواب، و فى أصلى: «قد حصلت ...».

و المحلّين عند أحدى فقهائكم «١» و بالعلم و الصبر على الحرب بمحض اليقين هو البائن عن الخلق. و العفو عند القدرة هو المذكور به عند علماء السيرة و الدعاء بالرفق فى كلامه مشهور. و البلاغة فى القول ما لا ينكره من عرف كتبه و رسائله. و سأذكر من فضل رأيه فى الحرب، و حسن سيرته، و قوّة تدبيره، و وضوح حجّته ما لا يمتنع من قبوله قلب من ألّقى السمع و هو شهيد.

(١) كذا.

ص: ١٠٢

[ذكر قبسات من حججه البالغة و كتبه المنيرة و سيرته الميمونة و رأيه الصائب و تدبيره الباهر].

ذكروا أن رجلا قام إليه يقال له: أبو بردة- و كان ممن تخلف عنه يوم الجمل - فقال: يا أمير المؤمنين أ رأيت القتلى حول عائشة و طلحة و الزبير؟ بم قتلوا؟ قال: بمن قتلوا من شيعة و عمّالى، و قتلهم أبا ربيعة العبدى رحمة الله عليه فى عصابة من المسلمين قالوا: لا نكت كما نكتهم، و لا نغدر كما غدرتم. فقتلوهم، فسألهم أن يدفعوا إلىّ قتلة إخوانى منهم، أقتلهم بهم، ثم كتاب الله بينى و بينهم حكم، فأبوا و قاتلوني و فى أعناقهم بيعتى، و دماء قريب من ألف إنسان من المسلمين من شيعة، فقاتلتهم بهم، أو فى شك أنت من ذلك؟ فقال: قد كنت فى شك، فأما الآن فقد عرفت و استبان لى خطأ القوم، و أنك المهتدى المصيب.

فشهد معه [وقعة] صفين.

و ذكر [وا] أنه كتب إلى معاوية [بن أبى سفيان] «١»:

من [أمير المؤمنين] علىّ بن أبى طالب إلى معاوية، أمّا بعد، فإن الله أنزل [علينا] كتابه فلم يدعنا فى شبهة، و لا عذر لمن ركب ذنبا بجهالة، و التوبة مبسوطة، و لا تزر

(١) و هذا الكتاب مع الكتاب التالى رويناه مسندا فى المختار: (٩٤-٩٥) من باب الكتب من نهج السعادة:

ج ٤ ص ٢٥٤ ط ١.

ص: ١٠٣

وازرة و زر أخرى، و أنت أوّل من شرع الخلاف، متماديا فى غره الأمل، مختلف العلانية و السريّة، رغبة فى العاجل، و تكذيبا بعد فى الآجل، و كأنك قد تذكّرت ما مضى منك، فلم تجد إلى الرجوع سبيلا.

و كتب أيضا إلى عمرو بن العاص:

من [عبد الله أمير المؤمنين] على بن أبي طالب إلى عمرو بن العاصي «١» أما بعد، فإن الذي أعجبتك مما تلويت «٢» من الدنيا، و وثقت به منها منفلت «٣» منك، فلا تظمن إلى الدنيا فإنها غرارة، و لو اعتبرت بما مضى حذرت ما بقى، و انتفعت منها بما وعظت به، و لكن اتبعت هواك و آثرته، و لو لا ذلك لم تؤثر على ما دعوناك إليه لأننا أعظم الرجاء «٤» و أولى بالحجة و السلام.

ثم كتب [عليه السلام] إلى أمراء الجنود و أمراء الخراج «٥»:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى [أصحاب] المسالحي / ٣١ / أما بعد فإنه حق على الوالي أ [ن] لا يغيره عن رعيته «٦» فضل ناله، و لا فضل مرتبة خص بها «٧» و أن يزيده ما قسم الله له دنوا من عباده و عطفاً عليهم «٨».

(١) و كان في الأصل كتب فوق حرفي: «ص» حرف «ص».

(٢) هذا هو الظاهر الموافق لما رويناه في المختار: (٩٥) من نهج السعادة، و في الأصل المخطوط: «فإن الذي لم أعجبك مما ناديت من الدنيا...».

(٣) كذا في ظاهر رسم الخط، و يحتمل أيضاً بعيداً أن يقرأ: «منقلب منك».

(٤) كذا في الأصل، و في المختار: (٩٥) من نهج السعادة: «لأننا أعظم رجاء...».

(٥) هذا هو الظاهر الموافق لما ذكرناه في المختار: (٨٤) من باب الكتب من نهج السعادة: ج ٤ ص ٢٢٨ ط ١.

و في المختار: (٥٠) من الباب الثاني من نهج البلاغة: «إلى أمرائه على الجيوش...».

و في الأصل: «ثم كتب إلى امرئ الخول و أمراء الخراج» غير أن لفظتي: «أمر الخول» كتبنا في هامش الأصل.

(٦) هذا هو الصواب، و في الأصل: «إلى المشايخ أما بعد فإنه حق على الوالي أن لا يغيره عن رغبته فضل ناله...».

(٧) و في المختار: (٨٤) من باب الكتب من نهج السعادة: «أما بعد فإن حق الوالي ألا يغيره على رعيته أمر ناله و لا أمر خص به...».

(٨) و في المختار (٥٠) من باب الكتب من نهج البلاغة: «فإن حقاً على الوالي أن لا يغيره على رعيته فضل ناله و لا طول خص به، و أن يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده و عطفاً على إخوانه...».

ص: ١٠٤

ألا و إن لكم عندي أ [ن] لا أحتجز دونكم سرّاً إلّا سرّاً في حرب، و لا أطوى دونكم أمراً إلّا في حكم، و لا أؤخر النعمة بكم عن محلّه «١» و أن تكونوا عندي في الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة و [لى عليكم] الطاعة، و

أن لا تنكصوا عن دعوة، و لا تفرطوا في صلاح، و أن تخوضوا الغمرات إلى الحق فإن أنتم لم تسمعوا لى على ذلك، لم يكن أحد أهون علىّ ممن فعل ذلك منكم، ثم أعظم فيه عقوبته، و لا يجدى عندي فيها رخصة، فخذوا هذا من أمرائكم و أعطوا من أنفسكم هذا يصلح الله لكم أمركم و السلام.

(١) كذا في الأصل، و في نهج البلاغة: «و لا آخر لكم حقا عن محله و لا أقف به دون مقطعه». و هو الظاهر.

و ما وضعناه في التالي بين المعقوفين مأخوذ من نهج البلاغة.

ص: ١٠٥

[خطبة أمير المؤمنين عليه السلام لما بلغه أن المعرضين عن الحق تخلّفوا عنه، ثم دعوته إليهم و تكلمه معهم و عتابه لهم
بمرأى و مسمع من الناس، و المهاجرين و الأنصار].

و ذكروا أنّه لما بلغه تخلّف ابن عمر عن بيعته، و سعد بن أبي وقّاص، و محمد بن مسلمة، قام رضى الله عنه خطيبا في الناس، فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على النبيّ صلى الله عليه و سلم، و على أهل بيته ثم قال:

أيّها الناس إنكم بايعتموني على ما كان ببيع عليه من كان قبلي، و إنما الخيار للناس قبل البيعة، فإذا بايعوا فلا خيار لهم.

ألا و إنّ على الإمام الاستقامة، و على الرعية التسليم، و هذه بيعة عامّة، من ردّها رغب عن دين المسلمين، و اتّبع غير سبيلهم «١».

ألا و إنّ لم تكن بيعتكم إيّاي فلتة، و لا عليها لبس [ظ] [ليس] أمرى و أمركم واحدا، إنما أريدكم لله و أنتم تريدوني لأنفسكم.

و أيّم الله لأنصحنّ الخصم، و لأنصفنّ المظلوم «٢» و قد بلغني عن ابن عمر و سعد

(١) و في المختار: (٥٥) من نهج السعادة: ج ١، ص ١٩٦، ط ١: «و هذه بيعة عامّة من رغب عنها [رغب] عن دين الإسلام و اتبع غير سبيل أهله ...».

(٢) و في المختار: (١٣٧) من نهج البلاغة: «أيّها الناس أعيونى على أنفسكم و أيّم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه و لأقودنّ الظالم بخزائمه حتى أوردته منهل الحقّ و إن كان كارها».

ص: ١٠٦

ابن أبي وقّاص و محمد بن مسلمة، أمور كرهتها، و الحقّ بينى و بينهم في ذلك «١».

ثم نزل [عن المنبر] رضى الله عنه، و بعث إليهم فأتوه، و جمع الناس ثم قال لهم: بلغنى عنكم أمور كرهتها، ألا و إنى لست أكرهكم على القتال بعد بيعتى. فأخبرونى ما الذى بطأ بكم عمّا دخل فيه المسلمون؟ و ما الذى تكرهون من القتال معى؟ أ ليس قد بايعتم أبا بكر و عمر و عثمان؟ قالوا: بلى. قال: فأخبرونى لو أن ابن أبى سفيان و عمرو بن العاص قاتلا أحدا من الخلفاء؛ أ كنتم تقتلونهما معهم؟ قالوا: نعم. قال:

فلم تكرهون القتال معى و قد تشاورتم «٢» فى بيعتى ثلاثة أيّام و لياليهنّ، و قد علمتم أنّى لست دون خلفائكم، فأخبرونى عنكم هل تخرجون «٣» من بيعتى؟ قالوا: لا و الله و لكنّا نكره معك قتال أهل الصلاة! قال علىّ رحمه الله: فإنّ أبا بكر قد استحلّ قتال أهل الصلاة، و قد رأى عمر مثل ذلك.

فقال مالك بن الحارث الأشتر: يا أمير المؤمنين إنّنا و إن لم يكن لنا من القدم ما لهم، فإنّهم ليسوا بأولى مما شاركناهم فيه منّا، و هذه بيعة عامّة، الخارج منها طاعن، و الممتنى عنها مستعتب، فلا يتبعنّ الناس أهواءهم، فإنّ أدبهم اليوم باللسان و غذا بالسيف و ليس من يتثاقل عنك كمن خفّ معك.

و ذكروا أن عبد الله بن عمر قال: [يا] أبا الحسن أشدك الله و الرحم أن تدخلنى فيما لا أعرف، إنما أنا حمل رداح لا غدوّ له و لا رواح «٤».

(١) و فى نهج السعادة: «و قد بلغنى عن سعد و ابن مسلمة، و أسامة و عبد الله و حسان بن ثابت أمور كرهتها و الحقّ بينى و بينهم...».

(٢) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «و قد تشاورى...».

(٣) هذا هو الظاهر، و الكلمة كانت فى الأصل مكتوبة بحاءين مهملتين.

(٤) و الرداح من الأشجار: الكبيرة منها. و من الكباش: الضخم الألية.

ص: ١٠٧

[استئذان عمّار بن ياسر من أمير المؤمنين عليه السلام فى أن يتكلّم مع ابن عمر و محمد بن مسلمة. ثم كلام أمير المؤمنين عليه السلام فى المتخلفين عنه].

ثم انصرف القوم. فذكروا أن عمّار بن ياسر رحمه الله، قال: يا أمير المؤمنين ائذن لى فى كلام ابن عمر. فأذن له.

فقال له عمّار: يا ابن عمر إنّك قد بايع عليّا من المهاجرين و الأنصار من إن فضلناه عليك لم يغضبك، و إن فضلناك عليه لم يرضك و قد أنكرت السيف فى قتال أهل الصلاة، و قد علمنا أن القاتل عليه القتل، و المحصن عليه الرجم، فهذا يقتل بالسيف، و هذا يرجم بالحجارة، ألا و إنّ عليّا لم يقاتل أحدا من أهل الصلاة حتى يلزمه من حكم القتال ما يلزم هؤلاء.

قال: فضحك ابن عمر و قال: يا أبا اليقظان، إن عمر جمع أهل الشورى من قريش، و هم الذين قبض رسول الله و هو عنهم راض، فكان أحقهم فى نفس ابن عمر / ٣٢ / علىّ بن أبى طالب، و هو اليوم على ما كان عليه أمس، و هذه البيعة كبيعة عثمان، غير أنّه جاء أمر فيه السيف فضعت عنه، و لكن و الله يا أبا اليقظان، ما أحبّ أن الدنيا و ما فيها لى، و إنى أظهرت عداوة علىّ بن أبى طالب يوما، أو أضمرت بغضه ساعة.

قال: فضحك عمّار و قال: يعلمون و لا يعملون، و يقولون ما لا يفعلون.

فرجع [عمّار] إلى علىّ رحمة الله عليه، ثم استأذنه فى أمر محمد بن مسلمة

ص: ١٠٨

[فأذن له] فلمّا لقيه عمّار قال له محمد: مرحبا يا أبا اليقظان على فرقة بينى و بينك، إنه و الله لو لا ما فى يدى من رسول الله صلى الله عليه و سلم لبايعت [عليّا على القتال] و لو أنّ الناس استمالوا المسلمين «١» و مال علىّ جانبا لكنت معه، و لكن سقط إلىّ من رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه رأى.

فقال له عمّار: حسبك يا ابن مسلمة، أخبرنى كيف قال لك رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ [أقال لك] إذا رأيت أهل الصلاة يقتتلون؟ أو إذا رأيت المسلمين يقتتلان؟

فو الله لا ترى مسلمين يقتتلان أبدا، و إن كان قال [لك: إذا رأيت] أهل الصلاة [يقتتلون] فمن سمع هذا معك؟ فإنما أنت أحد الشاهدين، و عندنا من رسول الله صلى الله عليه و سلم قول بعد قولك [قاله فى] يوم حجّة الوداع، أنه قال: دماؤكم عليكم حرام إلّا بحدث. [و هل كان] فيقول: يا محمد لا تقاتل المحدثين؟ ألا و من كذب على رسول الله [صلى الله عليه و سلم] متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار.

فقال محمد: حسبك يا أبا اليقظان يرحمك الله.

و ذكروا أن عليّا قال لعمّار بن ياسر: دع عنك هؤلاء الرهط الثلاثة، أمّا ابن عمر فضيف فى دينه، و أمّا سعد بن أبى وقّاص فحسود، و أمّا محمد بن مسلمة فذنبى إليه أنى قتلت قاتل أخيه مرحبا يوم خيبر.

(١) كذا.

ص: ١٠٩

[خطبة أمير المؤمنين عليه السلام لمّا أخبره أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بأن طلحة و الزبير التقيا ببني أميّة ممن كان منهم بمدينة، فأجمع رأيهم على نقض بيعتك].

و ذكروا أن عليّا رضى الله عنه لمّا قسم بينهم بالسويّة، و أعطى الأسود و الأحمر «١» عطية واحدة، أنكر ذلك من فعله قوم و وجدوا من ذلك، و مشى بعضهم إلى بعض بالعتب و الطعن.

فبلغ ذلك أصحابه من المهاجرين والأنصار، فاجتمع أبو الهيثم بن التيهان و خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين، و عمّار بن ياسر، و رفاعة بن رافع، و أبو حيّة و خالد بن زيد و سهل بن حنيف، فتشاوروا، فاجتمع رأيهم على أن يركبوا إلى عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه، و يخبروه أن طلحة و الزبير و من كان من بنى أمية بالحجاز قد اجتمع رأيهم و اشتملت «٢» عداوتهم، و هم مصرون على أمير لا نأمنهم عليه.

فركبوا إلى عليّ بن أبي طالب، فقالوا: يا أمير المؤمنين انظر فى أمرك، و عاتب قومك هذا الحىّ من قريش، فإنهم قد نقضوا عهدك، و أخلفوا وعدك، و قد دعونا فى السرّ إلى رفضك، هداك الله لرشدك، و ذلك لأنهم فقدوا الأثرة، و كرهوا الأسوة، فلما استتب «٣» بينهم و بين الأعاجم، أنكروا، و استشاروا عدوك، فاجتمع رأيهم

(١) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «الأسود و الأخضر».

(٢) هذا هو الظاهر، و ذكره فى الأصل بالسين المهملة.

(٣) كذا.

ص: ١١٠

على أن يطلبوا بدم عثمان، فرقة للجماعة، و ائتلافا لأهل الجهالة! فرأى.

فأقبل علىّ راكبا بغلة رسول الله الشهباء، فدخل المسجد، فركب المنبر مغضبا [و] عليه عمامة خزّ سوداء، مرتديا بطاق، متزرا ببرد قطرى، متوشحا سيفا، متوكئا على قوس، فقال:

أمّا بعد أيها الناس، فإنّا نحمد الله ربّنا و إلهنا و ولّى النعمة علينا، الذى أصبحت نعمه علينا ظاهرة و باطنة، بغير حول منّا و لا قوّة إلّا امتنانا علينا، و فضلا ليلبونا أن نشكر أم نكفر، فمن شكر زاده و من كفر عذّبه.

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحدا صمدا.

و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، بعثه رحمة للعباد و البلاد و البهائم و الأنعام، نعمة أنعم به علينا و منّا و فضلا صلى الله عليه و سلّم.

فأفضل الناس - أيها الناس - عند الله منزلة، و أعظمهم شرفا، و أقربهم من رسول الله قربا، و أعظمهم عند الله خطرا أطوعهم لأمر الله، و أعلمهم بطاعة الله، أعلمهم لسنّة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أحياهم لكتاب الله، فليس / ٣٣ / لأحد ممن خلق الله عندنا فضل إلّا بطاعة الله و طاعة رسوله و اتباع كتابه و سنّة نبيّه عليه السلام.

هذا كتاب الله بين أظهركم، و عهد نبيّ الله و سيرته فينا لا يجهلها إلّا جاهل معاند عن الحقّ، يقول الله فى كتابه: «يا أيّها النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أَنْثى، وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاهُمْ» «١» فمن اتقى فهو

الشريف المكرّم المحبّ. وكذلك أهل طاعة الله و طاعة رسوله، لقول الله في كتابه: «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» الآية: [٣١/ آل عمران: ٣].

(١) و ذكرها في الأصل إلى قوله: «لتعارفوا» ثم قال: إلى [قوله] «عند الله أتقاكم...».

ص: ١١١

و يقول [الله]: «[و] أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» «١».

ثم صاح بأعلى صوته: يا معشر المهاجرين، يا معشر الأنصار، يا معشر المسلمين أ تمنّون على الله و رسوله بإسلامكم؟ و لله و لرسوله المنّ عليكم إن كنتم صادقين.

ثم نادى: ألا إنّه من استقبل قبلتنا، و أكل ذبيحتنا، و شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أنّ محمدا عبده و رسوله، أجرينا عليه أحكام القرآن، و أقسام الإسلام ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله و طاعته، جعلنا الله و إياكم من المتقين، و أوليائه و أحبائه الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون.

ثم قال: ألا إنّ هذه الدنيا التي أصبحتم تطلبونها، و ترغبون فيها، و أصبحت تغضبكم و ترضيكم، ليست بداركم و لا منزلكم الذي خلقتم له، و لا الذي دعيتم إليه.

ألا و إنّها ليست بباقية لكم، و لا تبقون عليها، و لا تغرّنكم فقد حذرتموها، و وصفت لكم و جرّبتموها، فأصبحتم لا تحمدون عواقبها.

فسابقوا إلى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها، فهي العامرة التي لا تخرب أبدا [و] الباقية التي لا تنفد، و هي التي رغبكم الله فيها، و دعاكم إليها، و جعل لكم الثواب فيها.

فانظروا يا معشر المهاجرين و الأنصار و أهل دين الله ما وصفتكم به في كتاب الله و نزلتم به عند رسول الله «٢» و جاهدتم عليه فيم فضّلتم؟ أ بحسب أو نسب؟ أو بعمل و طاعة؟ فاستتمّوا نعم الله عليكم يرحمكم الله بالصبر لأنفسكم على طاعة الله، و الذلّ لحكم الله، و المسارعة في رضوان الله، و المحافظة على ما استحفظكم الله من كتابه

(١) و ذكرها في الأصل هكذا: «أطيعوا الله - إلى [قوله]: لا يحب الكافرين».

(٢) هذا هو الظاهر الموافق لما في المختار: (٥٧) من نهج السعادة: ج ١، ص ٢٠٣ ط ١. و في الأصل: «و نزلتم به عن رسول الله...».

ص: ١١٢

أَلَا وَ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ.

أَلَا وَ [إِنَّهُ] لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْءٌ حَافِظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ مِنَ التَّقْوَى.

عَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَ التَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ، وَ الرِّضَا بِقَضَائِهِ وَ الصَّبْرِ عَلَى بَلَائِهِ.

فَأَمَّا هَذَا الْفِيءُ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فِيهِ أَثَرَةٌ قَدْ فَرَّغَ اللَّهُ مِنْ قِسْمِهِ، فَهُوَ مَالُ اللَّهِ، وَ أَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ الْمُسْلِمُونَ.

وَ هَذَا كِتَابُ اللَّهِ بِهِ أَقْرَنَّا، وَ عَلَيْهِ شَهِدْنَا وَ لَهُ أَسْلَمْنَا، وَ عَهْدَ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ أَظْهَرْنَا.

فَسَلِّمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ لِأَمْرِ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَذَا فَلْيَتَبَوَّأْ حَيْثُ شَاءَ وَ كَيْفَ شَاءَ، فَإِنَّ الْعَامِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَ الْحَاكِمَ بِحُكْمِ اللَّهِ لَا وَحْشَةَ عَلَيْهِ، أَوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ ..

نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا وَ إِلَهَنَا أَنْ يَجْعَلَنا وَ إِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وَ أَنْ يَجْعَلَ رَغْبَتَنَا وَ رَغْبَتَكُمْ فِيْمَا عِنْدَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَ لَكُمْ «١».

ثُمَّ نَزَلَ عَنِ الْمَنْبَرِ وَ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَ بَعَثَ بَعْمَارًا إِلَى طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ وَ هُمَا فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَقَامَا فَجَلَسَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمَا «٢»:

أَنْشِدُكُمَا اللَّهَ، هَلْ جِئْتُمَانِي تَبَايَعَانِي طَائِعِينَ، وَ دَعَوْتُمَانِي إِلَيْهَا وَ أَنَا كَارِهِ؟ قَالَا:

(١) إِلَى هُنَا رَوَيْنَاهُ فِي الْمَخْتَارِ: (٥٧) مِنْ نَهْجِ السَّعَادَةِ: ج ١ ص ٢٠٠ ط ١، نَقْلًا عَنْ كِتَابِ تَحْفِ الْعُقُولِ ص ١٢٥، وَ غَيْرِهِ.

(٢) وَ فِي الْأَصْلِ: «فَقَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ...».

ص: ١١٣

اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: غَيْرَ مُجْبُورِينَ وَ لَا مُقْسُورِينَ فَأَسْلَمْتُمَا لِي بِيَعْتِكُمَا، وَ أَعْطَيْتُمَانِي عَهْدَكُمَا؟ قَالَا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. فَقَالَ عَلِيٌّ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ «١»؟ قَالَا: أَعْطَيْنَاكَ بِيَعْتِنَا عَلَى أَنْ لَا تَقْطَعَ الْأَمْرَ دُونَنَا وَ أَنْ تَسْتَشِيرَنَا / ٣٤ فِي الْأُمُورِ، وَ لَا تَسْتَبْدَّ بِهَا عَنَّا، وَ لَنَا مِنَ الْفَضْلِ عَلَى غَيْرِنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ! فَأَنْتَ تَقْسِمُ الْقِسْمَ، وَ تَقْطَعُ الْأُمُورَ، وَ تَمْضِي الْأَحْكَامَ بِغَيْرِ مَشَاوَرَتِنَا، وَ لَا رَأْيِنَا وَ لَا عِلْمِنَا.

فَقَالَ عَلِيٌّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيرًا، وَ أَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا، اسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَ لَكُمْ.

ثُمَّ قَالَ [لَهُمَا]: أَلَا تُخْبِرَانِي أَوْ فِي شَيْءٍ لَكُمْ فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمَا عَنْهُ؟ أَمْ فِي قِسْمِ اسْتَأْثَرِ [ت] بِهِ عَلَيْكُمَا؟ قَالَا: مُعَاذَ اللَّهِ. قَالَ: فَنَفَى حَقَّ رَفْعِهِ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعْفَتْ عَنْهُ أَوْ جَهْلَتْهُ، أَوْ حُكِمَ أَخْطَأتُ فِيهِ «٢»؟ قَالَا: اللَّهُمَّ لَا.

قال: ففى أمر دعوتانى إليه من أمر عامة المسلمين فقصّرت عنه و خالفتكما فيه؟

قالا: اللهم لا.

قال: فما الذى كرهتما من أمرى، و نعمتما من تأميرى، و رأيتما من خلافى؟ قالا:

خلافك عمر بن الخطاب و أئمتنا و حقنا فى الفىء «٣» جعلت حقنا فى الإسلام كحق غيرنا، و سوّيت بيننا و بين من أفاء الله به علينا بسيفنا و رماحنا و اوجفنا عليه بخيلنا و ظهرت عليه دعوتنا، و أخذناه قسرا [ممن] لم يأتوا الإسلام إلّا كرها فقال على- رحمة الله عليه- الله أكبر الله أكبر اللهم إنى أشهدك عليهما، و أشهد من حضر مجلسى هذا اليوم عليهما.

(١) و كان فى الأصل كتب أولا هكذا: «فما عدا كما مما بدا بعد». ثم شطب على لفظى: «كما- و- بعد».

(٢) كذا فى الأصل، و فى المختار: (٢٠٣) من نهج البلاغة: «أ لا تخبرانى أى شىء لكما فيه حقّ دفعتكما عنه؟ و أى قسم استأثرت عليكما به؟ أم أى حقّ رفعه إلىّ أحد من المسلمين ضعفت عنه أو جهلته؟ أم أخطأت بابه». و هو أظهر.

(٣) كذا.

ص: ١١٤

ثمّ قال: أمّا ما احتججتما به علىّ من أمر الاستشارة فو الله ما كانت لى فى الولاية رغبة، و لا لى فيها محبة «١» و لكنكم دعوتمنى إليها، و حملتمونى عليها، و أنا كاره فخفت أن تختلفوا و ان أردكم عن جماعتكم، فلما أفضت إلىّ نظرت إلى كتاب الله و ما وضع لنا و أمر بالحكم فيه «٢» و ما قسم و استنّ النبىّ عليه السلام فأمضيته و اتبعته، فلم أحتج إلى رأيكما و لا دخولكما معى، و لا غيركما، و لم يقع حقّ جهلته فأثّق برأيكما فيه و أستشيركما و إخوانى من المسلمين، و لو كان ذلك لم أرغب عنكما و لا عن غيركما إذا كان أمر ليس فى كتاب الله بيانه و برهانه، و لم يكن فيه سنة من نبينا عليه السلام و لم يمض فيه أحكام من إخواننا ممن يقتدى برأيه و يرضى بحكمه.

و أمّا ما ذكرتما من الأسوة. فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه و لم أقسمه، قد وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه و سلم قسما قد فرغ الله من قسمته «٣» و أمضى فيه حكمه.

و أمّا قولكم جعلت لهم فيئنا و ما أفاءت رماحنا و سيوفنا فقدما ما سبق إلى الإسلام قوم لم يضرّهم فى شىء من الأحكام إذا استؤثر عليهم، و لم يضرّهم حين استجابوا لرّبهم و الله موفيه يوم القيامة أعمالهم. ألا و إنّنا مجرون عليهم أقسامهم فليس لكما و الله عندى و لا لغيركما فى هذا عتبا «٤».

أخذ الله بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ و ألهمنا و إيّاكم الصبر.

ثم قال: رحم الله رجلا رأى حقا فأعان عليه. أو رأى جورا فردّه، و كان عوناً للحقّ على صاحبه.

(١) كذا فى الأصل، و فى المختار السالف الذكر من نهج البلاغة: «و الله ما كانت لى فى الخلافة رغبة و لا فى الولاية إربة ...» و هو أظهر ..

(٢) و فى النهج: «نظرت إلى كتاب الله و ما وضع لنا و أمرنا بالحكم به فاتبعته، و ما استسنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فاقنديته ...».

(٣) كذا فى لأصل، و فى نهج البلاغة: «بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد فرغ منه فلم أحتج إليكما فيما فرغ الله من قسمه و أمضى فيه حكمه ...».

(٤) كذا فى النسخة فطن صحت فمعنى الكلام: ليس لكما و لا لغيركما فى عملى هذا معاتبه و موجدة و ملامة أى لا ينبغي لكما و لا لغيركما أن تعاتبانى ...

و فى نهج البلاغة: «عتبى» بالمقصورة.

ص: ١١٥

[بعث أمير المؤمنين ابنه الحسن و عمّار بن ياسر - صلوات الله عليهما - إلى الكوفة ليستنفرا أهلها لمّا أراد أن يذهب إلى البصرة لإخماد فتنة طلحة و الزبير و أمّ المؤمنين عائشة].

ثم إنّ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بعث بالحسن و عمّار بن ياسر حين خفّ للمسير إلى أهل الكوفة يستنفرهم، و كان أبو موسى قد حوّل الناس عن علىّ.

فقام عمار بن ياسر خطيباً فى أهل الكوفة فحمد الله و أثنى عليه و قال:

أيّها الناس هذا أخو نبيّكم و ابن عمّه يستنصركم و يستنفركم لنصر دين الله، و قد ابتليتم بحقّ أمّكم «١» و حقّ ربّكم أوجب عليكم، و حرّمته أعظم.

ثم أقبل علىّ أبى موسى فقال: أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلّم يقول:

إنّها ستكون فتنة بعدى الماشى فيها خير من الساعى، و القاعد فيها خير من الماشى؟! قال أبو موسى: هذه يدى بما قلت. فقال له عمّار: إن كنت صادقاً إنك سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول ذلك فإنّما عناك بذلك وحدك و أنت كذلك، و أخذ بذلك عليك الحجّة فإن كنت صادقاً فالزم بيتك و لا تدخل فى شيء من هذه الأمور.

(١) هذا هو الظاهر، و أراد من قوله: «أمّكم» أمّ المؤمنين عائشة.

و زاد كاتب الأصل بعد الألف بين السطرين حرف «ما» و كتب بعده حرف ظ «هكذا: («أمكم» و مقصوده أن الظاهر من السياق هو: «إمامكم» لا «أمكم».

ص: ١١٦

فافهموا هذه الأقاويل ممن خالف أمير المؤمنين كيف يضعف و يتناقض عند كلام المحققين! لأن الذي أتى به أبو موسى / ٣٥ / إن كان المراد فيه ما ذهب إليه فلم يأت ببيان و لا حجة و لا رأى يعتمد عليه و [لا سيما أنه] سكت [بعد ما قرعه عمّار بالحجة] فقد صار [من أجل] سكوته [عن جواب عمّار] حائرا و فى أشر الطائفتين رأيا.

ص: ١١٧

[خطبة الصحابي الكبير عمّار بن ياسر رفع الله مقامه فى أهل الكوفة. و حثّه إيّاهم على الحقوق بأمر المؤمنين عليه السلام].

ثم أقبل عمّار بوجهه فقال: أيّها الناس إنّنا إنما خشينا على هذا الدين أن يتعرّى أديمه، و أن يهن من جوانبه، و قد نظرنا لأنفسنا، و رضينا بعلّى بن أبى طالب لنا خليفة و إماما و دليلا و مؤدّبا، فنعم الخليفة و نعم الدليل، مؤدّبا لا يؤدّب، و فقيها لا يعلم، و صاحب بأس لا ينكل، و سابقة فى الإسلام ليست لأحد، فانهضوا إليه رحمكم الله فإنّ عصابة من الناس حالفوا عليه فتوجّهوا إلى البصرة عاصين له باغين عليه، حاسدين له، و لو قد حضرتموهم تبين لكم أنّهم ظالمون.

و هذا ابن بنت نبيكم قد أتاكم يستنفركم.

أيّها الناس إنكم بين منظر و مسمع من كتاب الله و سنّة نبيّه صلى الله عليه و سلم و الله ما درست المصاحف و لا عفا الأثر و لا قدم العهد و لا بالسنن و الأحداث التى حدثت من خفاء فيجهل جاهل أو يقول قائل:

و قد سمعتم ما قال صاحبكم و الذى نهاكم عنه من الشخوص إلى هذين الجمعين، و لعمري ما صدق فيما قال، و لا رضى الله من عباده بالذى ذكره لقد أنزل الله علينا قرآنا بين فيه طاعته من معصيته، و حكم فيها أحكامه و لم يدع ملّة من الملل إلّا و قد حكم فيها بالجهاد حتى يفيثوا إلى أمر الله، فحكم على المشركين أن يقاتلوا حتى يدخلوا فى

ص: ١١٨

الإسلام فقال: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» [٦٦ / التوبة: ٩] «١».

و قال: «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ» [١٤ / التوبة].

و قال فى ملّة أهل الكتاب: «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ «٢» وَ لَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ» [٢٨ / التوبة: ٩].

فجعل غاية أمرهم أن يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون، أو يقتلوا أو تسبى ذراريهم و يؤخذ أموالهم.

و قال في أهل القبلة: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا» ^٣ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ [فَإِنْ فَأَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ].

و قال في الآية الأخرى: «وَاقْتُلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ» [٣٩/ الأنفال: ٨].

فلم يرض الله من أهل طاعته من عباده أن يجلسوا في بيوتهم، و أن يخلوا بين الناس يسفك بعضهم دماء بعض، فسيروا بنا رحمكم الله إلى هذين الجمعين فاستمعوا من حججهم، ثم انظروا من أولى بالعهد و النصر فيما افترض الله عليكم فإن أصلح

(١) و قال في الآية: (١٩١) من سورة البقرة: «فاقتلوهم حيث ثقفتموهم». و قال في الآية: (٨٩ و ٩١) من سورة النساء: «فإن تولّوا فخذوهم و اقتلوهم حيث ثقفتموهم». و قال: «فخذوهم و اقتلوهم حيث ثقفتموهم». و قال في الآية: (١٩٣) من سورة البقرة: «و اقتلوهم حتى لا يكون فتنة و يكون الدين لله».

و قال في الآية ٢٩ من سورة الأنفال: «و اقتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله».

(٢) إلى هنا ذكرها في الأصل ثم قال: إلى [قوله تعالى] «و هم صاغرون».

(٣) إلى هنا ذكرها في الأصل ثم قال: إلى [قوله]: «تفيء إلى أمر الله».

و الآية هي الآية: (١٢) من سورة الحجرات: (٤٩). و إنما وضعنا ذيل الآية الكريمة بين المعقوفين للإشارة على أنه زائد عمّا رواه المصنّف، و إنما ذكرناه إتماماً للفائدة.

ص: ١١٩

الله أمرهم رجعتهم مأجورين و قد قضيتهم حقّ الله عليكم، و إن بغى بعضهم على بعض نظرتهم في الفئة الباغية و عرفتموها كما أمركم الله و افترض عليكم.

فلما سمع الناس قول عمّار بن ياسر عرجوا عن أبي موسى و قالوا: يا أبا اليقظان إنك كنت من رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمكان الذي تعلم فنسألك بحقّ الله و حقّ رسوله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يذكر هذه الفتنة؟ فقال عمّار: أشهد أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمرنا بقتال الناكثين و القاسطين، و أمرنا بقتال المارقين من أهل النهروان بالطرقات ^١ و سمعنا رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ لا يفترقان حتى يردا علىّ الحوض يوم القيامة ^٢.

فقبل الناس قول عمّار بن ياسر و استجابوا له.

فانظروا رحمكم الله في أمر من خالف عليًا و حاربه كيف كشف ضعفه و بغيه؟! و [كيف] يظهر الانتشار في قوله و فعله، و يقرّ على نفسه قبل قيام الحجّة عليه.

هذا أبو موسى يبايع لعلّي بن أبي طالب في أوّل الأمر، فلمّا بلغه أنّ عليًا ناظم عليه و أنّ رأيّه أن يبعث بغيره [مكانه] غيّر كلامه و خذل الناس عنه.

قالوا: ثم قام [ظ] الحسن بن عليّ فتكلّم و حرّض الناس على الجهاد.

(١) قد ذكرنا في تعليق ص ٣٦ أنّ الحديث من أعلام النبوة و متواترات الأخبار و أنّه رواه جمّ غفير من علماء المسلمين فراجع.

(٢) و قد تقدّم في تعليق ص ٣١، الإشارة إلى مصادر الحديث.

ص: ١٢٠

[خطبة زيد بن صوحان العبدى رفع الله مقامه في أهل الكوفة، و تقرّضه عليًا عليه السلام. ثمّ حتّاه أهل الكوفة بالحقّ به و ائتمارهم بأمره].

ثمّ قام زيد بن صوحان فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على النبيّ صلى الله عليه و سلّم ثم قال:

أيّها النّاس ما في الله و لا في نبيّه من شك و لا بالحقّ / ٣٦ / و الباطل من خفاء «١» و إنّكم على أمر جدد و صراط قبيح، إنّ بيعته علىّ بيعته مرضية لا تقبض عنها يد موقن و لا يبسط إليها مخطئ كفه.

[أيّها الناس] هل تعلمون لأمر المؤمنين علىّ من خلف؟ هل تنقمون له سابقة؟

أو تدمّون له لا حقّة؟ أو ترون به أودا؟ أو تخافون منه جهلا؟ أليس هو صاحب المواطن التي من فضلها لا تعدلون به؟ فمن عمود هذا الأمر و نظامه إلا هو؟ [و] قد جاءنا أمر الله، و سمعناه قبل مجيئه و لا بدّ له من أن يتمّ كأنّي أنظر إليه.

ثمّ رفع صوته ينادى: عباد الله إنّى لكم ناصح، و عليكم مشفق، أحبّ أن ترشدوا و لا تغوا، و إنّّه لا بدّ لهذا الدين من وال ينصف الضعيف من الشديد، و يأخذ للمظلوم بحقه من الظالم، و يقيم كتاب الله، و يحيى سنّة محمد صلى الله عليه و سلم «٢».

ألا و إنّّه ليس أحد أفقه في دين الله، و لا أعلم بكتاب الله، و لا اقرب من رسول الله صلى الله عليه و سلم من أمير المؤمنين علىّ بن أبي طالب، فانفروا إلى أمير المؤمنين و سيّد المسلمين، و سيروا على اسم الله فإنّا سائرون «الم أ حسب النّاس أن يتركوّ أن يقولوا آمنا و هم لا يفتنون» [١/ العنكبوت: ٢٩].

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «من سقا».

(٢) و كتب هنا في الهامش لفظي: «عليه السلام» بلا نصب علامة.

ص: ١٢١

[كلام حجر بن عدى رفع الله مقامه في تقريض الإمام الحسن، و حث الناس على اللّٰحق بأمر المؤمنين عليه السلام و الجهاد معه].

[ثم] قام حجر بن عدى «١» فقال: أيها الناس هذا الحسن بن عليّ أحد أبويه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و الآخر من ليس له عدل من أمة محمد و لا شبيهه، هذا سيّد شباب أهل الجنّة، سيد شباب العرب و العجم في الدنيا و الآخرة، و هو رسول أبيه إليكم يدعوكم إلى الحقّ و النصر لدين الله، فالسعيد من وازره، و الشقيّ من تخلف عنه، فانفروا رحمكم الله خفافا و ثقالا و جاهدوا في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم لعلكم تفلحون.

فتهيّأ الناس للمسير و أجابوا مسارعين و الحمد لله ربّ العالمين.

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «و قام حجر بن عدى».

ص: ١٢٢

[كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أصحاب الخراج].

و ذكروا أيضا أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضی الله عنه كتب إلى أصحاب الخراج:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج سلام عليكم «١».

أمّا بعد فإنّه من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم لنفسه ما يحرّرها و من اتّبع هواه و انقاد له و أثر ذلك على ما يعرف أهلك نفسه و عمّا قليل ليصبحنّ نادمين.

ألا و إنّ أسعد الناس في الدنيا من عدل عمّا يعرف ضرّه، و إنّ أشقاهم من اتّبع هواه. فاعتبروا و اعلموا أنّ لكم ما قدّمتم من خير و ما كان مما سوى ذلك، وددتم لو أنّ بينكم و بينه أمدا بعيدا و يحذركم الله نفسه و الله رءوف بالعباد. و اعلموا أنّ عليكم وبال ما فرطتم فيه، و أنّ الذي كلّفتكم ليسيّر، و أنّ ثوابه لكبير.

و لو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي و العدوان عقاب يخاف، كان ثوابه ما لا

(١) و هذا هو المختار: (٨٥) من باب الكتب من نهج السعادة: ج ٤ ص ٢٣٢، و المختار: (٥١) من الباب الثانى من نهج البلاغة.

ص: ١٢٣

عذر لأحد بترك طلبه، فارحموا ترحموا، و لا تعذبوا خلق الله، و لا تكلفوهم فوق طاقتهم، و أنصفوا الناس من أنفسكم، و اصبروا لحوائجهم فإنكم خزّان الرعيّة.

و لا تتخذوا حجابا، و لا تحبسوا أحدا عن حاجته، و لا تأخذوا أحدا بأحد إلّا كفيلا عمّن كفل عنه «١» و اصبروا أنفسكم على ما فيه اغتباطكم.

و إيّاكم و تأخير العمل بالتوانى و العلل، و دفع الخير بالكسل، فإنّ فى ذلك حرمان الأبد.

و خذوا على أيدي سفهائكم، و احترسوا أن تعملوا أعمالا لا يرضى الله بها عنّا فيرد علينا و عليكم دعاؤنا، و لذلك قال [الله]: «قُلْ مَا يَعْبُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ» [٧٧/ الفرقان: ٢٥] و إنّ الله إذا مقت قوما أهلّكهم، فلا تدّخروا أنفسكم خيرا، و لا الجند حسن سيرة، و لا الرعيّة معونة، و لا دين الله قوّة، و أبلوا قوتكم فى سبيله ما استوجب عليكم فإنّ الله قد اصطنع عندنا و عندكم فيحب أن نشكره جهدنا و أن ننصره ما بلغت قوتنا «٢» و لا قوّة إلّا بالله.

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما فى المختار: (٨٥) من باب الكتب من نهج السعادة، و فى الأصل و لا تأخذوا أحدا بأحد إلّا كفيل من كفل عنه».

(٢) كذا فى أصلى، و فى المختار: (٥١) من الباب الثانى من نهج البلاغة: «و أبلوا فى سبيله ما استوجب عليكم فإنّ الله سبحانه قد اصطنع عندنا و عندكم أن نشكره بجهدنا و أن ننصره بما بلغت قوتنا ...».

ص: ١٢٤

[كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمّاله لما عزم على المسير إلى الفتنّة الباغية و إخوة الناكثين و المارقين معاوية و أتباعه القاسطين].

فلما أراد [أمير المؤمنين] المسير كتب إلى عمّاله نسخة واحدة:

بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعد فإنّ جهاد من صدف عن الحقّ رغبة عنه، و دبّ فى نفس العمى و الضلال «١» اختيارا له، فريضة على / ٣٧ العارفين بأمره.

إنّ الله تبارك و تعالى يرضى عمّن أرضاه و يسخط على من عصاه، و إنّنا قد هممنا بالمسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا فى عباد الله بغير ما أمر الله، و استأثروا بالفيء، و عطّلوا الحدود، و أماتوا الحقّ، و أظهروا الفساد فى الأرض، و اتّخذوا

الفاستقين وليجة دون المؤمنين، فإذا ظالم تابعهم على ظلمهم أحبوه وأدنوه وآثروه، وإذا ولي الله أعظم أحداثهم أبغضوه وأقصوه وحرّموه، فقد أصرّوا على الظلم، وجمعوا على الخلاف، وقعدوا عن الحق، وتعاونوا على الإثم وكانوا ظالمين.

فإذا أتيت بكتابي هذا فاستخلف على عملك أفضل أصحابك في نفسك وأقبل إلينا لعلك تلقى معنا هذا العدو المحلّ فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتجامع المحقّ وتباين المبطل فإنّه لا غنى بنا وبك عن أجر الجهاد، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم والسلام.

و بعث بها إلى عمّاله، و بعث بها إلى عبد الله بن عباس بالبصرة، فاستخلف عبد الله على البصرة أبا الأسود الدئلي و قدم على عليّ.

(١) كذا في الأصل، و في المختار: (٨١) من باب الكتب من نهج السعادة: ج ٤ ص ٢٢٣: «و هبّ في نعاس العمى و الضلال ..».

ص: ١٢٥

[قيام أمير المؤمنين عليه السلام في الناس و مشاورته إياهم للمسير إلى حرب معاوية، ثمّ حتّه إياهم على قتال أهل الشام لمّا وافاه أصحابه. و من كتب إليه بالقدوم عليه من عماله]

فلما توافى أصحابه قام في الناس يحرضهم على قتال أهل الشام، فقال:

أيها الناس سيروا إلى أعداء الإسلام، سيروا إلى [من] حارب محمدا قديما و جماع طغام «١» سيروا إلى المؤلّفة قلوبهم كيما تكفّوا عن المسلمين بأسهم فطال و الله ما صدّوا عن سبيل الله و بغوا الإسلام عوجا، و تحالفوا و تحاربوا على رسول الله عليه السلام و المسلمين، و جعلوا لهم المراد، و وضعوا لهم المسالحي، و رموهم بالمناسر و الكتائب، و صدّوا رسول الله عليه السلام و المسلمين عن المسجد الحرام، و قتلوا الذين يأمرّون بالقسط من الناس، و جدّوا في إطفاء نور الله حتى أظهره الله و هم له كارهون.

و أيم الله ما زلنا لهم على الإسلام متّهمين و لأحداثهم فيه خائفين، حتى نجمت منهم هذه الأمور التي ترون.

فأشيروا علىّ فإنّكم ميامين الرأي راجحي العقل مقاويل بالحقّ، مباركي الفعل و الأمر «٢».

فقام إليه الأشتر فقال: إنّ جميع من ترى من الناس شيعتك و ليسوا يرغبون بأنفسهم

(١) لعلّ هذا هو الصواب، و في الأصل: «سيروا إلى حرب محمد قديما و جماع طغام».

و انظروا المختار: (١٧٦) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٩٥ ط ١، و كتاب صفين ص ٩٤.

(٢) و قريبا منه رويناه في المختار: (١٧٥) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٩١ ط ١.

ص: ١٢٦

عن نفسك و إذا شئت فسر بنا إلى عدوك، فو الله ما ينجو من الموت من خافه، و لا يعطى البقاء من أحبه، و لا يعيش بالأمل إلّا الأتقياء، و إنّنا لعلّى يقين من ربنا أنّ نفسا لن تموت حتى يأتى أجلها. بل كيف لا نقاتل قوما هم كما وصف أمير المؤمنين، و الله ما ازدادوا للإسلام إلّا غشّا و لا لأهله إلّا بغضا، و لقد وليت عصابة منهم على طوائف من المسلمين فأسخطوا الربّ، و أظلمت بأعمالهم الأرض، و أماتوا السنّة، و أحيوا البدعة، و باعوا خلاقهم بعرض من الدنيا يسير «١» فعجل النهوض بنا إليهم نحاكمهم إلى الله فيما اختلفنا فيه حتى يحكم الله و هو خير الحاكمين.

ثمّ قعد.

فقام عدى بن حاتم الطائي فقال: يا أمير المؤمنين ما قلت إلّا بعلم و لا دعوت إلّا إلى الحقّ، و ما أمرت إلّا برشد فإن رأيت أن تستأني هؤلاء القوم و تستديمهم حتى يقدم عليهم رسلك، و يقدم عليهم كتبك فعلت، فإن يقبلوا يصيبوا رشدهم، و العافية أوسع لنا و لهم، و إن يتمادوا في غيهم، و لم ينزعوا عن شقاقهم القانا ذلك «٢» و قد تقدّمنا إليهم بالعدر و دعوانهم إلى ما في أيدينا من الحقّ.

و لعمرى لهم أهون علينا من قوم قاتلناهم أمس بناحية البصرة لمّا جهر [ت] لهم الحقّ فتركوه ناجزناهم القتال حتى رأينا فيهم ما نحبّ، و بلغ الله فيهم رضاه.

فقام زيد بن حصين الطائي - و كان من / ٣٨ / أصحاب البرانس - فقال:

لعمرى لئن كنّا في شكّ من قتال من خالفنا [و] لا تصلح لنا النية في قتالهم حتى نستأنيهم و نستديمهم «٣» ما الأعمال إلّا في تباب و لا السعى إلّا في ضلال و و الله - و بنعمة ربّي

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما في كتاب صفّين، و في الأصل: «و باعوا بخلاقهم ...». و الخلاق - بفتح الخاء -: الحظّ و النصيب من الخير.

(٢) كذا في الأصل، و في كتاب صفّين ص ٩٩: «و إن يتمادوا في الشقاق و لا ينزعوا عن الغيّ فسر إليهم و قد قدّمنا إليهم العذر، و دعوانهم إلى ما في أيدينا من الحقّ ...».

(٣) هذا هو الظاهر الموافق لما في كتاب صفّين ص ٩٩، و في الأصل: «و نسند بهم».

ص: ١٢٧

أحدثت، و ببلائه الحسن الجميل أنبئ- ما ارنبت طرفة عين فى غى من يبتغون دمه «١» فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم القليل فى الإسلام حظهم أعداء الحقّ و أعوان الظلم [و] مشددى أساس العدوان، ليسوا من المهاجرين و لا الأنصار و لا التابعين بإحسان.

فقام إليه رجل من طىّ فقال: يا زيد أ كلام سيّدنا عدىّ تهجّن؟.

فقال: إنكم و الله ما أنتم أعرف بحقّ عدىّ منى، و لا أدع الحقّ و إن سخط الناس.

فقال عدىّ: الطريق مشترك و الناس فى الحقّ سواء، و من اجتهد رأيّه و نصيحته للعامة فقد قضى ما عليه و له «٢».

قالوا: ثمّ قام عمّار بن ياسر فحمد الله و أتنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين إن استطعت فلا تقم يوما واحدا، أشخص بنا قبل استعار [نار] حرب الفجرة، و اجتماع رأيهم على الصدود و الفرقة، فادعهم إلى حظّهم و رشدهم فإن قبلوا سعدوا، و إن أبوا إلّا حربنا ناجزناهم فو الله إن سفك دمائهم و الجدد فى جهادهم «٣» لقربة من الله و كرامة منه.

ثمّ قعد.

فقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى فقال: يا أمير المؤمنين انكمش إلى عدوّنا و لا تعرج «٤» فو الله إن جهادهم أحبّ إلىّ من جهاد الترك و الروم لإدهانهم فى دين الله و استذلالهم أولياء الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلّم و آله و التابعين بإحسان إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو سيّروه أو حرموه، و فيئنا [لهم] فى أنفسهم حلال.

(١) الظاهر أنّ هذا هو الصواب، و فى الأصل: «من تبغون دمه» و فى كتاب صفّين ص ٩٩. «فيمن يبتغون دمه».

(٢) كذا فى الأصل، و جعله فى كتاب صفّين ص ٩٥ من كلام أمير المؤمنين معقبا به كلام الأشتر، ثمّ ذكره فى ص ١٠٠، منه عن عدى بن حاتم بمثل ما هاهنا.

(٣) هذا هو الظاهر الموافق لما فى كتاب صفّين، ص ٩٣، و فى الأصل: «فى عداوتهم...».

(٤) و مثله فى شرح ابن أبى الحديد. يقال: عرج فلان عن الشىء: «تركه و مال عنه. و عرج: وقف و لبث. و تعرج على المكان: حبس مطيئته عليه و أقام فيه. و فى كتاب صفّين ص ٩٣: و لا تمرّد.

ص: ١٢٨

فقام يزيد بن قيس الأرحبىّ فقال: يا أمير المؤمنين إنّ الناس على جهاز و عدّة، و أكثرهم أهل قوّة، و من ليس به ضعف «١» و ليست به علة، فمر مناديك أن ينادى فليخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة فإن أخوا الحرب ليس بالسئوم و لا النثوم، و لا الذى إذا أمكنته الفرض أملى لها و استشار فيها، و لا الذى يؤخّر عمل الحرب فى اليوم إلى غد و بعد غد.

فقال زياد بن النضر الحارثي: يا أمير المؤمنين [لقد] نصح لك يزيد بن قيس و قال ما عرفناه، فسر على بركة الله إلى عدوك راشدا معانا، فإن يرد الله بهم خيرا لا يدعوك رغبة عنك إلى من ليس مثلك في السابقة مع النبي صلى الله عليه وسلم و القدم في الإسلام و القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم و إ[ن] لا ينيبوا و يقبلوا و يابوا إلّا حربنا «٢» يجدوا بهم علينا هوانا و رجونا أن يصرعهم الله إلى مصارع إخوانهم بالأمس.

فقال عبد الله بن بديل الخزاعي: إن القوم و الله لو كانوا يريدون الله أو لله يعملون [ما خالفونا] و لكن القوم إنما يقاتلونا فرارا من الأسوة و حبا للأثرة، و ضنا بسلطانهم و كراهية لفراق ديناهم التي في أيديهم و غلا و وحرا في صدورهم و عداوة يجدونها في أنفسهم.

و كيف يبائع معاوية عليا و قد قتل أخاه و خاله و جدّه، و الله ما أظن أن يفعل دون أن تقصّد فيهم المران و تقطع على هامهم السيوف، و تتثنى حواجبهم بعمد الحديد «٣» فتكون أمور جمّة بين الفريقين.

فخرج على رضى الله عنه فعسكر بالنخيلة، فلما توافى أصحابه بالنخيلة قام رجل

(١) كذا في الأصل، و في كتاب صفين ص ١٠١: «و من ليس بمضعف و ليس به علة...».

(٢) و كان في الأصل هكذا: «و الا تبتوا و يقتلوا يجدوا بهم علينا هوانا...» و صحّحناه من كتاب صفين و فيه:

«و إلّا ينيبوا و يقبلوا و يابوا إلّا حربنا نجد حربهم علينا هيّنا، و رجونا أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم بالأمس».

(٣) كذا في الأصل، و في كتاب صفين ص ١٠٣: «و تنثر حواجبهم بعمد الحديد».

ص: ١٢٩

يقال له جندب بن زهير الأزدي و الحارث الأعور الهمداني فقالا: قد آن للذين أخرجوا من ديارهم بغير حق أن يثوبوا فيغيروا، و للمظلومين و المحرومين أن ينتصروا «١» و للمنكرين الجور بقلوبهم أن ينطقوا. ألا إن المؤمنين استذلّوا فقهروا، و قلّوا فستروا، و أخرجوا من أموالهم و أخلوا عن أبنائهم و نسائهم «٢» فصلحاء من عباد الله بالمشرق منفيّون إلى المغرب، و صلحاء أسلافنا السابقين بالخيرات منفيّون / ٣٩ من حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جوار الوحش و السباع بمنزلة الغربية و الوحدة و الوحشة، فالحدود معطّلة و الولاة فجرة، و دين الله مفقود، و كتابه ممزق و عهده منبوذ فما تنتظرون عباد الله من جهاد قوم لا يكفّون عن الظلم، و لا يعطون حقّ الرّب، و لا يحكمون بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون.

فقال الحارث بن عبيد الأعور في عراض كلام حذب كالمستجيب لقوله و المحرّض معه: و ما لنا إلّا نقاتل في سبيل الله - و قد أخرجنا من ديارنا و أبنائنا و أموالنا - الذين يشربون الخمر و يلبسون الحرير، و يفترون الديباج، و يزعمون أن فينا لهم حلال.

ثمّ قام عمرو بن الحمق فقال: يا أمير المؤمنين و الله ما بايعتك و لا أجبتك على عرض من الدنيا تؤتنيه، و لا التماس سلطان ترفع ذكرى به، و لكننى أجبتك لخصال خمس: إنك ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه و سلم و أولى الناس بالمؤمنين بالله «٣» و زوج سيدة [نساء] الأئمة [فاطمة] بنت رسول الله عليه السلام، و أبو الذرية التى بقيت فينا من رسول الله صلى الله عليه و سلم و أعظم رجل من المهاجرين و الأنصار «٤» سهما فى الإسلام، فو الله لو كلّفت نقل الجبال الرواسى و نزع البحار الطوامى أبدا حتى

(١) لعلّ هذا هو الصواب، و فى أصلى «أن يوبوا فيعتبروا للمظلومين و للمحرومين أن ينتصروا».

(٢) كذا فى أصلى، و لعلّ الصواب: «و قتلوا قُبُوراً و أخرجوا من مساكنهم و ديارهم، و أخذوا عن أبنائهم و نسائهم ...».

(٣) كذا فى الأصل، و فى كتاب صفين: «إنك ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أول من آمن به ...».

و ما وضعناه بعد ذلك بين المعقوفات مأخوذ منه.

(٤) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «و أعظم رجل واحد من المهاجرين ...» و فى كتاب صفين: «و أعظم رجل من المهاجرين سهما فى الجهاد ...».

ص: ١٣٠

يأتى علىّ يومى فى شىء أو هن به عدوك و أقوى به وليك، و يعلى الله كعبك، و يفلج الله علىّ به حجّتك، ما ظننت أنّى أدّيت كلّ الذى [يحقّ] علىّ من حقّك.

فقال علىّ: اللهمّ نور قلبه باليقين، و اهده الصراط المستقيم ليت فى جندى مائة مثلك.

ثمّ قام حجر بن عدىّ فقال: يا أمير المؤمنين نحن أبناء الحرب و أهلها الذين لم نزل نلقحها و ننتجها و قد ضرّستنا الحرب و ضرّسناها و مارسناها «١» و لنا إخوان ذو صلاح و عشيرة ذات عدد و رأى مجرّب، و بأس محمود، و لله علينا النعماء و الطول فأزمتنا «٢» منقادة لك بالسمع و الطاعة، فإن شرّقت شرّقنا، و إن غربّت غربّنا، و ما هويت من أمر فعلنا.

فقال علىّ: أكلّ قومك على مثل رأيك؟ فقال: ما يظهرون إلا حسنا و هذه يدى على قومى بحسن الطاعة و الإجابة.

فدعا له أمير المؤمنين بخير.

و ذكروا أنّه قدم عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى إلى الأنبار و أتبعه كتابا منه «٣» [و هذا نصّه]:

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن بديل سلام عليك.

أمّا بعد، فإنّه بدا لى المقام بشاطئ الفرات لحمام عبد الله فليجثنى عبد الله بن عباس بمن معه و حريث بن جابر.

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «الذى لم نزل نلقحها...».

و نلقحها- من باب علم-: نسعّرها و نهيجّها. و ضرستنا الحرب- من باب التفعيل -: جربّتنا و حنّكتنا.

(٢) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «و لله علينا النعما به و الطول فإن مسنا». و في كتاب صفّين ص ١٠٤: «و رأى مجرّب و بأس محمود، و أزمّتنا...».

(٣) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «و أتبعه كتاب منه».

ص: ١٣١

و انظر جندك فأقم بهم بالمكان الذى أنت به، و إيّاك و مواجهة أحد من خيل العدوّ حتى أتقدّم عليك «١» و أذك العيون نحوهم «٢» و ليكن مع عيونك من السلاح ما يباشرون به القتال، و لتكن عيونك الشجعان من جندك، فإنّ الجبان لا يأتّيك بصحّة الأمر.

وانته إلى أمرى و من قبلك بإذن الله و السلام.

فلما أراد المسير قام في الناس فقال: الحمد لله غير مفقود بالنعم، و لا مكافأ بالإفضال «٣».

و أشهد أن لا إله إلا الله و نحن على ذلك من الشاهدين، و أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه و سلم.

أما بعد ذلكم فإنّي قدّمت مقدماتى و أمرتهم بلزوم هذا المكان حتى يأتّيهام أمرى «٤» و قد أردت أن أقطع هذه النطفة إلى شزيمة موطنين أكناف دجلة فأنهضهم معكم إلى عدوكم إن شاء الله.

و قد أمرت على مصركم عقبة بن عمرو الأنصارى، و لم آلكم و لا نفسى نصحا فإنّي أكرم و التخلّف و التربّص فإنّي قد خلّفت مالک بن حبيب اليربوعى [و أمرته أن لا يترك متخلّفا إلّا ألحقه بكم عاجلا إن شاء الله] «٥».

ثمّ دعا بدابته فجاء بها قنبر، فلما ركب أخذ مالک بعنانها فقال: يا أمير المؤمنين

(١) كذا.

(٢) هذا هو الظاهر، يقال: أذكى عليه العيون: أرسل عليه الجواسيس. و في الأصل: «و أدلّ العيون نحوهم...».

(٣) و هذا و ما بعده رواه في المختار: (٤٨) من نهج البلاغة.

و رويناه مع كثير من تواليه في المختار: (١٨٤) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ١٢١، ط ١، و فيهما:

«غير مفقود الإنعام، و لا مكافأ الأفضال...».

(٤) كذا فى الأصل، و فى المختار: (٤٨) من نهج البلاغة و (١٨٤) من نهج السعادة: «أما بعد فقد بعثت مقدّمتى و أمرتهم بلزوم هذا الماطاط حتى يأتهم أمرى...».

(٥) ما بين المعقوفين قد سقط عن أصلى، و أخذناه من كتاب صفين ص ١٣٢.

ص: ١٣٢

أ تخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد و القتال و تخلفنى فى حشر / ٤٠ / الناس «١»؟ فقال:

يا مالک إنهم لن يصيبوا من الأجر شيئاً إلّا كنت شريكهم فيه، و أنت هاهنا أعظم غناء عنهم منك لو كنت معهم. فقال مالک: فسمعا و طاعة يا أمير المؤمنين.

فسار أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه و سار أمامه الحرّ بن سہم بن طریف التميمى و هو يقول:

يا ناع سیرى بى و أمى الشاما «٢» و قطعى الآحاد و الآکاما «٣»

و نابذى من خالف الإماما و إنى لأرجو إن لقيت العاما

جمع بنى أمية الطغاما أن يقتل العاصى و الهاما

و أن نزيل من رجال هاما فلما انتهى الحرّ إلى آثار الكسرى وقف ينظر إليها و يتمثل بقول الأسود بن يعفر:

جرت الرياح على محل ديارهم و كأنما كانوا على ميعاد

فقال له علىّ رضى الله عنه: فلولا قلت: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ، وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ» [٢٦ / الدخان: ٤٤] إن هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين.

إن هؤلاء لم يشكروا النعم فسلبوها بالمعصية. فأياكم و كفر النعم لا تحلّ بكم النقم «٤».

[ثم قال] انزلوا بنا هذه الفجوة «٥».

ثم أمر الحارث الأعور فنادى فى أهل المدائن: أن وافوا أمير المؤمنين صلاة العصر.

فوافوه فحمد الله و أثنى عليه [ثم] قال:

(١) هذا هو الظاهر الموافق لكتاب صفين ص ١٣٣، غير أن فيه: «فى حشر الرجال ...». و رسم الخط من الأصل غامض و كأنه يقرأ: «فى حيس الناس ...».

(٢) و فى غير واحد من المصادر: «يا فرسى سبرى و أمى الشاما».

(٣- ٤) و رواه أيضا الحاكم النيسابورى فى المستدرک: ج ٢ ص ٤٤٩، و فيه: «واقطعى الأحفاف و الأعلاما».

و رواه أيضا أبو الفرج فى كتاب الأغانى: ج ١١، ص ١٣٠.

(٥) الفجوة: ما اتسع من الأرض، و فى كتاب صفين ص ١٤٣: «انزلوا بهذه النجوة». و النجوة: المكان المرتفع.

ص: ١٣٣

أما بعد فإنى قد عجبت لتخلفكم عن إخوانكم و انقطاعكم عن مصركم فى [هذه] المساكن الظالم أهلها، أكثر سكانها لا معروف يأمرؤن به و لا منكر ينهون عنه «١».

فقالوا: يا أمير المؤمنين كنا ننتظر أمرک.

فخرج ثم نزل الأنبار فاستقبله دهقان من رؤسائها يقود البراذين [فى جمع من الدهاقنة] و قد اتخذوا له و لأصحابه طعاما و علفا [فلما استقبلوه ترجلوا له و اشتدوا بين يديه] «٢» فقال لهم: ما هذه الدواب التى معكم، و ما أردتم بهذا الذى صنعتم:

فقالوا: أما [ما] صنعنا فإنه. شىء كنا نعظم به الأمراء، و أما هذه البراذين فأهديناها لك، و قد صنعنا لك و للمسلمين طعاما، و هيئنا لدوابكم علفا.

فقال [على] رضى الله عنه: أما هذا الذى زعمتم أنه منكم خلق تعظمون به الأمراء، فو الله ما ينفع ذلك الأمراء، و إنكم لتشققون «٣» على أنفسكم و أبدانكم فلا تعودوا له. و أما دوابكم هذه فإن أحببتم أخذناها منكم و حسبناها لكم من خراجكم، و أما الذى صنعتم من الطعام و العلف، فإننا نكره أن نأكل من أموالكم شيئا إلّا بثمن.

فقالوا: يا أمير المؤمنين إن لنا من العرب موالى و معارف أ فتمنعنا أن نهدى لهم؟

و تمنعهم أن تقبلوا هديتنا؟ فقال عليه السلام: و كل العرب لكم موالى و معارف، ليس أحد من العرب بأحق منكم من أحد، و لست أمنعكم أن تهذوا لمعرفة، و لا لأحد من المسلمين أن يقبل هدية، و إن غضبكم أحد فأعلمونا. فقالوا: إنا نحب يا أمير المؤمنين أن تقبل كرامتنا، فقال: و يحكم نحن أغنى منكم.

(١) و فى المختار: (١٩٠) من نهج السعادة: ج ٢ ص ١٤٠: «و الهالك أكثر سكانها لا معروفا تأمرؤن به و لا منكر تنهون عنه».

(٢) ما بين المعقوفات مما يدلّ عليه السياق، و هو مذكور معنى في كتاب صفّين و تحت الرقم: (٣٧) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٣) هذا هو الصواب الموافق لما في نهج البلاغة و نهج السعادة، و في الأصل: «و إنكم لتشفقون...».

ص: ١٣٤

[نزول أمير المؤمنين عليه السلام في مسيره إلى الشام على جانب دير البليخ ب «الرقّة» و نزول صاحب الدير إليه و عرضه عليه الكتاب الذي كتبه بعض أصحاب عيسى بن مريم عليهما السلام في البشارة ببعث النبي العربي و مرور وصيّيه بجيشه على دير البليخ، ثم التوصية بالإيمان به و مصاحبة وصيّيه]

فمضى [على] ثم نزل إلى جانب الفرات فأتاه قيّم كان هنا لك «١» فقال: يا أمير المؤمنين إنّه كان عند أبي كتاب قديم كتبه بعض أصحاب عيسى صلى الله عليه و سلم، و كنّا أهل بيت نتوارثه فإن شئت أتيتك به؟ فقال: قد شئت، فأتاه به فقرأه عليهم، و إذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى، و سطرّ فيما سطرّ و كتب فيما كتب، أنّه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب و الحكمة و يدلّهم على سبيل الجنّة، ليس بفظّ و لا غليظ، و لا سحاب في الأسواق «٢» و لا يجزى السيئة بالسيئة.

و لكن يعفو و يصفح، و أمّته المجاهدون الحمّادون، الذين يحمدون الله في كل هبوط

(١) كذا في أصليّ، و لكن لفظة: «قيم» كانت فيه بنحو الإهمال.

و رواه أيضا الخوارزمي في الفصل الثالث في بيان قتال أهل الشام من الفصل: (١٦) من كتاب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ص ١٦٧، و قال:

و روى عن حبة العرنى قال: لمّا نزل علىّ عليه السلام بمكان يقال له البليخ على جانب الفرات نزل راهب من صومعته فقال لعليّ عليه السلام إن عندنا كتابا ...

و رواه أيضا نصر بن مزاحم المنقري في كتاب صفّين ص ١٤٧، عن عمر بن سعد [الأسدی] عن حبة [ابن جوين] عن عليّ [عليه السلام] قال: لمّا نزل علىّ الرّقة [نزل] بمكان يقال له بليخ على جانب الفرات.

فنزل راهب هناك من صومعته فقال لعليّ: إنّ عندنا كتابا توارثناه عن آبائنا كتبه [أصحاب] عيسى بن مريم، أعرضه عليك؟ قال عليّ: نعم فما هو؟ قال:

(٢) كذا في الأصل، و مثله في كتاب المناقب للخوارزمي، و في كتاب صفّين: «و لا صحّاب» و هو كثير الصياح و اللَّغَط.

و على كل شرف و صعود، تدلل ألسنتهم بالتكبير و التهليل، و تنصر نبّهم على من ناوأه، و إذا توفّاه الله اختلفت أمّته ثم اجتمعت فتلّبت ما شاء الله ثم تختلف فيمرّ من أمّته رجل يجرّ الجيش بشاطئ هذا البحر مقبل / ٤١ / بأهل المشرق يريد أهل المغرب و هو أولى أهل ذلك الزمان بالنبىّ فى القرابة و الدين، فينزل إلى جانب هذا الدير يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و يقضى بالحقّ و لا يرتشى فى الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد حين تعصف به الريح و الموت أيسر عليه فى جنب الله من الماء العذب على الظمّ، يخاف الله فى السرّ و ينصح له فى العلانية، و لا تأخذه فى الله لومة لائم.

فمن أدرك ذلك الرسول من أهل هذه البلاد فأمن به، فإنّ ثواب ذلك رضوان الله و الجنة.

و من أدرك ذلك العبد الصالح فليتبّعهُ فإنّ القتل معه شهادة.

فقال علىّ: الحمد لله الذى لم أكن عنده منسياً، و الحمد لله الذى ذكرنى عنده فى كتب الأبرار.

فقال ذلك القيم: لمّا بعث الله نبيّه أسلمت، و لمّا مررت بنا اتّبعتك و أنا مصاحبك و لن أفارقك حتى يصيبني ما أصابك.

فقال حرمة بن حوبة العرنى «١» فكان ذلك الراهب رفيقى فلمّا لقينا عدوّنا أصيب، فلمّا دفن كلّ قوم قتلاهم طلبه علىّ فوجده فصلّى عليه و استغفر له و دفنه و قال: هذا ممّا أهل البيت.

(١) كذا فى الأصل، و الظاهر أنّه مصحّف، و الصواب: «قال حبّة بن جوين العرنى ...».

[كلام الصحابى العظيم عمّار بن ياسر رفع الله مقامه و كشفه عن إخلاصه و تقربه إلى الله تعالى بالتفادى فى سبيله و محاربته الفئة الباغية].

و ذكروا أن عمّاراً لمّا توجه إلى صفّين قال: اللهمّ لو أعلم أنّه أرضى لك أن أرمى بنفسى من فوق هذا الجبل لرميت بها، و لو أعلم أنّه أرضى لك أن أوقد لنفسى نارا عظيمة فأقع فيها لفعلت، و إنّى لا أقاتل أهل الشام إلّا و أنا أريد بذلك وجهك، و أنا أرجو أن لا تخيبنى، و أنا أريد وجهك «١».

قالوا: و كان عمّار يحبّ عليّاً، كلّما قام خطيب من أهل العراق يدعو أهل الشام؛ قام عمّار فى أثره فقال: إنّنا و الله ما نجد إلا قتال أهل الشام أو ندخل النار.

فتدبّروا رحمكم الله هذه السيرة، و تصفّحوا هذه الآثار، و اعتبروا بما يرد عليكم من هذه الأنباء و الأخبار لتعلموا أىّ الفريقين أولى سبيلاً، و أحقّ أن يتّبع، و أيّهم أعدل سيرة و أسلك لطريق الطاعة، و أرغب فى ثواب الله و الدار الآخرة.

فارجعوا إلى النظر في ذلك، و تدبروه، فقد كان لكم في الطعن أئمة، و قد سبقكم إلى الخطأ و الشك قوم انكشفت الأمور عند التماس الشأن و الحجّة، فأعقبهم تخلفهم حسرة و ندامة، لأن الأمور قد تنكشف لمن لا بصيرة له صادرة و لا يعرفها مقبلة.

(١) و قريبا منه رواه نصر بن مزاحم في أوائل الجزء الخامس من كتاب صفين ص ٣٢٠ و قبلها و بعدها أيضا ذكر كلما عنه قال:

ثمّ قال عمّار: اللهمّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك في أن أقذف بنفسى في هذا البحر لفعلت.

اللهمّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك أن أضع ظبة سيفى في بطنى ثمّ أنحنى عليها حتى يخرج من ظهري لفعلت.

اللهمّ و إنّى أعلم مما أعلمتني أنّى لا أعمل اليوم عملا هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، و لو أعلم اليوم عملا أرضى لك منه لفعلته.

ص: ١٣٧

[تحذير أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه من اعتياد السّبّ و اللّعن و كراهته لهم أن يكونوا سبّابين و لعّانين].

و كان رضى الله عنه من مبالغته في الدعاء و حسن سيرته في الكفّ عن الأذى، و دعائه بالتى هى أحسن - اقتداء بأدب الله و طلبا لما هو أصلح - أنه لما بلغه عن أصحابه أنهم يكترون شتم مخالفيهم باللّعن و السّبّ، أرسل إليهم أن كفّوا عمّا بلغنى [عنكم] من الشتم و الأذى.

فلقوه، فقالوا: يا أمير المؤمنين ألسنا محقّين؟ قال: بلى. قالوا: و من خالفنا مبطلون؟ قال: بلى، قالوا: فلم منعنا من شتمهم؟ فقال: كرهت أن تكونوا سبّابين و لكن لو وصفتهم أعمالهم و ذكرتم حالهم كان أصوب في القول، و أبلغ في العذر، و [لو] قلتهم مكان سبّكم إيّاهم: اللهمّ احقن دماءنا و دماءهم، و أصلح ذات بيننا و بينهم، و اهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحق من جهله، و يرفعوا من الغيّ و العدوان من لهج به، فهذا من الكلام أحبّ إلىّ لكم. فقالوا: قد أصبت «١».

و كتب [عليه السلام] إلى معاوية:

من [أمير المؤمنين] علىّ بن أبى طالب إلى معاوية بن أبى سفيان سلام عليك «٢».

(١) و هذا الكلام رويناه عنه عليه السلام في المختار: (١٧٩) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ١٠٤، ط ١.

و رواه أيضا السيد الرضى أعلى الله مقامه في المختار: (٢٠٦) من نهج البلاغة.

و رواه أيضا نصر بن مزاحم المنقرى في أواسط الجزء الثاني من كتاب صفين ص ١٠٣.

(٢) كذا فى الأصل، و المستفاد من سياق الكلام أن هذا الكتاب كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية فى أوائل ما بايعه الناس قبل ذهابه إلى البصرة و قبل أن يظهر معاوية خلافه و شقاقه.

ص: ١٣٨

أمّا بعد، فإنّ الله جعل الدنيا لما بعدها «١» و ابتلى أهلها فيها لينظر كيف يعملون، و أيّهم أحسن عملا و هو العزيز الغفور، و ابتلاني بك و ابتلاك بى فجعل أحدنا حجّة على الآخر تمحيصا «٢» فعبرت على طلب الدنيا بتأويل القرآن «٣» و طلبتني بما لم تجن يدى و لا لسانى، و عصيتني أنت و أهل الشام / ٤٢ / آلب عالمكم جاهلكم، و لبستم عليه الحقّ سفها بغير علم «٤» و أتيتم بهتاننا و إثما مبينا، و تولّيت من ذلك إثم ما حاولت، و أنت عارف بوصول ضرّه إليك فى عاجل الدنيا و آجل الآخرة «٥».

فاتّق الله يا معاوية فى نفسك، و جاذب الشيطان قيادك، فإنّ الدنيا منقطعة [عنك] و إنّ الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون «٦».

فتفكّر فيما لك و عليك من هذا الأمير يوضح لك سبله، و استعن بما أعناك الله و لا تجاهل فإنّك عالم فتدارك نفسك و لما يحدث يجعل الله لك و لسلطانك سبيلا و السلام.

و لمّا همّ بالمسير إلى معاوية كتب إلى جميع عمّاله يأمرهم بالقدوم و ليشهدوا قتال عدوّهم و يخلّفوا من يقوم مقامهم.

(١) و فى المختار: (٥٥) من الباب الثانى من نهج البلاغة: «أمّا بعد فإنّ الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها، و ابتلى فيها أهلها ليعلم أيّهم أحسن عملا، و لسا للدنيا خلقنا و لا بالسعى فيها أمرنا، و إنّما وضعنا فيها لنبتلى بها، و قد ابتلاني الله بك ...».

(٢) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «و تمحيصا ...».

(٣) كذا فى الأصل، و فى نهج البلاغة: «فعدوت على طلب الدنيا ...».

(٤) و فى نهج البلاغة: «فطلبتني بما لم تجن يدى و لسانى و عصبتك أنت و أهل الشام بى و آلب عالمكم جاهلكم و قائمكم قاعدكم. فاتّق الله فى نفسك، و نازع الشيطان قيادك، و اصرف إلى الآخرة وجهك فهى طريقنا و طريقك. و احذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمسّ الأصل و تقطع الدابر، فإنّى أولى لك بالله ألية غير فاجرة، لئن جمعتنى و إيّاك جوامع الأقدار لا أزال بياحتك حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين.

(٥) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «و عاجل الدنيا ...».

(٦) و هذه القطعة مما ورد أيضا فى ضمن المختار: (٣٢) من كتب نهج البلاغة.

ص: ١٣٩

[خطبة ابن عباس في أهل البصرة وحثه إياهم على حرب معاوية لما بلغه كتاب أمير المؤمنين عليه السلام في أن يقدم هو وجند البصرة إليه للذهاب إلى الشام].

وكتب إلى عبد الله بن عباس وكان واليه على البصرة.

فلما وصل الكتاب إلى عبد الله قرأه على أهل البصرة، فلما فرغ منه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس استعدوا للمسير إلى إمامكم وانفروا خفافا وثقالا، وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، و [أيقنوا] أنكم تقاتلون المحلّين الفاسطين - الذين لا يقرءون القرآن ولا يعرفون حكم الكتاب، ولا يدينون دين الحق - مع أمير المؤمنين وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصادق بالحق، والقائم بالهدى، والحاكم بما في الكتاب لا يرتشى في الحكم، ولا يدهن الفجار، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

ص: ١٤٠

[وصية أمير المؤمنين عليه السلام لزياد بن النضر الحارثي لما أمره على مقدمته و سيّره إلى الشام وقدمه أمامه].

فلما تهيأ [أمير المؤمنين] عليه السلام للمسير «١» جعل زياد بن النضر الحارثي و شريح ابن هانئ على مقدمته، ثم قال:

يا زياد بن النضر اتق الله في كل ممسى ومصبح، وخف على لسانك الدنيا الغرور ولا تأمنها على حال من البلاء «٢» و اعلم أنك إن لم تردع نفسك عن كثير ممّا تحبّ مخافة مكروهه، سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرّ فكن لنفسك مانعا رادعا عن البغى والظلم فإنّي قد وليتك هذا الجند فلا تستذلّهم، ولا تسلّطن عليهم فإنّ خيركم أتقاكم «٣».

تعلّم من عالمهم، وعلم جاهلهم، واحلم عن سفيهم، فإنما يدرك الخير بالحلم وكف الأذى والجهل.

فقال زياد: يا أمير المؤمنين أوصيت [إيصاء] كافيا [و نحن نكون] حافظا لوصيتك، متأذبا بأدبك، يرى الرشد في أمرك، والغنى في تضييع عهدك.

(١) ما بين المعقوفين إظهار توضيحي لما أضمره المصنف. وفي الأصل: «فلما تهيأ للمسير عليه السلام...».

(٢) ومثله في المختار: (١٨٢) من نهج السعادة: ج ٢ ص ١١٦، ط ١. و لفظة: «البلاء» غير موجودة في المختار: (٥٦) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

(٣) كذا في الأصل، وفي المختار: (٤٠) من باب الوصايا من نهج السعادة: ج ٨ ص ٣٢٧ ط ١: «فلا تستذلّهم ولا تستطل عليهم...».

ص: ١٤١

[كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى زياد بن النضر و شريح بن هانئ لما بلغه اختلافهما].

فمضى زياد بن النضر و شريح بن هانئ، و أتبعهما [أمير المؤمنين عليه السلام] بكتاب منه، و ذلك لأنه بلغه خلاف كان بينهما، فكتب:

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر و شريح بن هانئ سلام عليكما.

أمّا بعد، فقد وليتكم يا زياد مقدّمتي و أمرتكم عليها، و شريح على طائفة منها أمير، فإذا اجتمعتما فأنت يا زياد الأمير على الناس و إن افترقتما فكل واحد منكما أمير الطائفة التي وليته.

و اعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، و عيون المقدمة طلائعهم، فإذا أنتما خرجتما من بلادكما و دنوتما من بلاد عدوكم فلا تسأما من توجيه الطلائع في كل ناحية، و من نقض الشعاب و الخمر في كل جانب لئلا يغيركما عدو و يكون لهم كمين «١».

و لا تسيّر الكتائب و القبائل و الرجال من لدن الصباح إلى المساء إلّا على تعبئة، فإن دهمكم [أمر] أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم لهم في التعبئة.

(١) لعلّ هذا هو الصواب، و في الأصل: «و من بعض الشعاب و الخطر في كل جانب لئن لا يعتزكم عدو، و يكون لهم كمين». و الخمر - محرّكة -: ما يستتر به.

و في المختار: (٨٦) من باب الكتب من نهج السعادة: ج ٤ ص ٢٣٦: «فلا تسأما من توجيه الطلائع و من نقض الشعاب و الشجر و الخمر في كل جانب كي لا يغتركم عدو؛ و يكون لكم كمين».

ص: ١٤٢

و إذا نزلتم بعدو أو نزل بكم [عدو] فليكن منزلكما قبال الأشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كيما يكون ذلك لكم رداء، و تكون مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين «١».

و اجعلوا الرقباء في صياصي الجبال، و بأعلى الأشراف، و بمنابك الأنهار يربثون لكم «٢» لأ [ن لا] يأتيكم عدوكم من مكان مخافة أو أمن.

و إيّاكم و التفرّق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعا، فإذا / ٤٣ / غشيكم الليل فحفّوا عسكريكم بالرماح و الترس، و اجعلوا رماطكم تلى أترستكم و رماحكم، و ما أقمتكم ففعلوا لكيلا تصاب لكم غرة، و لا تلفوا منكم غفلة «٣» فإن قوما ما حفّوا عسكريهم برماحهم و أترستهم في ليل أو نهار إلّا كانوا كأنهم في حصون «٤».

و احرسا عسكريكم بأنفسكم، و إيّاكما أن تذوقا نوما حتى تصبحا إلّا غرارا أو مضمضة. ثم ليكن ذلك شأنكما و دأبكما حتى تنتهيا إلى عدوكم.

و ليكن عندي في كل يوم خبركم و رسول منكم، فإنني حثيث السير في أثركم إن شاء الله تعالى.

و عليكما فى حربكما بالتؤدة، و إياكما و العجلة إلّا أن تمكّنكما فرصة.

و لا تقاتلا حتى تبديا إلّا أن يأتیکما أمرى «٥».

(١) كذا فى الأصل، غير أنّ ما بین المعقوفين مأخوذ من نهج السعادة، و فيه و فى نهج البلاغة: «فليكن معسكرکم فى قبل الأشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار. و لتكن مقاتلکم من وجه واحد ...».

(٢) كذا فى الأصل، و كأنه مأخوذ من قولهم: «ر بأزید - كمنع - على الجبل رباً»: أشرف عليه. و رباً القوم و للقوم: صار لهم ربيّة أى طليعة و رقيبا و عينا. و لعلّ ما فى المتن أظهر مما فى نهج السعادة: «يرون لكم لثلا يأتیکم عدوكم من مكان مخافة أو أمن ...».

(٣) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «و لا تلفوا لكم غفلة». و فى نهج السعادة: «و لا تلفى منكم ...».

(٤) كذا فى الأصل، و فى نهج السعادة: «فما قوم حقاّ عسكرهم برماحهم و ترستهم من ليل ...».

(٥) كذا فى الأصل، و فى نهج السعادة: «و عليكما فى حربكما بالتؤدة، و إياكم و العجلة إلّا أن تمكّنكم فرصة بعد الإعذار و الحجة و إياكما أن تقاتلا حتى أقدم عليكما إلّا أن تبدا أو يأتیکما أمرى إن شاء الله و السلام».

ص: ١٤٣

فتصفّحوا هذا التدبير و تفهّموه تجدوه لما قلتم مكذّبا و لما قلنا مصدّقا، و هل ترون فيه خللا؟ و هل ترون من وراء ما وصفنا عنه رأيا هو أصوب مما أمر به؟ و أغمض ممّا أوصى به و امثله؟ و قد يتبع هذا من تدبيره ما يكثر فى القول، و يغمض فى علم التدبير.

و مما يؤكّد ما قلنا و يحقّقه من أن الانتشار عليه لم يكن هو سببه أنّ عليّا فيما ذكر أهل العلم نزل يوم صفّين فى عاقول «١» من الفرات لم يكن بطبعه أحد، فحسده معاوية على منزله ذلك فطرح فى عسكره كتابا:

من عبد الله الناصح، أمّا بعد، فإن معاوية يريد أن يرتحل و يشقّ عليكم الماء فخذوا حذرکم».

فقال الناس لعلّى: ارتحل فاسبقه إلى ذلك المكان فإنّا نخاف أن يشقّ علينا الماء «٢».

فقال لهم على: إنّ هذا من معاوية مكيدة لأنّه قد حسدکم على هذا المنزل فغلبو [ه على] رأيه حتى ارتحل منه، فلمّا ارتحل منه جاء معاوية حتى نزله!! فقال لهم على:

أ لم أخبركم أنّه مكر من معاوية؟! و إنما أذكر لكم من أموره و سيرته جملا تزيل العمى و توضح سبيل الصواب من الخطأ، و لتعلموا عند تفهّم ما ذكرنا [ه] و النظر فيما عنه أتا [نا] أنّه سيف من سيوف الله حذب للدوائر «٣» حارب مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم شاباً ماضياً في التماس ثواب الله قدماً حتى صار شيخاً، لم تكن له صبوة ولا نبوة [كان] يخوض في جنب الله الغمرات، ويهتك بحجته ستر الشبهات.

(١) عاقول الفرات: معطفه. و من الأمور والأرض: ما لا يهتدى لها.

(٢) هذا هو الظاهر، وفي الأصل فيه و ما قبله: «و شقّ عليكم الماء ... إن شقّ علينا الماء».

و انظر تفصيل القصة في أواخر الجزء الثالث من كتاب صفين ص ١٩٠.

(٣) كذا

ص: ١٤٤

[خطبة عبد الله بن عباس في أهل العراق لما التقوا بصفين مع أهل الشام، و تقرّضه علياً عليه السلام و حتّه على قتال معاوية و أصحابه].

قالوا: و لما التقى أصحابه و معاوية أمر أصحابه بالكفّ، و أن لا يبدءوهم بالحرب حتى يبالغ في الدعاء، و يدعوهم إلى الله جهراً، و أن يجعلوا كتاب الله بينهم قاضياً.

فقام عبد الله بن عباس خطيباً - و هو ممن لا ينكرون فضله و تقدّمه في العلم - فقال: الحمد لله ربّ العالمين دحا تحتنا سبعا و رفع فوقنا سبعا، و خلق فيما بينهما خلقاً و أنزل لهم فيها رزقاً، ثم جعل كل شيء يبلّى، و يبقى وجهه الحيّ القيوم «١».

ثم إن الله بعث أنبياء و رسلاً فجعلهم حججاً على عباده و عذراً و نذراً، لا يطاع إلّا بعلمه و إذنه، فمن بطاعته على من يشاء من عباده ثم يثيب عليها، يعصى بعلمه «٢» و يعفو عن العظيم، و يغفر الكثير بحلمه، أحصى كلّ شيء عدداً و أحاط بكل شيء علماً.

ثم إنني أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، و أن محمداً عبده و رسوله صلى

(١) كذا في الأصل، و رواه أيضاً في أواسط الجزء الخامس من كتاب صفين ص ٣١٨، و فيه: «ثم خلق ما بينهنّ خلقاً و أنزل لنا منهنّ رزقاً ثم جعل كل شيء يبلّى و يفنى غير وجهه الحيّ القيوم الذي يحيى و يبقى ...».

(٢) كذا في الأصل، و في كتان ب صفين: «و يعصى [بعلم منه] فيعفو و يغفر بحلمه، لا يقدر قدره و لا يبلغ شيء مكانه ...» و يحتل رسم الخط أيضاً أن يقرأ: «و يقضى بعلمه».

ص: ١٤٥

اللّٰه عليه و سلم إمام الهدى و النّبىّ المصطفى.

ثمّ [إنّه] قد ساقنا قضاء اللّٰه و قدره إلى ما ترون حتى كان فيما اضطرب من حبل هذه الأُمّة أن ابن آكلة الأكباد وجد من طغام الناس أعوانا على عليّ بن أبى طالب ابن عمّ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و صهره، و أوّل ذكر صلىّ معه، بدرىّ قد شهد مع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و سلم كل مشهد / ٤٤ / الفضل «١» و معاوية و أبو سفيان مشركان باللّٰه يعبدان الأصنام.

ثمّ اعلّموا و اللّٰه الذى توخّد بالملك لقد قاتل عليّ «٢» مع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و سلم و عليّ يقول: صدق اللّٰه و رسوله. و معاوية و أبو سفيان يقولان: كذب اللّٰه و رسوله. فما معاوية فى هذا «٣» بأبرّ و أتقى، و لا أرشد و لا أصوب منه فى ذلك.

فعليكم بتقوى اللّٰه و الجدّ و الحزم و الصبر، فو اللّٰه إنّكم لعلّى الحقّ، و إنّ القوم لعلّى الباطل، و لا يكوننّ عدوّكم أولى بالجدّ فى باطلهم منكم فى حقّكم فقد كلمت «٤» و الحمد لله إن اللّٰه سيعذبهم بأيديكم أو [بأ] يدى غيركم. ربّنا أعزّنا و لا تخذلنا، و انصرنا على عدوّنا، و افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ، و أنت خير الفاتحين و أسْتَغْفِرُ اللّٰه لى و لكم.

ثمّ إنّ أصحاب عليّ بن أبى طالب بعثوا بغلمانهم يستقون لهم فمَنَعَهُمْ من شرب الماء معاوية يزدد بذلك بغيا على بغيه جرة على اللّٰه فى منعه.

فليعتبر معتبر، و ليحسن النظر ناظر إذا فكّر فى سيرة عليّ بن أبى طالب و من خالفه

(١) و فى كتاب صفّين: «بدرىّ قد شهد مع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و سلم كلّ مشاهدته التى فيها الفضل».

(٢) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «عليّ». و فى كتاب صفّين: «و اعلّموا و اللّٰه الذى ملك الملك وحده فبان به و كان أهله، لقد قاتل عليّ بن أبى طالب ...».

(٣) أى فى خلافه لعلّى و قيامه مع طغام أصحابه على منازعة عليّ حقّه. و فى كتاب صفّين: «فما معاوية فى هذه بأبرّ و لا أتقى و لا أرشد و لا أصوب منه فى قتالكم».

(٤) هذه الكلمة غير موجودة فى كتاب صفّين.

ص: ١٤٦

من أصحاب صفّين و الجمل كيف يبدءون بالبغى و النكث، و يتبعون ذلك بما هو أقبح فى سيرتهم.

و اجتمع أصحاب عليّ إليه و قالوا: قد منعنا الماء، و قد متنا عطشا. فأرسل [عليّ] إلى معاوية صعصعة بن صوحان، فأتاه صعصعة فقال: إن أمير المؤمنين يقول لك:

إنَّ خيلك قد حالت بيننا و بين الماء فإن شئت صرفت عنَّا خيلك حتى نستقي من الماء و نرى من رأينا و ترى من رأيك فيما سرنا إليه و سرت إليه.

فقال له الفاسق في كتاب الله؛ الوليد بن عقبة: أرى أن تقتلهم عطشا فلم تأذن لهم في شرب الماء. و جمع خيله على الماء و منعهم منه.

فلما رأى ذلك عليّ بن أبي طالب أمر أصحابه بقتال القوم حتى يخلّوا لهم عن الماء، فقاتلوهم حتى صار الماء في أيدي أهل الحقّ و انكشف عنه أهل البغي و غلب أهل الحق عليه.

فبعث إليهم معاوية [أن] خلّوا عن الماء ليكون بيننا و بينكم فقال أصحاب عليّ:

قد طلبنا هذا منك أوّل مرة فأبيت علينا فأما الآن فلا.

فبلغ ذلك عليّ بن أبي طالب فأرسل إلى أصحابه أن خلّوا بينهم و بين الماء نعدل و إن ظلم و إن بغي و إن غدر «١» و نصف و إن منع النصف، و نغفو إذا قدر [نا].

و أقبل رجل من أهل الشام يقال له: حوشب ذو ظليم و كان له قدر - إلى عليّ ابن أبي طالب فقال له: ألا ترى يا عليّ أنّه قد قسم الله لك قسما حسنا فخذ به شكر:

إنّ لك قدما في الإسلام «٢» و سابقة و قرابة من رسول الله صلى الله عليه و سلم و صهرا و تجربة و سببا، فإن تلق بيننا غدا فإنّه لبوار العرب [كذا] وضيعة الحرمات «٣» و لكن

(١) كذا في الأصل غير أن فيه: «فإن غدر به ...».

(٢) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «بشكران لك قدم في الإسلام ...».

(٣) هذا هو الظاهر و في الأصل: «وضيعة الحرمان».

ص: ١٤٧

انصرف راشدا و خلّ بيننا و بين شامنا و تحقن دماءنا و دماء أصحابك.

فقال له عليّ بن أبي طالب: إنّك لم تأل عن النصيحة بجهدك، و لو علمت أنّه يسعني في ديني [المداهنة] أجبتك و لكان أهون عليّ في المؤنة و لكن الله لم يرض لأهل القرآن أن يعمل [الناس] بمعاصي الله في أكناف الأرض و هم سكوت «١» لا يأمرّون و لا ينهون. و اعلم يا حوشب أنّي «٢» قد ضربت الأمر ظهره و بطنه و أنفه و عينيه حتى لقد منعني من نوم الليل فما وجدت يسعني إلا قتالهم أو الكفر بما جاء به محمد و كانت معالجة القتال أهون عليّ من معالجة الأغلال و كانت مؤنات الدنيا أهون عليّ من النار «٣».

فو الله ما أجد يقدر مخالف و لا ناصب [أن] يقول: إنَّ عليًّا قاتل القوم و احتمل تلك المكاره و صبر على المحن العظام لغير ما ذكرنا [ه].

و كيف يمكن ذلك و يدّعى عليه مخالف طلب دنيا أو رغبة فيما رغب فيه أهل الشقاق و الردى، و أموره / ٤٥ / قد انكشفت للعامة و الخاصة في سيرته و زهده و تقلّله في مأكله و ملبسه في أيّام خلافته، بل مناقشته لنفسه في هذا الحال أكبر، و مبادئه لها من المطاعم و ممّا يقرب من التهم و التلذّذ و التمتع أغلب و أشهر يختم على جراب سويقه، و يقطع ما فضل عن [أ] كمامه!! و يطعم أصحابه أطيب طعامه، و يقدمهم في الدنيا على نفسه [و إنما ذكرنا معدودة من قبسات سيرته] لتعلموا أنّ الذي [كان] يسعى له و يطلبه و يجتهد في إحرازه، غير ما طلب الفرقة الباغية من الملك و الدنيا و من أشبههم من الراغبين في البيضاء و الصفراء، و أنّ الذي كان فيه [هو] تجارة للآخرة، و سعى للعاقبة و رغبة عن الآجلة «٤» فنهى النفس عن هواها،

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «و هم سكون ...».

(٢) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «أن قد ضربت ...».

(٣) و للكلام مصادر كثيرة ذكرناها في ذيل المختار: (٢١٤) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٢٢٧ ط ١.

(٤) هذا هو الظاهر و في الأصل: «و الرغبة في الآجلة».

ص: ١٤٨

و جاذب الشيطان قيادها حتى تمكّن من بغاتها و مارقتها و ناكثتها.

فهنيئاً لك أبا الحسن لقد شرف ابتداؤك، و طاب منشؤك، و قوى صبرك، و عدلت سيرتك، و سخت نفسك ببذلها لرّبك فظفرت يدك بريح تجارتك، و قدمت على خالقك، فتلقّيتك بشارته و حيّاك بملائكته يقولون: سلام عليك تحية من الله لك بجوار المصطفى و أخيك المرتضى و حبيبك محمد قد أكرمك الله بجواره و جعلك في دار قراره و سقاك بكأسه.

اللهم فمنّ علينا باقتفاء آثاره و العمل بسيرته و معاداة أعدائه، و احشرنا في زمرة فقد جاهد فيك حقّ الجهاد و امتحن في حبّك بمحن شداد، و قام من نصيحة الخلق في تلك الأحوال بما لم يقم به مخلوق و لم ينله طالب و لم يدركه مجتهد.

ببغضه عرف المنافق «١» و بفعله اشتدّ ظهر المؤمن، و به وضحت أعلام السبل عند إحاطة الفتن، و به بان الحقّ عند ارتداد الخلق، و به قامت السنن عند ما اعتورتها الشبه و اللبس حتى صفى الحق من كدره، و خلاصه بصفوة أعلامه، فانقطع عنه ألسن المعاندين «٢» و اضمحلت [منه] شبه الحائرين.

فله فضيلة البيان، و السبق في مجاهدة الأقران، سبق في فضيلة الجهاد على آيات التنزيل «٣» و كشف الله به تلك الكرب عند ظهور الإسلام حتى نودى من السماء:

لا فتى إلّا علىّ و لا سيف إلّا ذو الفقار.

ثمّ ختم الله به - مع سوابق قديمة [و] فضائل [جمّة] - عند انقضاء عمره من محاربة من بغى الدين عوجا، و طغى على الإسلام فسقا و تمرّدا، فجاهد بيده و لسانه فى إثبات حقّ التأويل كما جاهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فى إثبات حقّ التنزيل و ذلك من قوله و فعله مشهور يوم صفّين [و] ليلة الهرير.

(١) و انظر الحديث: (٦٩٤) و تواليه من ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ١٩٠، ط ١.

(٢) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «لبس المعاندين».

(٣) كذا.

ص: ١٤٩

[خطبته عليه السلام فى لوم أصحابه لمّا انهزموا فى بعض أيام صفّين فى بداية الأمر من عسكر معاوية ثمّ كرّوا عليهم فأزالوهم عن موقفهم و هزموهم].

قالوا «١» لمّا اشتدّ البأس و عظم المصاب، و تضععت الأركان من الفريقين و رأى من أصحابه بعض الانحياز قام فيهم فقال:

إنّى قد رأيت جولتكم و انحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفأة الطغام و أعراب أهل الشام و أنتم لهاميم العرب و السنام الأعظم، و عمّار الليل بتلاوة القرآن، و أهل دعوة الحقّ إذ ضلّ الخاطئون، فلو لا إقبالكم بعد إدباركم، و كرّكم بعد انحيازكم لوجب عليكم ما وجب على المولى يوم الزحف دبره و كنتم من الهالكين، فلقد شفى بعض سقمى و أحاج نفسى إنّى رأيتمكم أخيرا حزموهم كما حازوكم و أزلتموهم عن مصافّهم «٢» كما أزالوكم تحوسونهم بالسيف، تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطر [و] دة الهيم «٣».

[فالآن] فاصبروا، نزلت عليكم السكينة، و ثبتكم الله باليقين.

(١) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «قال».

(٢) هذا هو الظاهر الموافق لما فى المختار: «٢٠٩» من نهج السعادة: ج ٢ ص ٢٠٦ و فى الأصل: «عن مصافكم».

(٣) كذا فى الأصل، و فى نهج السعادة: «تحوزونهم بالسيوف ليركب أولاهم آخرهم كالإبل المطرودة الهيم، فالآن فاصبروا أنزلت عليكم السكينة ...». و فى المختار: (١٠٥) من نهج البلاغة: «و لقد شفى وحاوح صدرى أن رأيتمكم بأخرة تحوزونهم كما حازوكم و تزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم حسّا بالنضال و شجرا بالرماح تركب أولاهم كالإبل الهيم المطرودة ترمى عن حياضها و تزداد عن مواردّها».

[و] ليعلم الفارّ منكم أنّه لا يزيد في عمره و لا يرضى ربّه [و] أنّ في الفرار سخطا عليه، و الذلّ اللازم لأهله، و العار الباقي، و فساد العيش عليه، فيموت المرء محقّا خير من الحياة على الفرار بهذه الخصال «١».

ثمّ قال: و الذي / ٤٦ / بعث محمداً بالحقّ لقد قاتلت معاوية و أباه على تنزيل الكتاب، و أنا اليوم أقاتله و أشياعه على تأويل الكتاب. و إنّ البصيرة في الأمرين جميعاً لواحدة بالعلم بما نحن عليه من الهدى و الحمد لله.

ثم حمل على أعداء الله فما انتنى حتى قتل خمسمائة رجل، كلّما قتل رجلاً كبر تكبيرة حتى يسمعه عامّة أهل عسكره، و ذكروا أنّ ذلك كان من أوّل الصبح إلى أن غاب الشفق، و ما كانت صلاته يومئذ و أصحابه إلّا التكبير لكل ركعة تكبيرة.

و كان إذا قتل رجلاً قال: اللهمّ إنّ قاتل مع عدوك ليطفئ نورك جرأة عليك، و تغيير [١] لما جاء به نبيّك اللهمّ فأصل وجهه النار.

قالوا: ثمّ أقبل رجل من أهل الشام يقال له: الزبرقان بن الحكم «٢» و كان سيّد أهل الشام [فطلب البراز] فخرج إليه الحسن بن عليّ بن أبي طالب، فقال له الزبرقان:

من أنت؟ قال: أنا الحسن بن عليّ. فقال له: انصرف يا بنيّ فو الله لقد نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم مقبلاً من ناحية «قبا» يسير على ناقه له و إنك يومئذ لقدامه، فما كنت لألقى رسول الله صلى الله عليه و سلم بدمك.

فانصرف الزبرقان [كذا].

(١) كذا في الأصل، و في نهج السعادة: «فموت الرجل محقّا قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبس بها و الإقرار عليها».

(٢) الظاهر أنّ هذا هو الصواب، و في الأصل: «الزبرقان بن أظلم...».

فلما بلغ ذلك عليّاً قال لأصحابه: أملكوا عنّي هذا الغلام «١» - يعني ابنه [الحسن] - لا يهدني [فقدته]. فأسرعت إليه خيل من أصحاب عليّ فردّوا الحسن.

و انصرف الزبرقان و هو يقول: إنّني أخاف الله في ابن فاطمة، و إنّ ذا الكلاع حدّثني أنّه سمع جهما يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: إنّ حسناً و حسيناً سيّدا شباب أهل الجنة «٢».

(١) و رواه السيد الرضى رحمه الله بزيادات جيّدة في المختار: (٢٠٧) من نهج البلاغة.

(٢) و رواه ابن عساكر فى الحديث: (١٤١) من ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من تاريخ دمشق ص ٨٢ ط ١، بسنده عن أبى وائل، عن ذى الكلاع، عن جهم ...

و رواه أيضا ابن حجر عن مصادر فى ترجمة جهم الصحابى من كتاب الإصابة: ج ١، ص ٢٥٥.

ص: ١٥٢

[كلام أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه لما مرّ بجمع من أهل الشام و هم يشتمونه]

ثمّ إن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه دفع إلى جماعة من أصحابه يقاتلون قتالا شديدا، و الآخرون [من أهل الشام] يلعنون عليّا و يشتمونه «١» فقال: من هؤلاء؟ فقالوا: [جماعة فيهم] الوليد بن عقبة فقال: انهدوا إليهم و عليكم السكينة و سيماء الصالحين و وقار الإسلام، فو الله لا أقرب بقوم من الجهل بالله [قوم] قائدهم و مؤدّبهم معاوية «٢» و ابن النابغة - يعنى عمرو - و أبو الأعور السلمى و ابن أبى معيط شارب الخمر المجلود حدّا فى الإسلام [و] ها هم يقومون فيقصبونى «٣» و يشتمونى و قبل اليوم ما قابلونى و شتمونى، و أنا أدعوهم إذ ذاك إلى الإسلام و هم يدعونى إلى عبادة الأوثان، الحمد لله [و] قديما عادانى الفاسقون فبعدهم الله «٤».

أ لم تعجبوا أنّ هذا هو الخطب الجليل، أنّ فساقا كانوا عندنا غير مرضيين، و على الإسلام و أهله متخوفين، خدعوا شطر هذه الأمة، و أشربوا قلوبهم حبّ الفتنة، و استمالوا أهواءهم بالافك و البهتان [و] قد نصبوا لنا الحرب، و جدّوا فى إطفاء نور الله.

(١) ما بين المعقوفين كان قد سقط من الأصل و لا بدّ منه.

(٢) و فى المختار: (٢١١) من نهج السعادة: «و الله لأقرب قوم من الجهل بالله عزّ و جلّ قوم قائدهم و مؤدّبهم معاوية...».

(٣) هذا هو الظاهر الموافق للمختار: (٢١١) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٢١٣، و فى الأصل: «فيعضونى...».

(٤) الظاهر أنّ هذا هو الصواب، و هذه الجملة غير موجودة فى كتاب صفين و المختار: (٢١١) من نهج السعادة، و كانت فى الأصل المخطوط مصحّفة: «فعبّكم الله».

ص: ١٥٣

اللهمّ فاردد الحقّ، و افضض جمعهم، و شتّت كلمتهم و أبلسهم بخطاياهم «١» فإنّه لا يذلّ من واليت و لا يعزّ من عاديت.

ثم نهد إليهم فزارهم حتى أزالهم عن مكانهم و كان رضى الله عنه فى تلك الأحوال يباشر الحروب بنفسه، و يقومها برأيه، و يجبر صدعها ببأسه، و يقوّى ضعيفها بكلامه، و يشجّع جبانها بالبشارة و الحجّة، و يدور على الرايات، فيقوم أودها؛ و يقاتل مع المتأخّر عنها حتى تلحق مكانها.

[وكان يتحمل تلك الشدائد لله] ليعلموا أن منافسته في طلب ثواب الله في هذه الحال كمنافسته أيام النبي صلى الله عليه وسلم.

و معاوية - لعنه الله - على سريرته بعيد من عسكره، حوله الحرس و الشرط، متشبها بالجبابرة و أبناء ملوك العجم، يقول ما لا يفعل، و يرغب فيما فيه زهد، و يتخلف عما أمر حرصا على الدنيا، و حدوا منه بما طلب «٢».

(١) كذا في الأصل، و في المختار: (٢١١) من نهج السعادة: «اللهم فإنهم قد ردوا الحق فافضض جمعهم و شتت كلمتهم و أسلهم بخطاياهم...». أى خذهم بخطاياهم و أهلكهم بها.

(٢) كذا في الأصل، فإن صحّت اللفظة فلعلّ معناها: تباعا منه بما طلب من قولهم: «حدا الليل النهار - من باب دعا - حدوا»: تبعه. و يحتمل أيضا انها مصحفة عن: «عدوا» من قولهم: «عدا زيد - كعدا - عدوا»: جرى و ركض و وثب.

ص: ١٥٤

[توجيه النفوس إلى الحق و الحقيقة بذكر لمعات من أنوار ما بثته حوارى أمير المؤمنين عليه السلام و إيراد بعض ما كان عليه مخالفهم من حوارى معاوية].

ثمّ التمسوا علم [سيرة] أهل البصيرة من أصحابه لتعلموا أنّهم قد حذوا أمثاله، وفقّهم بعلمه، و غذّاهم بعدله حتى / ٤٧ / قربت بصيرتهم من بصيرته.

هذا عمّار بن ياسر ينادى بأعلى صوته: الرواح إلى الجنّة، تزيّنوا للحدود العين.

و كبر عند ما شرب [ضياح] اللبن و روى لهم حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال له: آخر زادك ضياح من لبن ثمّ تلقانى.

و قال: لو [ضربونا حتى] بلغوا بنا سعفات هجر لعلنا أنّهم على الباطل و أنا على الحقّ «١».

و كان عمرو بن العاصى قد أخرج ابنه في ذلك اليوم عبد الله و محمد، و حمل أبو اليقظان بمن معه من الرّجالّة و أهل النجدة فنظر عمرو إلى غبار ساطع فقال: على من

(١) ما بين المعقوفين كان قد سقط من الأصل و لا بد منه كما ورد في جميع المصادر.

و الحديث من مقطوعات أقوال عمّار - قدّس الله نفسه - التى روته العام و الخاص، و له مصادر كثيرة.

و قد رواه الطبرى بسندين فى عنوان: «مقتل عمّار بن ياسر» من حوادث سنة (٣٧) من تاريخه:

و رواه أيضا نصر بن مزاحم المنقري في أواسط الجزء الخامس من كتاب صفين ص ٣٢٢ - ٣٤٢.

و انظر ما علّقناه على الحديث: (٢٢٥) في الباب: (٥٤) من فرائد السمطين: ج ١، ص ٢٨٦ ط ١.

ص: ١٥٥

الغبّار؟ فقالوا: على ابنك عبد الله و محمد فصاح [عمرو] بأصحابه أن قدّموا الراية.

فقال له معاوية إنه ليس على ابنك بأس فلا تنقض الصف. فقال له عمرو: إنك لم تلدهما يا معاوية «١».

[قال ذلك و أصرّ على الدفاع عن ابنه] حرصا منه على البقاء، و دلالة على معرفته بخطأ ما هم فيه.

و ذكروا أن سعيد بن قيس قال: الحمد لله على ما كرّهنا و أحببنا و قد اختصنا الله منه بنعمة منه لا نستطيع أداء شكرها: إن أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم المصطفين الأبرار معه في حزبنا.

فو الله الذي هو بعباده «٢» خبير بصير لو كان قائدنا حبشيا مجدعا إلّا أن معنا من البدرين سبعين رجلا لكان ينبغي لنا أن نحسن بصائرنا و نطيب أنفسنا كيف و رئيسنا ابن عمّ نبينا صدّقه أولا «٣» و صلى مع رسول الله صلى الله عليه و سلم صغيرا و جاهد مع نبيكم كبيرا، و معاوية طليق بن طليق من وثاق الإِسار [إلّا أنّه أغوى جفاة فأوردتهم النار و أورثهم العار، و الله محلّ بهم الذلّ و الصغار ألا [و] إنكم ستلقون عدوكم غدا] [ف] عليكم بتقوى الله و الجدّ و الحزم و الصبر فإنّ الله مع الصابرين.

(١) و ذكره أيضا في كتاب صفين ص ٣٨٨.

(٢) هذا هو الصواب، و في الأصل: «بالعبادة». و في كتاب صفين ص ٢٣٦: «فو الله الذي هو بالعباد بصير...» و للخطبة هناك صدر غير مذكور هاهنا، كما أن لها أيضا ذيل، و ما وضعناه في المتن بين المعقوفين أيضا مأخوذ منه

(٣) و في كتاب صفين: «لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا و تطيب أنفسنا فكيف و إنما رئيسنا ابن عمّ نبينا بدرى صدق صلى صغيرا و جاهد مع نبيكم كبيرا.

ثمّ إن في خطبة سعيد هذا شاهد على ردّ بعض النواصب حيث أنكر وجود بدرى في جند أمير المؤمنين عليه السلام غير عمّار بن ياسر رضوان الله عليه، و قد ذكرنا للموضوع شواهد آخر في تعليق المختار. (١٧٥) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٩١.

ص: ١٥٦

قالوا «١»: و خرج رجل من خثعم من أهل الشام [يقال له: شمر بن عبد الله] و خرج [إليه] رجل من خثعم من أصحاب عليّ [يقال له أبو كعب و هو رأس خثعم العراق] فقتله الشامي و انصرف و هو يبكي و يقول: رحمك الله لقد قتلتك في

طاعة قوم أنت أمسّ بي رحما منهم و أحبّ إلىّ نفسا، و لكن و الله ما أدري ما أقول إلّا أن الشيطان قد قتلنا و لا أرى قريشا إلّا قد لعبوا بنا «٢».

[و إنما ذكرنا هذا و أمثاله] لتعلموا أنّ من خالفه إنما كان «٣» يقاتله على الحميّة و العصبية و الشبهة لا على ثقة و معرفة.

و ذكروا أن كعبا المرادي «٤» كان رجلا من أصحاب عليّ بن أبي طالب، فلما صرع يوم صفين مرّ به الأسود بن قيس المرادي، فقال له كعب: يا ابن قيس. قال لبّيك.

فعرفه و هو بآخر رمق فقال له ابن قيس: عزّ عليّ بمصرعك، أما و الله لو شهدتك لآسيبك و لدافعت عنك، و لو علمت الذي أسعرك و أبغضك «٥» لأحببت أن لا تنزّيل حتى أقتله أو ألحق بك. ثم نزل إليه فقال: أما و الله إن كان جارك لآمنا لبوائتكم و إن كنت لمن الذاكرين الله كثيرا، فأوصني يرحمك الله.

فقال أوصيك بتقوى الله، و أن تناصح أمير المؤمنين، و تقاتل معه المحلّين حتّى

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «قال ...».

(٢) و رواه أيضا في أواسط الجزء الرابع من كتاب صفين ص ٢٥٧ و فيه: «و لكن و الله ما أدري ما أقول و لا أرى الشيطان إلّا قد فتننا و لا أرى قريشا إلّا قد لعبت بنا».

(٣) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «إنما يكون يقاتله». و ما بين المعقوفين زيادة منّا.

(٤) كذا في الأصل، و في تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٢٥: «عبد الله بن كعب المرادي ...». و مثله في أواسط الجزء: (٧) من كتاب صفين ص ٤٥٦.

(٥) كذا في الأصل، و في كتاب صفين و حوادث سنة (٣٧) من تاريخ الطبري: «و لو عرفت الذي أسعرك لأحببت ...».

ص: ١٥٧

يظفر أو تقتل!! و أبلغه عنّي السلام، و قل له: قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك، فإنّه من أصبح من وراء المعركة كان الظافر.

ثمّ لم يلبث أن مات، و أقبل ابن قيس إلى عليّ فأخبره، فقال [عليّ] رحمه الله قاتل معنا عدوّنا في الحياة، و نصح لنا عند الوفاة.

ص: ١٥٨

[شأنه عليه السلام في حروبه مع أعدائه، ثمّ وصيّته عليه السلام و تحريضه لأصحابه عند دنوّهم من عدوّهم للمناوشة و المقاتلة].

و قالوا: إِنَّه كان رضى الله عنه لا يبدأ عدوه بقتال حتى يبدؤه، و لا يحاربهم حتى يناديهم، فلما ناباهم يوم صفين و أنظرهم فلم يدعوا و [لم] يرجعوا أمر مناديه فنادى فى أهل الشام.

ألا إني قد استدمتكم و استأنيتكم لترجعوا إلى الحقّ و تنتنوا إليه، و احتججت [عليكم] بكتاب الله و دعوتكم إليه فلم تنأهوا عن طغيانكم، و لم تجيبوا إلى حقّ. ألا و إني قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحبّ الخائنين «١».

ثمّ تقدّم إلى مقدّمته أن قفوا و لا تقدموا عليهم إقدام من يريد أن ينشب حربا، و لا تأخروا عنهم تأخر من يهاب البأس، و لا يحملنكم سبابهم [إياكم] على قتالهم قبل أن تدعوهم و تعذروا إليهم «٢».

[و إنما كان يأتى بهذا و أمثاله] ليعلموا أن شأنه / ٤٨ / و بغيته و مراده اتباع حكم الله و إصابة الحقّ فى قتالهم.

ثمّ أقبل على أصحابه لما همّوا بلقاء عدوهم [و] حرّضهم [و هو] يقول لهم:

عباد الله اتقوا الله و غضوا الأبصار، و اخفضوا الأصوات، و أقلّوا الكلام، و وطنوا أنفسكم على المنازلة و المحاولة و المحافظة و المعانقة و المكادمة، و اثبتوا و اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم، و اصبروا إن الله مع الصابرين.

اللهمّ ألهمهم الصبر، و أنزل عليهم النصر، و أعظم لهم الأجر «٣».

(١) و رواه أيضا نصر بن مزاحم فى أواخر الجزء الثالث من كتاب صفين ص ٢٠٣.

كما رواه أيضا الطبرى فى تاريخه: ج ٦ ص ٥.

(٢) و قريبا منه رواه نصر بن مزاحم فى أواسط الجزء الثالث من كتاب صفين ص ١٥٣.

(٣) و هذا الكلام رويناه فى المختار: (١٩٧) من نهج السعادة: ج ٢ ص ١٥٩ ط ١، عن مصادر.

ص: ١٥٩

[كلام الشهيد عقبة المرادى يوم صفين فى هوان الدنيا و غلاء الدار الآخرة، و حثّ الناس على قتال معاوية و جنده. ثمّ خروجه مع أخوته إلى البراز و استشهادهم رضى الله عنهم].

و ذكروا أن عقبة بن جرير المرادى «١» - و هو من أصحاب على - قال يوم صفين:

إنّ مرعى الدنيا أصبح هشيما و أصبح شجرها حصيدا «٢» و جديدها سملا، و حلوها مرّ المذاق.

ألا و إني أنبئكم نبأ امرئ صادق، بأنّى قد سئمت الدنيا و عزفت [نفسى] عنها، و قد كنت أتمنى الشهادة و أتعرض لها فى كل جيش أو غارة، فأبى الله إلّا أن يبلغ «٣» هذا اليوم، ألا و إني متعرض لها [من] ساعتى هذه، و قد طمعت فيها.

فما تنتظرون عباد الله في جهاد أعداء الله؟ أ خوفا من اليوم القادم عليكم «٢» الذهاب

(١) كذا في الأصل، و القصة ذكرها أيضا الطبري في حوادث سنة: (٣٧) من تاريخه: ج ٦ ص ١٥، قال:

قال أبو مخنف: و حدثني الحارث بن حصيرة عن أشياخ النمر: أن عقبة بن حديد النمرى قال يوم صفين ...

(٢) و في النسخة الموجودة عندى من تاريخ الطبرى: «و أصبح شجرها خضيدا ...».

(٣) كذا في الأصل، و في تاريخ الطبرى: «و قد كنت أتمنى الشهادة و أتعرض لها في كل جيش و غارة فأبى الله عزّ و جل إلا أن يبلغنى هذا اليوم ...».

(٤) و في تاريخ الطبرى: «فما تنتظرون عباد الله بجهاد من عادى الله؟ [أ] خوفا من الموت القادم عليكم الذهاب بأنفسكم لا محالة ...». ثم إن جميع ما وضعناه بين المعقوفات مأخوذ من تاريخ الطبرى.

ص: ١٦٠

بأنفسكم لا محالة؟ أو [من] ضربة كفّ بالسيف تستبدلون الدنيا بالآخرة، و مرافقة النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين في دار القرار؟ ما هذا بالرأى [السديد].

ثم مضى و قال: يا إخوانى إننى قد بعث هذه الدار الدنيا بالدار الآخرة التى أمامها و هذا وجهى إليها فلا تبرح وجوهكم و لا يقطع الله رجاءكم.

فتبعه إخوته و قالوا: لا نطلب رزقا بعدك قبّح الله العيش بعدك، اللهم إنا نحتسب عندك أنفسنا. فاستقدموا فقاتلوا، فقتلوا رحمهم الله.

و ذكروا أن رجلين تخاصما عند معاوية - لعنه الله - فى قتل عمّار فقال أحد هما:

أنا قتلته. و قال الآخر: أنا قتلته. فقال عبد الله بن عمرو بن العاصى: إنما تختصمان أيكما يدخل النار!! سمعت النبىّ صلى الله عليه و سلم يقول: قاتل عمّار فى النار «١».

و ذكروا أن غلاما من أهل الشام قاتل يوم صفين قتالا شديدا «٢» فقال له بعض أصحاب على: يا فتى هل أهمك أمر هذا الدين قطّ؟ و أمر هذه الأمة؟ فقال: لا و الله لا أقول باطلا ما أهمنى. قال: فعلام تقاتل؟ قال: إن أصحابى يخبرونى أنّ صاحبكم لا يصلّى!! قال له: و كيف يقولون ذلك و هو أوّل من صلّى و أجاب النبىّ صلى الله عليه و سلم إلى الهدى و أصحابه الفقهاء و القراء. فرجع الفتى إلى أصحابه و خرق الصفّ، فقال له أصحابه: خدعك العراقى؟ قال: لا و الله و لكن نصح لى.

(١) و القصة مروية في مصادر كثيرة بأسانيد مختلفة، و ذكرها أيضا الطبري في عنوان: «مقتل عمّار» من حوادث سنة (٣٧) من تاريخه: ج ٦ ص ٢٣.

و القصة ذكرها أيضا نصر بن مزاحم تفصيلا في أول الجزء السادس من كتاب صفين ص ٣٥٤.

(٢) و رواه أيضا الطبري في عنوان: «خبر هاشم بن عتبة ... و ليلة الهرير» من تاريخه: ج ٦ ص ٢٣ قال:

فإنهم لذلك إذ خرج عليهم شاب فتى و هو يقول:

ص: ١٦١

فقد تعلمون عند التدبر في أمور من خالفه «١» أنّها موضوعة على الكذب و الغدر و طلب الدنيا و تعمّد الخطاء.

و الدائن اليوم بدين عثمان

أنا ابن أرباب الملوك غسان

ان عليّا قتل ابن عفان

إنّي أتاني خبر فأشجان

ثمّ [جعل] يشدّ فلا يثنى حتى يضرب بسيفه، ثمّ يشتم و يلعن و يكثر الكلام! فقال له هاشم بن عتبة: يا عبد الله إنّ هذا الكلام بعده الخصام، و إنّ هذا القتال بعده الحساب، فاتّق الله فإنّك راجع إلى الله فسائلك عن هذا الموقف و ما أردت به.

قال [الشاب]: فإنّي أقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي كما ذكر لي و أنتم لا تصلّون أيضا!! و أقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا و أنتم أردتموه على قتله!!!.

فقال له هاشم: و ما أنت و ابن عفان؟ إنما قتله أصحاب محمد و أبناء أصحابه و قراء الناس حين أحدث الأحداث، و خالف حكم الكتاب، و هم أهل الدين و أولى بالنظر في أمور الناس منك و من أصحابك، و ما أظنّ أمر هذه الأئمة، و أمر هذا الدين أهمك طرفة عين؟!

فقال له أجل و الله لا أكذب فإن الكذب يضرّ و لا ينفع.

قال: فإنّ أهل هذا الأمر أعلم به فخلّه و أهل العلم به. قال [الشاب]: ما أظنّك و الله إلّا نصحت لي.

[ثمّ] قال [هاشم]: و أمّا قولك: إنّ صاحبنا لا يصلّي!! فهو أول من صلّى، و أفقه خلق الله في دين الله، و أولى [الناس] بالرسول. و أمّا من ترى معي فكُلّهم قارئ لكتاب الله، لا ينام الليل تهجّدا، فلا يغوينك عن دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون.

فقال الفتى: يا عبد الله إننى أظنك امرأ صالحا فتخبرنى هل تجد لى من توبة؟ فقال [هاشم]: نعم يا عبد الله تب إلى الله يتب عليك، فإنه يقبل التوبة عن عباده، و يعفو عن السيئات و يحب المتطهرين.

فجسر و الله الفتى الناس راجعا، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقى خدعك العراقى. قال:

لا. و لكن نصح لى.

أقول: و القصة ذكرها أيضا بالتفصيل نصر بن مزاحم فى أول الجزء السادس من كتاب صفين ص ٣٥٤ طبع مصر.

(١) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «عند التدبير لأمر من خالفه».

ص: ١٦٢

[خدعة عمرو بن العاص و معاوية صبيحة ليلة الهرير برفع المصاحف على الرماح و صياح الشاميين بأمرهما فى أهل العراق و قولهم لهم: بيننا و بينكم كتاب الله: و انخداع أهل العراق بهذا النداء، ثم خطبة أمير المؤمنين فيهم و تحذيره إيّاهم عن الركون إلى هذا المكر، ثم ما جرى بينه و بين النوكى من القراء و ممن كان فى قلبه مرض من قواد العراق].

و لما عضّت الحرب القوم و قرب أصحاب علىّ من الفتح قال عمرو بن العاص لمعاوية:

هاهنا حيلة توجب الاختلاف بينهم و الفرقة، و ذاك أنّ عليّا و أصحابه أصحاب ورع و دين فإذا أصبحنا رفعنا المصاحف و قلنا: بيننا و بينكم كتاب الله.

فلما أصبحوا رفعوا المصاحف و قالوا: بيننا و بينكم كتاب الله، الله الله فى البقية.

و استقبلوا علىّ بن أبى طالب بالمصاحف.

فقال علىّ: و الله ما الكتاب يريدون؛ و إنّ هذا منهم لمكيدة، فاتّقوا الله عباد الله و امضوا على حقكم و صدقكم و قتال عدوكم، فإن معاوية و عمرا و ابن أبى معيط، و ابن مسلمة و ابن أبى سرح ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، و أنا أعرف بهم منكم، قد صحبناهم أطفالا و رجالا، فكانوا شرّ أطفال و شرّ رجال. إنهم و الله ما رفعوها ليعملوا بها و ما رفعوها إلّا خديعة و و هنا و مكيدة لكم «١».

فتفرّق عند ذلك أصحابه و اختلف قولهم، و رأى أكثرهم طلب الصلح و المودعة.

فإن قال قائل: فقد نرى ما قلتم و ما يؤثر عن علىّ بن أبى طالب يوجب عليه الخطأ

(١) و قريبا منه رويناه فى المختار: (٢٢٠ - ٢٢١) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٢٤٦.

ص: ١٦٣

و أنه معتمد لترك الصواب لأنه أشار بقتال القوم عند رفع المصاحف و أخبر أنها منهم خديعة ثم رجع / ٤٩ / عن هذا من رأيه إلى محاكمتهم و موادعتهم و هذا نفس ما نغمته الخوارج و ادّعت خطأً على فيه.

قلنا لهم: لسنا نبعد قلة معرفتكم بما ذكرنا [هـ] و بعد وهمكم عنه إذ ذهبتم عما هو أوضح منه إن علي بن أبي طالب رضى الله عنه إنما أشار على القوم بقتالهم و أن لا يكفوا من حربهم لأن القوم الذين رفعوا المصاحف قد علم أنهم لم يرفعوها لشبهة دخلت [عليهم] و أن رفعها عند قرب الفتح و الظفر بهم خديعة، و علم أن الذين رفعوها قد قامت عليهم الحجة و عرفوا حقه فتركوه بالمعاندة، و لو مضى أصحابه على بصيرتهم و يقينهم [و] لم تدخل عليهم الشبهة، و [لم] تختلف الكلمة لكان سيمضى على أمره فى محاربتهم لأنه قد أعذر إليهم و أقام حجته عليهم، و كان رأيه رضى الله عنه صواباً فى تحريك أصحابه فى محاربتهم و [قد] أعلمهم أن الذى كان منهم خديعة ليمضوا على بصائرهم. فلما دخلت أصحابه الشبهة، و جاء أمر احتاج إلى إزالته بحجة أمسك عن القوم حتى ينكشف لأهل الضعف خطؤهم فيزول عنهم شكهم إذا علموا أن القوم لم يطلبوا الحق برفع المصاحف، فيرجع بعد إلى مناجزتهم و قتالهم.

فقالوا له أرسل إلى الأشر فرده. فأرسل إلى الأشر أن أقبل إلى. فأرسل إليه الأشر:

ليس هذه ساعة ينبغي أن تزيلنى فيها عن موضعى إني قد رجوت أن يفتح الله [على] فلا تعجلن.

فارتفعت الريح، و علت الأصوات من ناحية الأشر، فقال القوم: و الله ما نراك إلّا قد أمرته يقاتل!!! فقال على رضى الله عنه: من أين ينبغي لكم أن تروا ذلك؟

هل رأيتمونى ساررت الرسول؟ أ لم أكلّمه على رءوسكم علانية و أنتم تسمعون؟! «١».

(١) راجع شرح القصّة عن لسان إبراهيم بن الأشر رضوان الله عليهما الحاضر فى المعركة و المعايين لحدوث الكارثة فى آخر الجزء السابع من كتاب صفين ص ٤٩٠، و حوادث العام (٣٧) الهجرى من تاريخ الطبرى: ج ٦ ص ٢٧.

ص: ١٦٤

فجاء من أمرهم أمر عجيب و خرجوا عند الشك إلى تهمته و الادّعاء عليه!! فأرسل على إلى الأشر أن أقبل الساعة فقد وقعت الفتنة.

فإن قال قائل: فهلاً «١» ترك الأشر يمضى على بصيرته؟

قلنا: لو فعل ذلك ازدادوا شكاً و حيرة و لدعاهم ذلك إلى قتله و قد تهدّوه بذلك.

فرجع الأشر [عن ساحة القتال و خاطب رسول أمير المؤمنين] فقال: أ لرفع هذه المصاحف دعوتمونى؟ قالوا: نعم. قال: أما و الله لقد ظننت إذ رفعت أنّها ستلقى اختلافاً و فرقة!! أمّا إنها من مشورة ابن النابغة.

ثم قال [لرسول أمير المؤمنين]: أ لا ترى الفتح، أ ما ترى ما يلقون؟ أ يسعنى أن أنصرف عن هذا و أدعه، و قد صنع الله لنا و نصرنا «٢».

فقال [له] بعض القوم: أ تحبّ أنك ظفرت هاهنا و أمير المؤمنين بمكانه يتفرّق عنه و يسلم إلى عدوّه أو يقتل؟ قال: سبحان الله لا و الله. قال: فإنهم قد قالوا: لترسلنّ إلى الأشتر فليأتينك أو لنقتلك كما قتلنا ابن عفّان!!! فأقبل عليهم الأشتر فقال: يا أهل العراق يا أهل الذلّ و الوهن، أ حين علوتم القوم و ظلّوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعوكم إلى ما فيها، و قد و الله تركوا ما أمر [ه] الله [به] فيها، و تركوا سنّة من أنزل عليه الكتاب، مهلا [لا] تجيئوهم و أمهلوني فإنّي قد أحسست بالفتح. فأبوا عليه! قال: فأمهلوني عدوة الفرس فإنّي قد طمعت في النصر.

فقالوا: إذا ندخل معك في خطيئتك. قال: فحدّثوني عنكم - و قد قتل أمثالكم و بقي أراذلكم - متى كنتم محقّين؟ أ حين كنتم تقاتلون، و خياركم مقتولون؟ فأنتم الآن حين أمسكتكم عن القتال مبطلون؟ أم أنتم الآن محقّون و قتلكم الذين كنتم لا تنكرون

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «فألا ترك الأشتر يمضى على بصيرته».

(٢) ما بين المعقوفات زيادة منّا، زدناها ليتوافق ما هاهنا لما في كتاب صفّين و تاريخ الطبرى.

ص: ١٦٥

فضلهم، و كانوا خيرا منكم في النار «١».

فقالوا: دعنا منك يا أشتر قاتلناهم في الله، و ندع قتالهم لله، إنّنا لسنا نطيعك و لا صاحبك ما حيينا «٢» قال: خدعتم و الله فانخدعتم، و دعيتم إلى وضع الحرب فأجبتكم «٣» يا أصحاب / ٥٠ الجباه السود كنّا نظنّ صلاتكم هذه [زهادة] في الدنيا و شوقا إلى الله، فلا أرى فراركم من الموت [إلا] إلى الدنيا!!! ألا فقبحا [لكم يا أشباه النيب الجلالة] «٤» ما أنتم برائين بعدها عزّا أبدا، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون.

فضربوا وجه دابّته بسياطهم و ضرب وجوه دوابّهم بسوطه!! و صاح بهم على [أن] كفّوا. فكفّوا.

و كان ما كان من علىّ في إجابة القوم لشكّ أصحابه و اختلافهم، و ما دخلهم من الجهل و حلول الشبهة، ليس [من أجل] أنّه لم يكن في أمر معاوية و عمرو على بصيرة أو أنّه ذهب عنه أن ذلك منهم مكيدة و خديعة.

فلما رأى الشكّ قد وقع وجبت المناظرة، و لم يجد بداً من المودعة، و لو لم يفعل ذلك لازداد في غيّه الجاهل، و قويت دعوى المخالف، و كان في ذلك تهمة، و أنّه فرار من حكم الله.

(١) و في كتاب صفّين ص ٤٩١: «فحدّثوني عنكم - و قد قتل أمثالكم و بقي أراذلكم - متى كنتم محقّين؟

أ حين كنتم تقتلون أهل الشام؟ فأنتم الآن حين أمسكنم عن القتال مبطلون؟ أم [أنتم] الآن [فى إمساكم عن القتال] محقون؟ فقتلكم إذن - الذين لا تنكرون فضلهم و كانوا خيرا منكم - فى النار؟».

(٢) و فى كتاب صفين: «قالوا: دعنا منك يا أشتر قاتلناهم فى الله و ندع قتالهم فى الله، إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا».

(٣) و هاهنا أى فى آخر صفحة ٩. الأصل من المخطوط. هامش من غير علامة لتعيين محله فى المتن، و هذا نصه:

«لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم».

(٤) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «ألا قيحا».

و ما وضعناه بين المعقوفات مأخوذ من كتاب صفين و فيه: «كنا نظنّ صلاتكم زهادة فى الدنيا و شوق إلى الله ...».

ص: ١٦٦

و ليس أحد يدعى أن ما فعل القوم ذهب عنه و أن القوم استغفلوه بالمكيدة، و لقد قام رضى الله عنه فقال:

و الله ما معاوية بأدهى منى و لكنه يفجر و يغدر، و لو لا كراهة الغدر «١» كنت من أدهى الناس، و لكن كل غدرة فجرة، و كل فجرة كفر، و لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة.

(١) كذا فى الأصل، و فى المختار: (١٩٧) من نهج لبلاغة و المختار (٢٤٥) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٣١٧ ط ١:

«و لو لا كراهية الغدر ...».

ص: ١٦٧

[كلمات بعض رؤساء أهل العراق و قوّاد جند أمير المؤمنين عليه السلام لما رفع الفئة الباغية القرآن على الرماح، و ادّعوا مكرًا و حيلة انقيادهم لحكم القرآن، فخدع العراقيون فاختلفوا].

ثم قام حصين بن المنذر فقال: أيّها الناس إنما بنى هذا الدين على التسليم، فلا ترفعوه بالقياس، و لا تهدموه بالشبهة «١» فإنّا و الله لو أنّا لا نقبل من الأمور إلّا ما نعرف لأصبح الحقّ فى أيدينا قليلا، و لو ركبنا الهوى لأصبح الباطل فى أيدينا كثيرا «٢» و إنّ لنا لراعيًا قد أحمدا و رده و صدره، و هو المصدّق على ما قال، و المأمون على ما فعل، فإن قال: لا. قلنا: لا. و إن قال: نعم. قلنا: نعم «٣».

و تكلم ابن عباس فقال: يا قوم إنّ من مكر معاوية فلا تختلفوا «٤».

ثمّ قام سفيان بن ثور «٥» فقال: أيّها الناس إنّنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله فردّوه [علينا] فقاتلناهم، و إنهم دعونا إلى كتاب الله فإن ردّدناه عليهم حلّ لهم ممّا حلّ

(١) كذا فى الأصل - غير أنّه كان فيه: «و لا ترفعوه»-، و فى كتاب صفين ص ٤٨٥: «فلا توقّروه بالقياس، و لا تهدموه بالشفقة...».

(٢) كذا فى الأصل، و فى أواخر الجزء: (٧) من كتاب صفين ص ٤٨٥: «و لو تركنا [و] ما نهوى لكان الباطل فى أيدينا كثيرا...».

(٣) قال فى كتاب صفين ص ٤٨٨: فلما ظهر قول حضين رمته بكر بن وائل بالعداوة!!!

(٤) لم أجد كلام ابن عباس هذا فى كتاب صفين، و لكن الذى لا يعتريه شك أن رأيه كان تبعا لأمير المؤمنين.

(٥) كذا فى الأصل، و فى كتاب صفين ص ٤٨٥: ثمّ قام شقيق بن ثور البكرى فقال: أيّها الناس ..

ص:١٦٨

لنا منهم [و] لسنا نخاف أن يحيف الله علينا و رسوله و قد أكلتنا الحرب و لا نرى البقاء إلّا فى المودة.

و تكلم عامة الناس مثل كلامه «١».

فلما رأى على بن أبى طالب رضى الله عنه أنّ الاختلاف قد شمل عسكره و شكّ فى حربهم عامّة أصحابه أجاب القوم إلى ما سألو [ه].

فإن قال قائل: أ رأيت لو أنّ أصحابه لم يختلفوا عليه كان يحبذ قتالهم «٢» و قد دعوه إلى حكم الكتاب، و أمسكوا عن حربهم؟ و إنما حلّ قتالهم فى البدء لأنهم أبوا حكم الكتاب.

قلنا له: إنما دعاهم أولا ليدينوا بحكم الكتاب و ليرجعوا إلى ما أمر [هم] الله [به] و الدخول فيما دخل فيه المهاجرون و الأنصار و على الشاكّ منهم أن يجىء مجىء مستفهم متعلّم لا مجىء مستطيل محارب.

على أنّه [عليه السلام] لم يستحلّ قتالهم أولا حتى أقام عليهم الحجّة و دلّهم على بغيهم و باطلهم، فلا يرفع عنهم السيف بعد إقامة الحجّة إلّا بالإئابة و التوبة.

و ليس قولهم فى هذا الحال: «قد رضينا بحكم الكتاب» إلّا خديعة ظاهرة و مكيدة مكشوفة، فلا معنى لقولهم هذا مع الإقامة على التعبئة و تهيئة الحرب، فإن كانوا طلبوا الحجّة و كشف البينة، فقد قامت فى البدء و وضحت.

فإن قالوا: قد رضينا بحكم الكتاب على الندم و الرجوع و الإئابة فعلامه دعواهم

(١) قال نصر فى كتاب صفين ص ٤٨٤: و ذكروا أنّ الناس ماجوا و قالوا: أكلتنا الحرب و قتلت الرجال. و قال قوم: نقاتل

القوم على ما قاتلناهم عليه أمس. و لم يقل هذا إلّا قليل من الناس، ثمّ رجعوا عن قولهم مع الجماعة، و ثارت الجماعة بالموادعة ..

(٢) لعلّ هذا هو الصواب، أو الصواب: «كان يحلّ قتالهم» أو «كان يجيز قتالهم»؟ و فى الأصل: «كان حبر قتالهم».

ص: ١٦٩

على سبيل الطلب و سببه فلم يعرف لقولهم علّة إلّا الخديعة، و لو وجب رفع السيف عنهم متى دعوا إلى كتاب الله لم يقيم بهذا دين، و لم يغلب فاسق لأنّه متى دعا إلى الكتاب عند شدّة الحرب و مخافة الظفر به وجبت إجابته، فإذا حوكم فأبى بعد الحكومة، ثم دعا إلى المحاربة فآلت به الحرب أيضا إلى مثل حاله الأولى، فدعا إلى حكم الكتاب ثانية وجب أيضا إجابته و الكفّ عنه و إن كانت إجابته غير جائزة بعد الحكومة لقيام الحجّة و البيان و كان / ٥١ / قوله: «قد رضيت بحكم الكتاب» قولاً مردوداً دون الإنابة و الرجوع فكذلك حكمه فى حالة الأولى، أنّ إجابته لا يجوز لأن الحجّة قد قامت و البيان قد وجب، و هم لم يستحلّوا فى البدء قتال معاوية حتى أقام عليه الحجّة و عرفوا معاندته و تعمّده للخطأ و هم القاتلون فى البدء: إنّما جعل [معاوية] الطلب بدم عثمان علّة و سبباً للفتنة و التمويه على الضعفة.

فإن قالوا: فنرى إجابة علىّ له خطأ عندكم.

قلنا: ذلك رأيتموه بعين الظنّ و الشكّ دون اليقين و العلم لأنّ علىّ بن أبى طالب لم يجب القوم لطلبهم «١» و لا لأنهم دعوا إلى حكم الكتاب؛ و انما أجابهم لعلّة انتشار أصحابه عليه و اختلاف كلمتهم.

فإن قالوا: أو ليس الذى كان من أصحابه خطأ عنده مع من دفع الحرب و طلب الموادعة؟.

قلنا: نعم. فإن قالوا: فكأنكم قلتم: أجابهم إلى خطأ من أجل خطأ آخر حدث فى عسكره.

قلنا لهم: إنّ أصحابه و إن كانوا قد أخطئوا، و [لكن] لم يكن خطأهم بالتعمّد منهم، و إنّما كان خطأهم لشبهة دخلت، و شكّ وجب، و قد كانوا أصحاب دين و ورع فلم يكونوا عندهم فى شكّهم أقلّ من أهل الشام فى بغيتهم، و لم يكونوا فى خطائهم على

(١) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «لغلبهم».

ص: ١٧٠

غير التعمّد أكثر من خطأ معاوية على التعمّد، و كان ترك القتال و استنقاذ أصحابه من هذه الفتنة أمثلاً، و مناظرتهم لإحيائهم و كشف الحقّ لهم أصوب عنده، فوداع القوم و اشتغل بمناظرة أصحابه، و إلّا فقد علم أنّ هذه من القوم خديعة، و إنّما قاتلهم «١» ليدينوا بحكم الكتاب، لا ليدعوا إليه، و الدينونة بحكم الله هو أن يفيثوا إلى أمر الله و قال لهم رضى الله عنه: و إنّما قاتلناهم لأنّهم عصوا الله فيما أمر [ه] و نسوا عهده و نبذوه وراء ظهورهم، فامضوا على حقّكم و صدقكم، فإنّهم غير الحقّ يريدون «٢».

فلما أبوا عليه و تمكن منهم الشك، و اعتقدوه ديناً يدعون إليه، و ان علياً [لو] قاتلهم فى هذه الحال كان حكمه حكمهم فى الظلم و البغى [لما] رأى أن الاشتغال بمناظرة أصحابه أوجب.

أ لا ترون أنه لما ناظر أيضا الخوارج فأقام عليهم الحجّة فلم يقبلوا [ما] استخار الله فى قتالهم و محاربتهم، و لم يلتفت إلى قولهم: «لا حكم إلّا لله». و قال: كلمة حقّ يراد بها باطل.

و شكّ الخوارج أكثر فى الشبهة، و معاوية و عمرو عنده على يقين و معرفة لما هم عليه من الباطل و البغى، لأنّ معاوية إنّما اعتلّ بطلب دم عثمان و طلبه ليس هو إلى معاوية، و إنّما يطلب بدمه أولياؤه و هم ولده، و ليس لهم أن يطلبوا حقهم بوضع الحرب و نصيبها، لأنّ طلب الحقوق على غير هذا السبيل يكون، و إنّما يكون بالتقدم إلى الأمام بالإجلال و التعظيم.

فإن قالوا: إنّ حقهم الذى ادّعوه إنّما ادّعوه على الإمام.

قلنا: إذا كانت دعواهم على غير الإمام لا تقبل فهى على الإمام الذى قد وجبت عدالته و طهارته و نزاهته أولى أن تردّ [وا] عليهم أن يأتوا الإمام حتى ينصفهم من نفسه بمحضر

(١) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «و إلّا فقد علمتم أنّ هذه من القوم خديعة، و إنّما قاتلناهم...».

(٢) كذا فى الأصل، و قريبا منه رويناه فى المختار: (٢٢٢) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٢٤٩ ط ١.

و انظر أيضا المختار (١٧١) من نهج البلاغة.

ص: ١٧١

جماعة من المسلمين.

على أنّهم جميعا [كانوا] يعلمون أن معاوية كان بالشام و علىّ بالمدينة أيام قتل عثمان بن عفان، و علىّ أنّهم جميعا [كانوا] يعلمون أنّ عليّاً لم يدخل دار عثمان بن عفان، و علىّ أنّهم جميعا يعلمون أنّ معاوية ادّعى [على] علىّ رضى الله عنه التهمة، ثمّ ادّعى القتل، ثمّ ادّعى أن إمامته لا تجب.

ينتقل عن دعوى إلى دعوى ينقضها على ما يشاهد من احتمال القوم له، و قبولهم لدعوته.

و علىّ ينكر قتل عثمان و لا ينسبه إلى نفسه، فلما أنكر [كونه قاتل عثمان] قالوا له: آويت قتلته؟ فادفعهم إلينا! فقال:

قد ضربت الأمر، و فكّرت فى ذلك فلم يسعنى دفعهم إليكم «١».

و ذلك من قوله رضى الله عنه حقّ لا يدفعه أحد؛ علم الحقّ و عقل أحكام الربّ لأنّ أولياء المقتول / ٥٢ / لم يأتوه يطلبون ذلك كما يطلب الحقوق، و عليهم أن يقيموا البيّنة على رجل بعينه أنّه هو المتولىّ لقتله، أو على جماعة، و البيّنة لا

تكون من أهل الدعوى و الخصومة لأن كل من أظهر دعواه، و كشف خصومته خرج من حكم الشهود و دخل فى معنى الخصوم.

فإن قالوا: إن البيّنة إنما تقام إذا أنكر القاتل، فأما و قتلته مقرون [فلا] هذا عمّار ابن ياسر يقرّ بذلك و يقول: قتلناه كافرا. قلنا: متى صحّ قولكم [هذا] على عمّار و جب أن عثمان لم يقتل مظلوما لأن شهادة النبىّ لعمّار: «إنه من أهل الجنة، أثبت و أشهر و أظهر من ادّعائكم على عمّار

(١) كذا فى الأصل، و الظاهر أنه ذكر كلام الإمام بالمعنى، و فى المختار: (٩) من باب الكتب من نهج البلاغة:

«و أمّا ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك فإننى نظرت فى هذا الأمر فلم أره يسعنى دفعهم إليك و لا إلى غيرك ...».

ص: ١٧٢

هذا الإقرار، فمتى أوجبتم ذلك من إقرار عمّار بطلت دعواكم و علّتكم.

و قد قلنا فى تصويب علىّ رضى الله عنه و عدله - فى قوله و فعله و خطأ المدّعين عليه، و الشاكّين فى صوابه، و الطاعين عليه فى أحكامه - ما فيه أشفى الشفاء و أعدل المقال.

فإن قال قائل: قد فهمنا ما قلتم فى رفعه السيف و إجابة القوم إلى الحكومة، فما معنى تحكيمه الرجال فى دين الله؟ و الحكومة فى الدين ساقطة! لأنّه متى حكم الحاكم بغير الحقّ لم يقبل منه، و متى حكم بالحقّ و خالفه صاحبه عادت البيّنة خدعة و كانت القصة واحدة.

قلنا: هو رضى الله عنه كان أعرف بدين الله من أن يحكم الرجال، لأنّ الرجال قد يمكن منهم الانتقال و التقيّة و التغيير، فلم يحكم الرجال و إنّما حكم الكتاب، إذ كان الكتاب لا يتبدّل حكمه و لا يشهد بغير الحقّ لأنّ حكمه واحد.

فإن قالوا: فلم حكمّ أبا موسى و قد عرف رأيه و قد سقطت عنده عدالته بعوده عنه، و زالت ولايته بتشبيطه الناس عنه «١».

قلنا: لم يبعث هو بأبى موسى، و لم يرض بحكومته، و إنّما أدخله فى ذلك الأشعث ابن قيس مع أهل اليمن، فقال لهم علىّ: أبعث مع عمرو بعبد الله بن عباس. فقال الأشعث: أميرنا مضرى و أميرهم مضرى، و حكمنا مضرى و حكمهم مضرى ما نرى لنا فى الأمر نصيبا!! فأبوا و قالوا: ابعث منّا يمانيا و إلّا لم يدم معك يمانى بسهم أبدا.

فقال لهم: قد رموكم بحجر الأرض فدعوني أصكمهم بغلام من قريش. فأبوا

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «تثبيط الناس عنه» و هو من قولهم: «تبط زيد فلانا عن الأمر - على زنة نصر - و تثبطه عنه تثبيطاً»: عوّقه و شغله عنه.

ص: ١٧٣

عليه، و لم يكن في الرأي إذ رآهم قد أعملوا العصبية و اللجاج «١» إلّا مداراتهم فيما يحلّ و لا يدخل على الدين ضرراً.

فإن قالوا: [أ ليس] يكون من الدخول فيما عاب، و من الضرر أكثر من الرضى «٢» بأبى موسى المخدوع المغفل؟

قلنا: لم نوجب رضاه بأبى موسى، و إن ما قلناه كان من أمر القوم على مداراة [منه لهم] لا يلزمه تقصير في دين «٣» و لكن لما قالوا: لا نرضى إلّا بيمانى قال: فإننى أبعث بالأشتر فهو يمانى، و لم يسمع أحد منه الرضى بأبى موسى. فقال الأشعث: حكومة الأشتر طرحتنا فيما نرى، ابعث أبا موسى و إلّا لم يرم معك يمانى بسهم. فقال على رضى الله عنه: كيف أبعث رجلاً ليس على رأينا و لا أمرنا و قد خذل الناس عنا.

ثم أقبل رجل من بنى يشكر على فرس فقال: يا على أكفر بعد إسلام، و نقض عهد بعد توكيده و ردّا بعد معرفة؟! أنا ممّن أفرّ بالحكومة ترى؟.

ثم حمل على أصحاب معاوية فقتل منهم إنساناً ثم انصرف إلى عسكر على.

فتكلّم عند الخلاف من كان يرى التقليد، و اجترأ الصغير و الكبير على القال و القيل بعد ان كانوا أتباعاً، كل يتكلّم على قدر هواه و رأيه.

ثم قام عدى بن حاتم الطائى فقال: يا أمير المؤمنين إنّه و إن كان أهل الباطل لا يقومون لأهل الحق «٤» فإنّه لم يصب منّا عميد إلّا و قد أصيب منهم مثله و كلّ مقروح، و لكنّا أمثل بقيّة، و قد جزع القوم و ليس بعد الجزع إلّا ما نحبّ، فناجز القوم.

ثم قام الأشتر [فقال]: يا أمير المؤمنين إن معاوية لا خلف له من رجاله و لك

(١) الظاهر أنّ هذا هو الصواب، و في الأصل: «قد أعملوا القضية و الإلحاح...».

و انظر تفصيل القصة في الجزء الثامن من كتاب صفين ص ٤٩٩ - ٥١٣.

(٢) كذا.

(٣) كذا في الأصل، و لعلّ الصواب: «و أنّ ما تلبّاه من أمر القوم كان على مداراة...».

(٤) كذا في أواخر الجزء: (٧) من كتاب صفين ص ٤٨٢، و في الأصل: «لا يقرون لأهل الحق...».

بحمد الله الخلف «١» و لو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك و لا بصرك، اقرع الحديد بالحديد و استعن بالله.

فقام الأشعث مغضبا فقال: إنا/ ٥٣/ لك اليوم على ما كنّا عليه أمس، و لسنا ندرى كيف يكون غدا، فقد و الله كل الحدّ و كلّ البصائر، و ما آخر أمرنا كأولّه، و ما القوم الذين كلّموك بأحمر للعراق، و لا أوثر للشام منى، فأجب القوم إلى كتاب الله فأنت أحقّ به منهم و قد أحبّ الناس البقاء فانظر فيه للعامة «٢».

و قام فيما ذكروا عبد الله بن عمرو بن العاص بين الصّفين و قال: يا أهل العراق إنّه قد كانت بيننا و بينكم أمور «٣» للدين [أ] و الدنيا؟ فإن تكن للدين فقد و الله أعذرنا و أعذرتم، و إن تكن للدنيا فقد أسرفنا و أسرفتم، و قد دعوناكم إلى أمر لو دعوتونا إليه أجبناكم، فإن يجمعنا [و إياكم] الرضا به فذاك من الله، و إلّا فاغتنموا هذه الفرصة التى لعلّه «٤» أن يعيش بها الأحياء و ينسى فيها القتلى [فإن بقاء المهلك بعد الهالك قليل].

و قد تعلمون أن هذا الكلام إذا صادف قلوبا قد ضعفت، و نيات قد فترت، و شبهة قد وقعت وقع من القلوب موقعا عجيبا و زاد فى القلوب أضعاف ما بها من المرض و النكول، و هذه من حيل معاوية و عمرو بن العاص أرادوا بها اللبس و التمويه.

فقام سعيد بن قيس فى أثر هذا الكلام فقال: يا أهل الشام إنّه قد كانت بيننا و بينكم أمور حamina فيها على الدين و الدنيا سمّيتوها غدرا [أ] و سرفا و قد دعوتونا

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما فى كتاب صفين ص ٤٨٢، و فى أصلى: «ثمّ قال الأشر: يا أمير المؤمنين إن معاوية لا خلف له من رجاله و لك عند الله الخلف...».

(٢) و قريبا منه ذكره عنه نصر بن مزاحم فى كتاب صفين ص ٤٨٢.

(٣) هذا هو الصواب الموافق لكتاب صفين، و فى أصلى: «بأمر الدين».

(٤) كذا فى الأصل، و فى كتاب صفين: «فاغتنموا هذه الفرجة لعلّه أن يعيش فيها المحترف، و ينسى فيها القتل» و ما وضعناها بين المعقوفات أيضا مأخوذ منه.

[اليوم] إلى ما قاتلناكم عليه [بالأمس] و لم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم و لا أهل الشام إلى شامهم بأمر أجمل من أن يحكم بما أنزل الله «١» و الأمر فى أيدينا دونكم و إلّا فنحن نحن و أنتم أنتم.

فتكافأ فيه «٢» كلام عبد الله بن عمرو و سعيد ممن قد عرفتم نجدته و بلاءه و يقينه فما ظنكم بغيره.

فتكلّم علىّ رضى الله عنه فقال: أيّها الناس إنّهُ لم يزل بى فى أمرى ما أحبّ حتى نهكتكم الحرب «٣» و قد و الله أخذت منكم و تركت و هى لعدوكم أنهك، و لقد كنت أمس أميرا فأصبحت اليوم مأمورا، و كنت أمس ناهيا فأصبحت اليوم منهيا، و قد أحببتكم البقاء و ليس لى أن أحملكم على ما تكرهون.

فتفهّموا أمور المؤيّد بالحقّ، و تدبّروا قول المنصور بالتأييد من الربّ كيف يتخلّص إلى الصواب عند اعتراض هذه الآراء و كيف يسلم من اتّباع هذه الأهواء، و كيف اتبع الحقّ عند إحاطة هذه الفتن، لتعلموا أنّه لا نظير له بعد النبيين، و لا يدانى فضله أحد من المؤمنين.

ثمّ قام رفاعة بن شدّاد البجلي فقال: أيّها الناس إنّهُ لا يفوتنا شيء من حقّنا [إن أجبناهم إلى ما] قد دعونا فى آخر أمرهم إلى ما دعوناهم إليه فى أوّلِهِ، و قد قبلوه من حيث لم يعقلوه، فإنّ يتمّ الأمر على ما نريد فبعد بلاء و قتل و إلا أثّرناها جذعة «٤» و قد رجع إلينا جدّنا.

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما فى كتاب صفّين ص ٤٨٣، و فى أصلى هكذا: «بأمر أجمل منه، و أن يحكم فيه بما أنزل الله...». و ما بين المعقوفات أيضا مأخوذ من كتاب صفّين.

(٢) لعلّ هذا هو الصواب، و ذكرها فى أصلى بنحو الإهمال: «فتكافئه».

(٣) كذا فى الأصل، و فى المختار: (٢٠٨) من نهج البلاغة: «أيّها الناس إنّهُ لم يزل أمرى معكم على ما أحبّ حتى نهكتكم الحرب...». و فى المختار: (٢٢٣) من نهج السعادة: «إنّهُ لم يزل أمرى معكم على ما أحبّ إلى أن أخذت منكم الحرب...».

(٤) و مثله فى أواخر الجزء السابع من كتاب صفّين ص ٤٨٩.

ص: ١٧٦

و مشت العشائر إلى العشائر، و القبائل إلى القبائل، فأبى الناس إلّا أبا موسى الأشعرى و الرضى به.

و أقبل أبو موسى مع القرّاء و أصحاب البرانس و قد حفّوا به «١».

فقام الأشر فقال: يا معشر القرّاء و أصحاب البرانس، اجعلوا أمركم إلى صاحبكم فليبعث من أحبّ فو الله ما أصبحنا على ضلال، و لم يصب قلوبنا إلى اتّباع معاوية، و إنّ قتلنا لشهيد و إنّ حيّنا لثائر.

فقام أبو أيّوب الأنصارى [فقال] «٢» نحن على ما خرجنا عليه، عدوّنا أهل الشام و رأس حربنا معاوية، و نحن نردّ الأمر إلى أمير المؤمنين إن قادنا اتّبعناه، و إن دعانا أجبناه.

و كان هذا قول من ثبتت بصيرته / ٥٤ و لم تضعف يقينه و هم قليل لا يبلغون ما ينفذ به رأى أمير المؤمنين.

(١) و في أوائل الجزء (٨) من كتاب صفين ص ٥٠٠ ... ق [قال نصر بن مزاحم]: و في حديث عمر:

قال: قال عليّ: قد أبيتم إلا أبا موسى؟ قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما أردتم. فبعثوا إلى أبي موسى و قد اعتزل بأرض من أرض الشام يقال لها «عرض» و اعتزل القتال، فأتاه مولى له فقال: إن الناس قد اصطلحوا.

قال: الحمد لله رب العالمين. قال: و قد جعلوك حكما. قال: إنا لله و إنا إليه راجعون. فجاء أبو موسى حتى دخل عسكر عليّ.

(٢) هذا هو الظاهر، و ما بين المعقوفين زيادة منّا، و في الأصل: «فقال أبو أيوب الأنصاري ...».

و قريبا منه رواه الطبراني عن سهل بن حنيف في ترجمة محمد بن حاتم من المعجم الصغير: ج ٢ ص ٥ ط ٢ قال:

حدثنا محمد بن حاتم المروزي بطرسوس، حدثنا سويد بن نصر و حيّان بن موسى المروزيان، قال:

حدثنا عبد الله بن المبارك، عن عيسى بن عمر، عن عمرو بن مرة:

عن أبي وائل شقيق بن سلمة، قال: قال سهل بن حنيف يوم صفين: يا أيها الناس اتهموا رأيكم فإنّ الله ما أخذنا بقوائم سيوفنا إلى أمر يفضعنا إلّا أسهل بنا إلى أمر نعرفه إلّا أمركم هذا فإنّه لا يزداد إلّا شدة و لبسا. لقد رأيتني يوم أبي جندل و لو أجد أعوانا على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لأنكرت.

[قال الطبراني]: لم يروه عن عمرو إلّا عيسى بن عمرو تفردّ به ابن المبارك.

ص: ١٧٧

فقال عليّ رضي الله عنه: إنّي لست أحكم الرجال و لكن أحكم الكتاب فإن حكموا بالكتاب قبلت منهم، فإنّ الكتاب يحكم أنّى أولى من معاوية، و إن لم يحكموا بالكتاب لم أقبل.

فإن قال قائل: فما بال الأشتر لم يرض بما فعل، و حلف أن لا يكتب اسمه في الصحيفة، و لا يوادع، فقد خالف رأيه رأى عليّ بن أبي طالب، فقد خرج من حزبه و قطع العصمة منه.

قلنا: هذا هو رأى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، و هذا من رأى الأشتر ليس بخطأ، و ذلك إنّ الأشتر ليس بإمام فيجب عليه تألف القوم و استعطافهم و الانتقال عن هذا الرأى إلى غيره على جهة التآلف و الاستعطاف كما فعل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، و لو كان رأى الباقيين مثل رأى الأشتر لكان رأى عليّ له موافقا، و لكن لما كان الأشتر ليس هو في موضع المداراة جاز له المقام على رأيه.

و لما رأى عليّ رضي الله عنه خلاف الناس على الأشتر و ميلهم إلى المواعدة لم يحب «١» أن يقيم على مثل ما رآه الأشتر فيحمل الناس على كشفه و النصب له، و يجعلهم أعداء و له في الحقّ سعة يكون به إلى التني هي أصلح فهو رضي

اللّٰه عنه يؤثّر الرأى و الرغبة فى الألفة بالتآلف لأصحابه ما وجد فى الحقّ سعة، فإذا ضاق عليه الحقّ و بلغت به الحال إلى أمر متى تركه دخل فى الباطل، و ما لا يحل له آثر اللّٰه على الخلق جميعا و لم يأخذه فى اللّٰه لومة لائم، و انقطع إلى اللّٰه و إن ذهب الناس عنه، و كذلك فعل حين استنفرهم أخيرا بعد انقضاء المواعدة؛ و حينما قلّ الناس عنه «٢» و تخاذلوا عن نصرته [كما يرى ذلك ملموسا من سيرته، و كثير من كلماته عليه السلام، منها جوابه عليه السلام لكتاب أخيه عقيل].

(١) كذا فى الأصل.

(٢) هذا هو الظاهر، أى تفرّق الناس عنه و ندروا منه كندور برادة الحديد و شرارة النار منهما. و ذكره فى الأصل بالقاف.

قال أبو جعفر المحمودى: و ما ذكره أبو جعفر الإسكافى هاهنا فى صدر كلامه لا يخلو من قصور،

ص: ١٧٨

فإن ما أتى به أمير المؤمنين عليه السلام كان أحزم ما يكون، و لكن النوكى من القرّاء و الذين كان فى قلوبهم مرض أو لم تكن لهم نيات صادقة فى الجهاد فى سبيل اللّٰه حالوا بينه و بين قطع جزور الفساد و أصول الانحراف معاوية و حزبه الفئة الباغية، و هدّدوه بالقتل أو تسليمه إلى معاوية، أو التقاعد و الكشف عنه حتى يقتل هو و جميع من صبر معه و انقاد له من أهل الحقّ- و هم قليلون فى الغاية- بيد الفئة الباغية الذين حاربوا رسول اللّٰه و سعوا فى اطفاء نوره، فلو كان أمير المؤمنين عليه السلام يقيم و يصرّ على ما قال لهم و أبدى لهم من الحقّ أولا مع مخالفة أكثر العراقيين له، لكان انهزما أبديا و انكسارا لا يتدارك، و لذا تنازل عليه السلام عن رأيه الصواب، و دفع الانهزام المؤبد بما يوجب الظفر فى المستقبل القريب إن عملوا بما دبر.

ص: ١٧٩

[كتاب عقيل إلى أخيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما خذله الكوفيون فى أواخر أيّامه الميمونة].

و كتب إليه عقيل بن أبى طالب رضى اللّٰه عنه «١» يعرض نفسه عليه فكتب إليه:

أمّا بعد، فإنّ اللّٰه جارك من كل سوء، و عاصمك من المكروه، و إننى خرجت معتمرا فلقيت عبد اللّٰه بن أبى سرح فى نحو من أربعين شابّا من أبناء الطلقاء، فقلت لهم- و عرفت المنكر فى وجوههم -: يا أبناء الطلقاء أ بمعاوية تلحقون؟ عداوة- و اللّٰه- لنا منكم غير مستنكرة قديما تريدون بها إطفاء نور اللّٰه و تغيير أمره؟! فأسمعنى القوم و أسمعهم.

ثمّ قدمت مكة و أهلها يتحدثون أن الضحّاك بن قيس أغار على الحيرة و احتمل من أموالها شيئا، ثمّ انكفأ راجعا؛ فأفّ لحياة فى دهر جرّا عليك الضحّاك، و ما الضحّاك إلا فقّع قرقرة.

و قد ظننت أن أنصارك خذلوک، فاکتب إلیّ یا ابن أمّی برأیک، فإن كنت الموت تريد تحمّلت إلیک بنی أبیک و ولد أخیک، فعشنا ما عشت و متنا معک، فو الله ما أحبّ أن أبقی بعدک فواقا، و أقسم بالله الأعزّ الأجلّ أنّ عیشا أعیشه بعدک فی الدنيا غیر هنیء و لا نجیع.

(١) و لهذا الكتاب و جواب أمير المؤمنين عليه السلام مصادر كثيرة أشرنا إليها فی ذیل المختار: (١٥٩) من باب الكتب من نهج السعادة: ج ٥ ص ٣٠٦.

و رواه أيضا السيد الرضى فی المختار (٣٦) من كتب نهج البلاغة

ص: ١٨٠

فأجابه علیّ بن أبی طالب رضى الله عنه «١»: أمّا بعد کأنّا الله و إیّاک کلاءة من یخشاہ بالغیب، إنّه حمید مجید.

قدم علیّ عبد الرحمن بن عبید الأزدی بکتابک تذر أنّک لقیّت ابن أبی سرح مقبلا من «قدید» فی نحو من أربعین شابّا من أبناء الطلقاء متوجّهین حیث توجّهوا «٢».

و إن ابن أبی سرح طال ما قد کاد الله و رسوله و کتابه فصدّ عن سبيله و بغاها عوجا.

فدع ابن أبی سرح عنک ودع قریشا و ترکاضهم فی الضلال، و تجوالهم فی الشقاق، فإنّ قریشا قد أجمعت علی حرب أخیک إجماعها علی حرب رسول الله قبل الیوم، فأضحوا قد جهلوا حقّه «٣» و جحدوا فضله و بادروه العداوة و نصبوا له الحرب، و جهدوا علیه الجهد، و ساقوا [إلیه] الأمرین.

اللهمّ فأجز قریشا عنّی الجوازی / ٥٥ / فقد قطعت رحمی، و تظاهروا علیّ!! فأحمد الله علی کل حال.

و أمّا ما سألت أن أکتب إلیک برأیی فإنّ رأیی قتال المحلّین حتی ألقى الله.

لا یزیدنی كثرة الناس حولی عزّة، و لا تفرّقهم عنّی وحشة، لأنّی محقّ و الله مع الحقّ و أهله و ما أکره الموت مع الحقّ لأنّی محقّ، و ما الخیر کله إلّا بعد الموت لمن کان محقّا.

و أمّا ما عرضت علیّ من مسیر بنی أبیک و ولد أخیک فلا حاجة لی فی ذلك، فأقم راشدا مهدّیا فو الله ما أحبّ أن یهلكوا معی إن هلکت، و لا تحسبنّ ابن أبیک - [و] لو أسلمه الناس - متضرّعا متخشّعا، و لکنّی کما قال أخو بنی سلیم:

(١) و کتب فی الأصل بخط مغایر لخطّه فوق قوله: «رضی الله عنه» صلوات الله علیه.

(٢) کذا فی الأصل، و فی المختار (١٥٩) من باب الكتب من نهج السعادة: «متوجّهین إلی جهة الغرب».

(٣) و أيضا یحتمل رسم الخط أن یقرأ: «فأصبحوا...».

فإن تسأليني كيف أنت فإنني

صبر على ريب الزمان صليب

يعزّ عليّ أن ترى بي كآبة

فيشمت عاد أو يساء حبيب

فهذا يؤكد ما قلنا [ه] و يحقّقه من أنّه وادع القوم لا من ضعف فيه «١» و لا دخول في خطأ، و لكنّه - شرف الله مقامه - أعمل التآلف و المداراة إذ وجد في الحق سعة، و أجابهم إلى الموادة ليحكموا بكتاب الله، فإن خالف مخالف لم يرض بحكمه.

و له علّة أخرى في الموادة، و هو أنّه نظر إلى من حصل معه من أهل البصيرة و المعرفة فإذا هم قليل تعدو عنهم العين لا يقوون بمن خالفهم فوادعهم لتكثر أنصاره و ليقووا على من خالفهم، و ذلك معروف فيما يؤثر عن سليمان بن صرد:

قالوا: ثمّ أقبل [إلى] عليّ بن [أبي طالب] سليمان بن صرد يوم صفّين عند كلام الناس في الموادة مضروبا وجهه بالسيوف فنظر إليه عليّ فقال له: «فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر، و ما بدّلوا تبديلا» «٢» فأنت ممن ينتظر، و ممن لم يبدل، فقال له سليمان بن صرد: و الله لقد مشيت في العسكر لأن ألتبس أعوانا و لأن يعودوا إلى أمرهم الأوّل فما وجدت إلّا قليلا، و ما في الناس خير.

فهذه أيضا من العلل التي كان عليّ بالموادة فيها مصيبا.

و له علّة [أخرى] أيضا تؤثر عنه [و] لولاها لمضى على بصيرته و جدّه و إن اسلمه الناس جميعا:

(١) هذا هو الصواب، و في الأصل: «من أنّه أودع القوم لا من ضعف فيه».

و أيضا يحتمل رسم الخط أن يقرأ: «لا من ضعف نيّة ...».

(٢) اقتباس من الآية: (٢٣) من سورة الأحزاب: (٣٣)، و كان في أصلي: «منهم من قضى ...» ه و هذا ذكره مسندا في كتاب صفّين ص ٥١٩ و فيه: «فقال: يا أمير المؤمنين أما لو وجدت أعوانا ما كتبت هذه الصحيفة أبدا، أمّا و الله لقد مشيت في الناس ليعودوا إلى أمرهم الأوّل فما وجدت أحدا عنده خير إلّا قليلا». و كان قبل هذه الفقرة في أصلي تصحيف صحّحته على كتاب صفّين.

[رجوع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من صفّين إلى الكوفة، و كلامه مع عبد الله بن وداعة الأنصاري، و استفساره منه عن قول الناس فيما جرى بينه و بين معاوية]

ذكروا أنّه لما رجع من صفّين و قرب من الكوفة «١» لقيه عبد الله بن ودیعة الأنصارى فدنا منه و سايره، ثمّ قال له علیّ: ما سمعت الناس يقولون فی أمرنا هذا؟ قال: منهم المعجب به، و منهم الكاره له، و الناس كما قال الله: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» [١١٨/ هود: ١١]. فقال علیّ: فما قول ذوی الرأى [منهم؟]. قال: أمّا قول ذوی الرأى فيقولون: إنّ علیّا كان له جمع عظیم ففرّقه، و كان فی حصن حصین فهدّمه [و] حتّى متى یبني ما قد هدم؟ و یجمع ما قد فرق؟ فلو أنّه مضى بمن تبعه و أطاعه - حين عصاه من عصاه - فقاتل حتّى یظفر أو یهلك كان ذلك [هو] الحزم.

فقال له علیّ: أنا هدمت أمرهم أم هم هدموا؟! أم أنا فرقّتهم أم هم تفرّقوا؟! و أمّا قولهم: لو أنّه كان مضى بمن أطاعه - إذ عصاه من عصاه - فقاتل حتّى یظفر أو یهلك إذا كان ذلك الحزم. فو الله ما غنى عنى ذلك و إن كنت لسخيّا بنفسى عن الدنيا طيبة نفسى بالموت «٢» و لقد هممت بالإقدام على القوم فنظرت إلى هذين قد ابتدراني، یعنی الحسن و الحسين، و نظرت إلى هذين قد استقدما نى - یعنی عبد الله

(١) و ذكرناه فى المختار: (٢٣٨) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٢٩٤ نقلا عن كتاب صفين فى أواسط الجزء (٧) منه ص ٥٢٩.

(٢) كذا فى الأصل، و فى كتاب صفين: «طیب النفس بالموت ...».

ص: ١٨٣

ابن جعفر و محمد بن علیّ «١» - فعلمت أن هذين إن هلكا انقطع نسب محمد صلى الله عليه من هذه الأمة فكرهت / ٥٦ / و أشفقت على هذين أن یهلكا - یعنی عبد الله ابن جعفر و محمد بن علیّ - و لو لا مكانى لم يستقدما، و أيم الله لئن لقيتهم بعد يومى هذا لألقينهم و ليسوا [هما معى] فى عسكر و لا دار «٢» فاجتمعت له هذه العلل فى المودة و فى كلّها له المخرج، و ما ذهب عليه من أقاويل الناس شىء [إلا] و لقد أخطره على قلبه و أعمل فيه النظر، و قدّم العذر و اختار التى هى أولى و أحسن.

فليجتهد مجتهد [هل] یقدر أن یأتى بشىء ینفذ فيه الحجّة منه، و لم یر له بعلة لا تدفع.

و قد قيل له فيما سألتهم عنه من رأى مالک الأشتر لما كتب الصحيفة: إنّ الأشتر لا یرضى بما فى الصحيفة، و لا یرى إلّا قتال القوم. فقال: و لا أنا و الله رضيت و لا أحببت أن ترضوا.

و أمّا ما ذکرتم من خلافه علیّ، و تركه أمرى، فلیس من أولئك، و لست أخافه

(١) كذا فى الأصل هاهنا و ما بعده، و هذا من تصرفات الرواة، و الصواب أن المراد منهما الحسن و الحسين صلوات الله علیهما دون محمد بن الحنفیة و عبد الله بن جعفر، فلو كان لأمیر المؤمنین ملء الأرض مثل محمد بن الحنفیة و عبد الله بن جعفر لافتدى بهما فى سبیل الله و اكتفى فى تفديتهما فى طریق استئصال الكفر و التفاق عن الاستعانة بالناس فى ذلك السبیل.

نعم، للحسن والحسين بما أنّهما ودائع النبوة وأوصياء رسول الله، وحبّتي الله على خلقه، شأن آخر، كي لا تنقطع حجج الله عن البرية، ويتم الحجة على الناس، ولا يكون لهم على الله حجة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، وليجد الناس في كل عصر هدايتهم وقادتهم كي يلجئوا إلى ظلّهم، و يلتفوا تحت لوائهم فرارا عن برائن الضلال وكيد الطغاة

(٢) هذا هو الصواب الموافق لكتاب صفين، وما بين المعقوفات أيضا مأخوذ منه، وفي أصلي: «و ليسوا في عسكر ولا دار».

ص: ١٨٤

على ذلك، وليت فيكم مثله اثنان، يا ليت فيكم مثله واحد يرى في عدوكم مثل رأيه إذا لخصّت «١» على مؤونتك، و رجوت أن يستقيم لي بعض أودكم.

و قد نهيتكم عما أتيتم فعصيتوني فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

و هل أنا إلّا من غزوة إن غوت غويت و إن ترشد غزوة أرشد

أ لا ترى أن رأى الأشر كان قتالهم، فلمّا لم يقاتل معه أحد كفّ عنه.

فكذلك قد كان رأى على قتالهم فلمّا اختلف أصحابه كفّ [عنهم اضطرارا و لكن حصّن لهم حصون الدفاع و مهّد لهم سبل الظفر و النجاح إذا أفاقوا من سكرتهم و انتبهوا من نومتهم] فرأى الأشر لهذا موافق [لرأيه] نعرفه من الكفّ.

و لقد قال للناس يومئذ و عرفهم رأيه في كلام كثير يحكى عنه و قد ذكرنا بعضه.

و ذكروا أنّه قال لهم يوم تكلموا و طلبوا المودعة: لقد فعلتم فعلة ضعفت قوّة و أسقطت منّة، و أورثت و هنا و ذلّة. و لما كنتم الأعلين و خاف عدوكم الاجتياح و استحرّ بهم القتل و وجدوا ألم الجراح و رفعوا المصاحف و دعوكم إلى ما فيها فلفتوكم عنها ليقطعوا الحرب بينهم و بينكم، و تربّصوا بكم ريب المنون خديعة و مكيدة، فما لبثتم أن جامعتموهم على ما أحبّوا، و أجبتموهم إلى ما سألو، و قد أعلمتكم ما يريدون، فما لبثتم إلّا أن تدهنوا و تجوروا.

و أيّم الله ما أظنّكم بعدها موافقين رشدا و لا مصيبين باب حزم.

و الله لقد كنّا مع النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم نقتل آباءنا و أعمامنا و أبناءنا و إخواننا ثمّ ما يزيدنا ذلك إلّا إيمانا و تسليما، و مضيا على أمضّ الألم و جدّ على جهاد العدو،

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما في كتاب صفين، و في الأصل: «إذا بالغت على مؤونتك...». و بعده في كتاب صفين: «و أمّا القضية فقد استوثقنا لكم فيها فقد طمعت أن لا تضلّوا إن شاء الله ربّ العالمين».

و ما ذكره هنا بعد ذلك من كلام أمير المؤمنين غير موجود في كتاب صفين و لكن له مصادر جمّة

ص: ١٨٥

و استقلالاً بمبارزة الأقران [و] لقد كان الرجل منّا و الآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقى صاحبه كأس الموت.

فمرة لنا من عدوّنا و مرة لعدوّنا منّا، فلمّا رأى الله منّا صدقا و صبرا أنزل بعدوّنا الكبت، و أنزل علينا النصر.

و لعمرى لو كنّا نأتى [مثل] الذى أتيتم «١» ما قام الدين و [لما] عزّ الإسلام.

و أيم الله لتحليّتها دما فاحفظوا ما أقول [لكم] «٢».

فهذا بيانه رضى الله عنه و هذا جدّه و اجتهداه بيّض الله وجهه - و هذه علله و اعتذاره، و هذا تحذيره و تحريضه، أ ترون بعده غاية؟ و هل بقى لأحد عليه حجة إلّا و قد أزاحها، و لا شبهة إلّا و قد كشفها.

أعلى الله فى الأعلىين درجته، فما شبّهت محنته إلّا بمحنة الأنبياء، يمتحن فى بدء الإسلام عند القلّة و الوحدة بالبيات على الفراش - كما امتحن بالذبح إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام - لمّا دعاه النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم حين تألّبت عليه قريش و أوقدت له نيرانها، و انقطع رجاءه من تجادلها، و أجمعوا على الإيقاع به / ٥٧.

فعندها دعا [النبىّ] بأوثق الناس عنده، و أبدلهم لنفسه دونه، و أصبرهم على شديدة عند أمره فقال له: يا علىّ إن قريشا قد تحالفت و تعاقدت أن يبيتوني الليلة، فامض إلى فراشى و تلفّف ببردى ليروا أنى لم أبرح فلا يجدّون فى طلبى.

فو الله ما تلكّا، و لقد أجاب سامعا مطيعا كما أجاب ذبيح الله أباه إبراهيم صابرا عند قوله: «يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى؟ قَالَ: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ» [١٠٢ / الصافات: ٣٧].

(١) هذا هو الصواب الموافق لما فى نهج السعادة، و ما بين المعقوفين أيضا مأخوذ منه، و فى الأصل: «لو كنّا نأتى الذين...».

(٢) و هذا رويناه فى المختار: (٢٢٥) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٢٥٨ عن كتاب صفين ص ٥٢٠.

و قريبا منه رواه السيد الرضى فى المختار: (٥٣) من نهج البلاغة.

ص: ١٨٦

و على مثل ذلك كان جواب الصديق الأكبر و سرعة طاعته عند ما دعاه النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فمضى حتى تلفّف ببرده لا يظنّ إلّا أن القوم سيقعون به فسمحت نفسه بذلك كما سمحت نفس ذبيح الله للإجابة، و دفع الله عنهما جميعا و سلّمهما من التلف عند ما امتحنا، و عظم الثواب و الأجر لهما على ما قصدا و نوبا.

فهذه محنة لم تعرف لها شبيها إلّا في محن الأنبياء عليهم السلام، و في ذلك نزلت:

«وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ، وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» [٥٤/ آل عمران: ٣] و كان على مكر الله في تلك الليلة.

ثمّ محنته يوم الجمل و يوم صفّين، و ما ذكرنا من تفرّق أصحابه عنه بعد ليلة الهرير، و ما دخل عليهم من الشكّ و الارتياح بمكيدة الملاحين أشباه السامري لم يعرف لها مثلاً إلّا ما امتحن الله به هارون نبيّ الله مع بنى إسرائيل عند تمويه السامري لهم باتّخاذ العجل و ما أدخل عليهم من اللبس بما سمعوا [من العجل] من الخوار، فتفرّقوا عند ذلك عن هارون صلى الله عليه، و أقبلوا عليه يعكفون فقالوا: هذا إلهنا و إله موسى. كفرا بعد إيمان و شكّا بعد يقين عند مخالفتهم لموسى و هارون، و تركهم لهارون مفرداً وحيداً و هارون يناديهم: «يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَ أَطِيعُوا أَمْرِي. قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ» [٩١/ طه: ٢٠].

و على مثل ذلك دعاهم الصديق على بن أبي طالب الشهيد لما تفرّق أصحابه يوم صفّين عند ما ظهر من مكيدة أشباه السامري [فقال لهم]: إنكم يا قوم قد فتنتم و خدعتم برفع المصاحف فاتّقوا الله و لا تعصوني في أمرى فإنكم إن فعلتم لم تروا عزّاً أبداً «١» و لتلقون بعدى ذلّاً شاملاً، و سيفاً قاتلاً، و أثرة يتخذها الظالمون فيكم سنّة فأبوا عليه إلّا مضياً مع الشبهة، و لم يطيعوا أمره انقياداً للخدعة.

(١) الظاهر أن هذا هو الصواب، و في الأصل: «لم تروا عدواً أبداً».

و يمكن أيضاً أن تكون اللفظة مصحفة عدن «إعداء» من قولهم: «أعدى زيد فلاناً إعداء»: نصره و قوّاه.

ص: ١٨٧

فهذه محنته يوم صفّين مشبهة لمحنة هارون مع بنى إسرائيل.

[فهذا الموجز يكفيكم] لتعلموا أنّه رحمه الله باستحقاق كانت منزلته من النبيّ المصطفى صلى الله عليه و آله و سلّم بمنزلة هارون من موسى المصطفى صلى الله عليه بالاسم و المعنى.

فتدبروا ما نحن واصفون من مناقب أمير المؤمنين معاشر المسلمين، لتعلموا فضله على جميع العالمين، و أنّه قد برز على جميع الصديقين، و فضل على جميع المجاهدين.

و متى قال قائل: قد كان ينبغي له يوم صفّين أن يمضى بمن أطاعه إذ علم أن تلك مكيدة من القوم، و يحمل بنفسه قدماً على بصيرته و لا يجيبهم إلى المواجهة، فهذا من القول معارض في خلافه أقوى منه في وجه الرأى و باب الحزم، لأنّه لو فعل ذلك فقتل و قتل من معه، لقال قائل: قد كان ينبغي إذا اختلف أصحابه و بقى وحده مع عصابة قليلة أن لا يعجل عليهم فيغرّر بنفسه و يعرض / ٥٨ من معه و من يرى رأيه للتلّف و الهلكة و يعزّ العدوّ بهذا من فعله و لو وادع العدوّ كان أبلغ في الرأى ليقوى الضعيف و يتشبّت الشاكّ و يكثر الأنصار، و يحقن الدماء فطن أجاب القوم إلى متابعتهم و إلّا انكفاً

عليهم راجعا و قد قوى جدّه و استبصر أصحابه و كثر أنصاره و انكشف للناس ظلم من خالفه، و أنّه لم يرد الله بما دعا إليه من الحكومة «١».

فهذان الرأيان في القول قد وقعا، و أبلغهما و أقواهما في باب الحزم [هو] ما فعل رضى الله عنه، لأنّ الأُمَّة كانت إليه أحوج، و صلاحها في بقائه أوضح لأنّه هاديا و غياثا و قائدا إلى ما فيه رشدها.

و لا أظنّ أحدا يتوهم أنّه فعل ما فعل هيبّة للحرب و خوفا من الموت و محبة للبقاء، و لكنّه آثر النظر للدين و حيطة الإيمان، و ما هو أصلح للعباد. فلم يرض الناس إلّا أبا موسى الأشعري، و اتفقت كلمة أكثرهم عليه.

(١) هذا هو الصواب الظاهر من السياق، و في أصلي: «و أنّه لم يرد إلّا الله...».

ص: ١٨٨

فلم يلبث أن جاء أبو موسى و عليه برنس مع أصحاب البرانس و القرّاء و الناس معه.

فقال لهم عليّ: إن أطعتموني بعثتم غيره. قالوا: لا يذهب غيره. قال لهم: فلست أحكم إلّا بكتاب الله فمتى خالفه لم أرض بحكمه.

فقال الأحنف إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى إنك تسير إلى أمر عظيم؛ إنّما يبعثك أهل العراق لتأخذ من عدوّهم، و تأخذ لهم بحقّهم، فأعرض على أهل الشام أن يختار أهل العراق من قريش الشام من شاءوا، و أن يختار أهل الشام من قريش العراق من شاءوا «١».

و إنّما أراد الأحنف أن يعرف ما في نفس أبي موسى بهذا الكلام [علّي كي] يقول له أبو موسى مجيبا له: أجل. [و] قال له الأحنف: يرى الله منك أنّك منطلق على كلّ حال و قد أبى الناس غيرك فاحفظ عنيّ ثلاثا: فإذا لقيته فلا تبدّاه بالسلام فإنّ السّلام أمانة، و لا تصافحه بيدك فإنّ المصافحة خدعة، و لا يقعد بك على صدر الفراش فإنّ ذلك سخرية.

و احذر أن يضمّك و إيّاه بيت تتوارى فيه عنك عيون الرجال فإنّه من قد علمت، و خاصم القوم بكتاب الله فإنّ عليّا أحقّ بهذا الأمر، و ان معاوية من أبناء الطلقاء فاعقل ما يقال لك.

(١) كذا في أصلي، و في أواسط الجزء (٨) من كتاب صفين ص ٥٣٦ ط مصر:

و كان آخر من ودّع أبا موسى الأحنف بن قيس أخذ بيده ثمّ قال له: يا أبا موسى أعرف خطب هذا الأمر و اعلم أنّ له ما بعده، و إنّك إن أضعت العراق فلا عراق، فاتّق الله فإنّها تجمع لك دنياك و آخرتك، و إذا لقيت عمرا غدا فلا تبدّاه بالسلام فإنّها و إن كانت سنّة إلّا أنّه ليس من أهلها، و لا تعطه يدك فإنّها أمانة.

و إِيَّاكَ أَنْ يَقْعِدَكَ عَلَى صَدْرِ الْفِرَاشِ فَإِنَّهَا خَدْعَةٌ، وَ لَا تَلْقَهُ وَحْدَهُ، وَ احْذَرِ أَنْ يَكَلِّمَكَ فِي بَيْتٍ فِيهِ مَخْدَعٌ تَخْبَأُ فِيهِ الرِّجَالُ وَ الشُّهُودُ.

ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَبُورَ مَا فِي نَفْسِهِ لَعَلِّي فَقَالَ لَهُ: فَإِنْ لَمْ يَسْتَقِمْ لَكَ عَمْرُو عَلَى الرِّضَا بَعَلِّي فَخَيَّرْهُ أَنْ يَخْتَارَ أَهْلَ الْعِرَاقِ مِنْ قُرَيْشِ الشَّامِ مَنْ شَاءُوا فَإِنَّهُمْ يُولُونَا الْخِيَارَ فَنَخْتَارُ مَنْ نُرِيدُ، وَ إِنْ أَبَوْا فَلْيَخْتَرْ أَهْلُ الشَّامِ مِنْ قُرَيْشِ الْعِرَاقِ مَنْ شَاءُوا، فَإِنْ فَعَلُوا كَانَ الْأَمْرُ فِينَا. قَالَ أَبُو مُوسَى: قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَ لَمْ يَتَحَاشَ لِقَوْلِ الْأَحْنَفِ.

ص: ١٨٩

وَ كَتَبُوا الْكِتَابَ وَ دَفَنَ النَّاسَ قَتْلَاهُمْ وَ انصرفت [أهل العراق] «١» متباغضين متعادين يشتم بعضهم بعضا بعد أن كانوا إخوانا.

ثُمَّ وَجَّهَ مُعَاوِيَةَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِي أَرْبَعَمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ.

وَ بَعَثَ عَلِيٌّ أَرْبَعَمِائَةَ رَجُلٍ عَلَيْهِمْ شَرِيحُ بْنُ هَانئٍ وَ بَعَثَ مَعَهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى الصَّلَاةِ وَ مَعَهُمْ أَبُو مُوسَى.

وَ مَا فَعَلَ عَلِيٌّ أَيْضًا مِنْ تَأْمِيرِهِ لِشَرِيحٍ عَلَى الْجَنْدِ، وَ بَعَثَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى الصَّلَاةِ، وَ النَّظَرُ فِي أُمُورِ النَّاسِ دَلِيلٌ عَلَى مَا قُلْنَا [هـ] مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ أَبِي مُوسَى وَ تَوَلِيَّتِهِ فِي حَالٍ مِنَ الْحَالِ [كذا].

وَ إِنَّمَا وَلَّى ابْنَ عَبَّاسٍ الصَّلَاةَ لِنَلَّا يَصَلِّيَ بِهِمْ أَبُو مُوسَى، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْثَةَ أَبِي مُوسَى إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلِ أَهْلِ الْيَمَنِ وَ مِنْ تَابِعِهِمْ فَتَرْكُهُمْ عَلَى ذَلِكَ لَمَّا ذَكَرْنَا [هـ] مِنَ الْإِتِّشَارِ وَ قَلَّةِ مُوَافَقِيهِ.

فَلَمَّا اجْتَمَعَ أَبُو مُوسَى وَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ تَرَكَ النَّظَرَ فِي الْكِتَابِ وَ مَا بَعَثَ لَهُ، وَ جَلَسَ مَعَ عَمْرُو يَعْمَلُ الرَّأْيَ وَ الْهَوَى فَأَدَارَهُ عَمْرُو عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْأَمْرَ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو، وَ أَدَارَهُ هُوَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو، وَ قَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ أَنْ نَحْيِيَ بِذَلِكَ [سَنَةَ عَمْرُو وَ نَوَلِيَّ ابْنِ] عَمْرُو؟! فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِ عَمْرُو، وَ قَالَ: هُوَ ضَعِيفٌ وَ هَذَا الْأَمْرُ لَا يَصْلَحُهُ إِلَّا رَجُلٌ لَهُ ضَرْسٌ يَأْكُلُ وَ يَطْعَمُ، فَلَمَّا أَبَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ رَأْيَهُ قَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: فَأَشْرَ رَأْيِكَ «٢» فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: أَرَى أَنْ نَخْلَعَ / ٥٩ / هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ

(١) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفِينَ زِيَادَةٌ مَنَّا، وَ فِي الْأَصْلِ: «وَ انصرفوا متباغضين...».

(٢) يَتْرَكَ - كَمَا تَرُونَ - مَا بَعَثَ فِيهِ مِنَ النَّظَرِ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَ تَوْكِيدِ حَقِّ [اللَّهِ] وَ يَعْمَلُ رَأْيَهُ وَ يَسْتَشِيرُ الْفَاسِقَ فِي حُكْمِ اللَّهِ!!! أَقُولُ: هَذِهِ الْقِطْعَةُ مِنَ الْمَتْنِ وَ كَانَتْ بَعْدَ قَوْلِهِ: «فَأَشْرَ رَأْيِكَ» وَ مِنْ أَجْلِ إِخْلَالِهَا بِانْسِجَامِ الْقِصَّةِ وَ وَقُوعِهَا مُعْتَرِضَةً مُحِيرَةً لِدَهْنِ الْبَسْطَاءِ مِنَ الْقُرَّاءِ ذِكْرَانَهَا فِي الْهَامِشِ.

ص: ١٩٠

ثُمَّ نَجْعَلُ الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَخْتَارُ الْمُسْلِمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ مَنْ أَحَبُّوا. [ف] قَالَ لَهُ:

فإنّ الرأى ما رأيت.

فأقبلا إلى الناس و هم مجتمعون، و فيهم ابن عباس فقال عمرو: يا أبا موسى أعلمهم بأنّ رأينا قد اجتمع و اتفق. فقال أبو موسى إنّ رأى و رأى هذا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به هذه الأمة. فقال عمرو. صدق و برر أبا موسى «١» تقدّم. فتقدّم الضعيف المغفل ليتكلّم فدعاه ابن عباس فقال له: و يحك و الله إنّى لأظنه قد خدعك. إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدّمه ليتكلّم بذلك الأمر قبلك ثمّ تكلم أنت به بعده، فإنّ عمروا رجل غادر و لا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا بأمر فيما بينك و بينه، فإذا قمت فى الناس خالفك. فقال [أبو موسى له]: إنّنا قد اتفقنا.

ثمّ تقدّم أبو موسى المخدوع، فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس إنّنا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نر شيئا هو أصلح لأمرها و لا ألمّ لشعثها من ألّا نتبتر أمورها «٢» [و] قد اجتمع رأى و رأى صاحبي عمرو على خلع علىّ و معاوية، و تستقبل الأمة هذا الأمر فيكون شورى بينهم يولّون من أحبّوا عليهم.

ثمّ تنحّى.

و قام عمرو فحمد الله ثمّ قال: إنّ هذا قد قال ما سمعتم و خلع صاحبه، و أنا أخلع صاحبه كما خلعه، و أثبت صاحبي معاوية فإنّه ولىّ عثمان بن عفّان، و الطالب بدمه، و أحقّ الناس بمقامه!!! فقال له أبو موسى: لا وفّقك الله غدرت و فجرت إنّما مثلك كمثّل الكلب إن

(١) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «صدق و برّر أبو موسى تقدّم» ..

و فى ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٥١ ط ١: «فقال عمرو صدق و برّ، تكلم يا [أ] با موسى ...».

(٢) كلمة: «نتبتر» كانت مهملة فى الأصل، و صحّح محقق كتاب صفين هذه اللفظة فيه ص ٥٤٥ عن شرح ابن أبى الحديد بقوله: «من أن لا تتباين أمورها» و قال فى هامشه: و فى الأصل [يعنى كتاب صفين]: «أ لا نتبر أمورها».

ص: ١٩١

تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث!!! فقال له عمرو: إنّما مثلك مثل الحمار يحمل أسفارا.

و قام شريح [بن هانئ] رضى الله عنه فقنّع عمرو بن العاص بالسوط.

و طلب أهل الكوفة أبا موسى فوجدوه قد مضى.

[و من هذا و كثير من أشباهه يستفاد قطعيا أن المنحرفين عن علىّ كانوا] يعملون - كما ترى - الخديعة فى أمرهم كلّهم و لا يحجزهم من ذلك خوف و لا مراقبة.

و رجع القوم إلى رأى الموفق المسدد و تصويبه، و إلى التلهف و الندامة [عما خالفوه قبل] فقال بعضهم: كفرنا. و كفرت إفراطا بعد تقصير، و إغراقا فى النزاع بعد الضعف و الوهن.

ص: ١٩٢

[كلام أمير المؤمنين عليه السلام مع صالح بن سليم. و حارث بن شرحبيل عند ما رجع من صفين و أشرف على الكوفة].

ذكروا أن علياً رضى الله عنه لما جاز النخيلة «١» و قرب من الكوفة، إذا هو بشيخ جالس فى ظل بيت على وجهه أثر مرض، فأقبل إليه فسلم عليه فردّ ردّا حسنا، فقال له على: أرى وجهك منكفأ ممّ ذلك؟ أمن مرض؟ قال: نعم. قال: فلعلك كرهته؟

قال: ما أحبّ أن يكون بغيري. قال: أ ليس احتسابا للخير فيما أصابك منه؟ قال، بلى. قال: فأبشر برحمة ربك و غفران ذنبك، من أنت يا عبد الله؟ قال: أنا صالح ابن سليم. قال: ممّن؟ قال: أمّا الأصل فمن سلمان طيّ «٢» و أمّا الدعوة ففى بنى سليم ابن منصور. قال: سبحان الله ما أحسن اسمك و اسم أبيك و اسم أجدادك و اسم من اعتزيت إليه، هل شهدت معنا غزاتنا هذه؟ قال: لا و الله ما شهدت و لقد أردتها و لكن ما ترى من إلحاح الحمى «٣» خذلنى عنها. قال: «لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَ لَا عَلَى الْمَرْضَى وَ لَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ. مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [٩١ التوبة: ٩].

(١) و هذه القصة ذكرناها فى صدر المختار: (٢٣٨) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٢٩٢. نقلا عن كتاب صفين ص ٥٢٨ و تاريخ الطبرى.

(٢) كذا فى الأصل، و فى كتاب صفين: «أمّا الأصل فمن سلمان بن طيّ، و أمّا الجوار و الدعوة فمن بنى سليم ابن منصور...».

(٣) كذا فى الأصل، و فى كتاب صفين: «من لحب الحمى» أى من إنحاله لجسمى.

ص: ١٩٣

[ثمّ] قال له: ما قول الناس فيما كان بيننا و بين أهل الشام؟

قال: فيهم المسرور بما كان بينك و بينهم، و أولئك أغشأ الناس لك، و فيهم المكتئب الآسف «١» بما كان من ذلك. فأولئك نصحاء الناس.

فقال: صدقت جعل الله ما كان من شكواك حظا لسيئاتك، فإن المرض لا أجر فيه و لكن لا يدع على المرء ذنبا إلّا حطّه، و إنّما الأجر فى القول باللسان و العمل باليد و الرجل، فإنّ الله ليدخل بصدق النية و السريرة الصالحة / ٦٠ / عالما الجنة «٢».

ثمّ مضى فدخل الكوفة، فسمع البكاء و الأصوات، فقليل له: هذا البكاء على قتلى صفين. فقال: أما إنّي أشهد لمن قتل منهم صابرا محتسبا بالشهادة.

ثمّ مرّ فسمع الأصوات، و سمع وجبة شديدة، فوقف، فخرج إليه حارث بن شرحبيل فقال له عليّ. [أ] تغلبكم نساؤكم؟ أ لا تنهونهنّ عن هذا الرنين؟

فقال [حارث]: يا أمير المؤمنين لو كانت دارا أو دارين أو ثلاثا قدرنا على ذلك، و لكنّه قتل من هذا الحيّ ثمانون و مائة قتيل، و ليس فيها دار إلّا و فيها بكاء، فأما نحن معاشر الرجال فإننا لا نبكي، و لكننا نفرح لهم بالشهادة.

فقال عليّ: رحم الله «٣» قتلاكم و موتاكم. و أقبل الرجل يمشى معه و عليّ راكب [و هو راجل] فقال له عليّ: ارجع. فوقف فقال له: ارجع فإنّ مشى مثلك مع مثلى فتنة للوالى و مذلة للمؤمن.

ثمّ مضى. فلم يزل يذكر الله حتّى دخل القصر.

(١) كذا فى أصلى، غير أنّ فيه: «و أولئك أغشّ الناس لك ...» و فى كتاب صفين: «قال: منهم المسرور بما كان بينك و بينهم و أولئك أغشّاء الناس لك، و منهم المكبوت الآسف».

(٢) و فى تاريخ الطبرى: «عالما جمّا ...».

و فى المختار: (٤٢) من قصار نهج البلاغة: «فإنّ المرض لا أجر فيه و لكنّه يحطّ السيئات و يحتّها حتّ الأوراق، و إنما الأجر فى القول باللسان و العمل بالأيدى و الأقدام، و إنّ الله سبحانه يدخل بصدق النية و السريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة ..».

(٣) هذا هو الظاهر الموافق لكتاب صفين ص ٥٣٢، و فى أصلى: «رحمه الله».

ص: ١٩٤

[مفارقة النوكى و الضلّال من الخوارج عن قطب الحق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و إعلانهم بتكفير أصحابه، و بالمشاقّة له].

و لم يدخل [القصر] معه أصحاب البرانس، و اعتزلوه و أتوا حروراء فنزل بها منهم اثنا عشر ألفا و نادى مناديههم: إنّ أمير القتال شبت بن ربعى «١» و أمير الصلاة ابن الكوّاء و الأمر بعد الفتح شورى و البيعة لله، و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

ثمّ قالوا لأصحاب عليّ: إنّكم استبقتم و أهل الشام إلى الكفر كفرسى رهان!! بايع أهل الشام معاوية على ما أحبّوا و كرهوا. و بايعتم أنتم عليّا على أنّكم أولياء من والا [ه] و أعداء من عادا [ه].

فقال لهم زياد بن النضر: و الله ما بسط على يده فبايعناه إلا على كتاب الله و سنة نبيه، و لكنكم لما خالفتموه جا [أت إليه] شيعته فقالوا: نحن أولياء من واليت و أعداء من عاديت. و نحن كذلك، لأنه على الحق و الهدى، و من خالفه ضالّ مضلّ.

و بعث على رضى الله عنه بعبد الله بن عباس إلى الخوارج و قال له: لا تعجل إلى جوابهم و خصومتهم حتى آتيك.

فخرج [إليهم] ابن عباس، فلما لقيهم جعلوا يكلمونه، فلم يصبر حتى سألهم فقال لهم: كيف تقمتم عليه الحكمين و قد قال الله: «فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا

(١) هذا هو الصواب، و فى أصلى: «شبيب بن ربعى».

ص: ١٩٥

مِنْ أَهْلِيهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا» [٣٥/ النساء: ٤].

فزعموا أن الخوارج قالت: كلما جعل الله حكمه إلى الناس و أمره بالنظر فيه فهو إليهم، و ما نفذ حكم الله فيه فليس لهم ردّه و عليهم إمضاؤه، و كذلك عليهم الإمضاء على محاربة أهل البغى «١».

فقال لهم ابن عباس: و أنتم الذين وادعتم و شككتهم دوننا.

و ليس ما قالوا فى الزانى شبيه للحكمين، و ذلك لأنّ الزانى لا شبهة فيه على أحد أقرّ بالصلاة «٢» و ليس يجب حدّ الزنا إلا على من عرف الزنا، و تحريره بذلك وجبت بالسنة، و نحن على أنّه يقام الحدّ [على] من يجهل تحريم الزنا [أ] و ادّعى فيه شبهة «٣» و ليس ذلك حكم الله فى أهل البغى عندنا و عندهم، و لو أنّ الزانى امتنع من الحدّ بحرب نصيها و ادّعى عندها شبهة اختلفت عندها الأمة كما فعل معاوية لم يكن ذلك أيضا قياسا للحكومة يوم صفين لأنّ الزانى إذا أنكر الحدّ لغير علة كان مرتدّا. فإن أنكر الحدّ و زعم أنّه ليس بزان لشبهة دخلها أنكر من أجلها أن يكون زانيا كما أنكر معاوية أن يكون باغيا لشبهة أحدثها «٤» كان الفريقان فى الأمرين واحد [أ] و الحكم متّفقا «٥».

و ذكروا أنّ ابن عباس قال لهم: فإنّ الله يقول: «يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ» [٩٥/ المائدة: ٥٤] فقالت الخوارج: فعدل عمرو عندك و أبو موسى؟ هذه الآية بيننا، فإن كان عمرو عدلا فنحن غير عدول!!!

(١) و لاحتجاج ابن عباس هذا صور ذكر بعضها ابن عساكر تحت الرقم: (١١٩٣) و ما بعده من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ١٥٠. ط ١. و ذكرناه أيضا فى تعليقه عن مصادر.

(٢) كذا فى الأصل، و لعلّ الصواب: و ذلك لأنّ تحريم الزنا لا شبهة فيه على أحد أقرّ بالصلاة ...

(٣) لعلّ هذا هو الصواب. و ما بين المعقوفين أيضا زيادة منّا، و فى أصلى: «و تحريره بذلك وجبت السنّة، و نحن على أن يقيم الحدّ من يجهل تحرير و أدعى فيه شبهة ...».

(٤) هذا هو الظاهر من السياق، و فى أصلى: «راعى بشبهة أحدثها ...».

(٥) و من قوله: «و ليس ما قالوا ...» إلى هنا جمل معترضة من كلام المؤلف ردّها على الخوارج.

ص: ١٩٦

فقال لهم ابن عباس فقد قال الله: «فَانْعَثُوا حَكَمًا / ٦١ / مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا» [٣٥ / النساء: ٤] أ رأيتم إن كانت المرأة يهودية أ ليس قد دارت حكومة أهلها و هم غير عدول؟

و أمّا قولهم فى الموادة؛ فإنّ الله إنّما أزال الموادة عند ظهور الإسلام و علوّ أهلهم [على] عدوهم «١» و قد كانت الموادة قبل الهجرة، و الدعوة غير ظاهرة و أنصار الدين بهم قلّة، فالموادة زائلة متى وجبت القوّة و كان المسلمون على الكثرة و القوّة و العدّة التى من أجلها زالت الموادة، و متى اختلفت الكلمة و رجع أهل الحقّ إلى قلّة، و كان أهل الباطل أكثر رجعت الموادة إلى علّتها قبل الهجرة و وجب حكمها بوجوب علّتها، و قد تعلمون أنّ المشركين من سائر الملة و من أقرّ بالصلاة من أهل البغى من الأمّة قد أوجب الله قتالهم على حدّ معروف و فرض موصوف تخفيف من الله «٢» بعد فرض كان أشدّ فى المحنة منه فقال: «الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ، وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ» [٦٦ / الأنفال: ٨] فهذا تحديد فى الفرض خَفَّفَ اللَّهُ به عن الخلق فى محنة الحرب بعد أن كان الفرض على المائة محاربة الألف.

قلنا: فمتى نقص من هذا التحديد من عدّة المؤمنين، و كان المشركون أكثر من العدد الذى حدّد الله فى قتالهم حلّت للمؤمنين الموادة، و وسعهم الكفّ حتّى يصيروا إلى الحدّ الذى ذكره الله تعالى، فقد جعل الله للموادة حدّا و هو «٣» حكم الله بين عباده أبدا فى محاربة العدو، و لم يحصل من علىّ بن أبى طالب يوم صفّين عند الفرقة و اختلاف الكلمة إلّا قليل، و إنّما تراجع الناس إليه بعد الحكمين حين انكشف للناس غدر عمرو

(١) كذا فى الأصل، غير أن ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) كذا.

(٣) هذا هو الظاهر، و فى أصلى: «و هم حكم الله ...».

ص: ١٩٧

ابن العاص و ضعف أبى موسى المغفل و استعماله هواه و رأيه، فأنابوا «١» إلى علىّ و اعتزلت الخوارج.

فأما يوم صفين، فكان أهل الحق ممن ثبت على بصيرته قليل تعدوهم العين، فقد وجبت المواجهة عند القلة مع من كفر بالله فكيف لا يجب ذلك مع أهل القبلة، وذلك حكم الله في المواجهة إلى يوم القيامة.

(١) الظاهر أن هذا هو الصواب، و في أصلي: «فانابا» بإهمال الحرف الوسط. و أنابوا: رجعوا.

ص: ١٩٨

[خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في الاحتجاج على الخوارج بعد ما فارقه فأرسل إليهم ابن عباس ثم لحقه و دخل معسكرهم].

و ذكروا أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه «١» خرج إلى الخوارج فأتى فسطاط يزيد بن قيس فدخله فتوضأ فيه و صلى ركعتين ثم خرج حتى انتهى إليهم و هم يخاصمون ابن عباس، فقال علي لابن عباس: انته عن كلامهم؛ أ لم أنهك رحمك الله؟ ثم تكلم علي فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

إن هذا مقام من فتح الله له فيه كان أولى بالفتح يوم القيامة «٢» و من نطف فيه و أوعب فهو في الآخرة أعمى و أضل سبيلا.

ثم قال لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء. قال علي: فما أخرجكم من حكمنا؟

قالوا: حكومتكم يوم صفين. قال: نشدتكم بالله أ تعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله. قلت لكم: إنني أعلم بالقوم منكم [إنهم] ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، فإنني قد صحبتهم و عرفتهم أطفالا و رجالا فكانوا شرّ أطفال و شرّ رجال، امضوا على حقكم و صدقكم، فإنما رفع القوم لكم هذه المصاحف خديعة و و هنا و مكيدة

(١) و كان في الأصل بين الأسطر مكتوبا فوق قوله: «رضى الله عنه» كلمتي: «رضوان الله [عليه]».

(٢) كذا في الأصل، و في المختار: (٢٣٧) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٢٨٩: هذا مقام من فلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة».

ص: ١٩٩

فرددتم علي رأيي و قلتم: لا بل نقبل منهم. فقلت لكم: اذكروا قولي و معصيتكم إيتاي فلما أبيتم إلّا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا [ه] القرآن و أن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكم من حكم بما في الكتاب، و إن أبيّا فنحن من حكمهما براء. فهل قام إلى منكم رجل فقال: يا علي إن هذا الأمر أمر الله فلا تعطه القوم؟ قالوا: لا. قالوا: فأخبرنا أ تراه / ٦٢ / عدلا تحكيم الرجال في الدماء؟ قال: إننا لسنا الرجال حكمنا، و إنما حكمنا القرآن و هو خط مسطور بين لوحين لا ينطق حتى يتكلم به الرجال «١» و أنتم حكمتم أبا موسى و جئتموني و أتيتموني به «٢» مبرنسا، و قلتم: لا نرضى إلّا به. و معاوية حكم عمروا.

[ثم قال:] وأخبرني عنك يا ابن الكواء متى سمى أبو موسى حكماً؟ أ حين أرسل أم حين حكّم؟ قال: حين حكّم. قال: فقد سار و هو مسلم وأنت ترجو أن يحكم بما أنزل الله؟ قال: نعم. قال: فلا أرى الضلال في إرساله إذ كان عدلاً.

قالوا: فخبّرنا عن الأجل لما جعلته بيننا وبينهم؟ قال: ليتعلّم الجاهل «٣» و يتنبّث العالم، و لعلّ الله أن يصلح في تلك المدة بين الأمة.

ثم قال عليّ: أ رأيتم لو أن رسول الله عليه السلام أرسل رجلاً مؤمناً يدعو قوماً مشركين إلى كتاب الله فارتدّ على عقبه كافراً كان يضرّ النبيّ صلى الله عليه شيئاً؟ قالوا:

لا. قال: فما ذنبى إن ضلّ أبو موسى و لم أرض بحكومته إذ حكم، و لا بقوله إذ قال.

(١) و في المختار: (١٢٢) من نهج البلاغة: «إنما لم نحكم الرجال و إنما حكمنا القرآن، و هذا القرآن إنما هو خطّ مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان، و لا بدّ له من ترجمان، و إنما ينطق عنه الرجال...».

(٢) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «و جئتموني به و أتيتموني» و لكن لفظة: «أتيتموني» مكتوبة فوق قوله:

«جئتموني».

و منه قوله عليه السلام في جواب أحنف بن قيس - كما في كتاب صفين ص ٥٠٢ -: إنّ القوم أتوني بعبد الله بن قيس مبرنسا فقالوا: ابعث هذا فقد رضي بنا به. و الله بالغ أمره.

(٣) هذا هو الظاهر: و في أصلي: «ليعلم الجاهل...».

و في المختار: (١٢٢) من نهج البلاغة: «و أمّا قولكم: لم جعلت بينك و بينهم أجلاً في التحكيم فإنما فعلت ذلك ليتبين الجاهل و يتنبّث العالم و لعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة...».

و لا تؤخذ بأكظامها فتعجل عن تبين الحق، و تنقاد لأوّل الغيّ.

ص: ٢٠٠

قالوا: أ فرأيت كتابك باسمك و اسم أبيك و تركك اسمك الذي سمّاك الله به بإمرة المؤمنين.

قال عليّ: عليّ [يدى] دار [مثل] هذا الحديث كتب النبيّ عليه السلام «١»: هذا كتاب من محمد رسول الله. و قال أبو سفيان و سهيل بن عمرو: لا نقرّ و لا نعرف [أنك رسول الله] لقد ظلمنا [ك] إذا إن شهدنا أنك رسول الله ثمّ قاتلناك، و لكن اكتب باسمك و اسم أبيك. فقال رسول الله [صلى الله عليه و آله]: اكتب من محمد بن عبد الله فإنّ ذلك لا يضرّ نبوتى شيئاً، فكتبها رسول الله صلى الله عليه و سلّم لآبائهم، و كتبها [أنا] لأبنائهم.

قالوا: صدقت. [و لكن] بقيت خصلة: إنا قد علمنا أنك لم ترض بحكمهم حتى شككت و كتبت في كتابك: إن جرنى كتاب الله إليك تبعتك؛ و إن جرّك إلىّ تبعتنى. تعطى هذا القول و قد أحصى «٢» خيلنا في دمائهم؟ و ما فعلت هذا حتى شككت.

فقال علىّ: تَبَنَّى أنت و من معك أولى بأن لا تشكّوا في دينكم أم المهاجرون و الأنصار؟

أم أنا أولى بالشك أم معاوية و أهل الشام «٣»؟

قال ابن الكوّاء: النبىّ عليه السلام أولى باليقين منك، و أهل الشام خير من مشركى قريش، و المهاجرون و الأنصار خير منا.

قال: أ فرأيت الله حين يقول لرسوله: «قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا اتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» [٤٩/ القصص: ٢٨] أشكّ النبىّ عليه السلام فيما هو عليه حين يقول هذا؟ أم أعطاهم إنصافاً؟

قال ابن الكوّاء: خصمتنا و ربّ الكعبة و أنت أعلم منا بما صنعت.

فقال علىّ رضى الله عنه: ادخلوا مصركم رحمكم الله.

(١) ما بين المعقوفات زدنا لإصلاح الكلام، و فى الأصل: «على هذا دار الحديث كتب النبى ...».

(٢) كذا.

(٣) كذا فى أصلى مع غموض فى لفظ: «تَبَنَّى» و فى الكلام اختلال و نقص و لم يتيسر لى المراجعة و بذل الجهد لإصلاح الكلام و تصويبه.

ص: ٢٠١

فلم يبرح على رضى الله عنه حتّى تفرّقوا و دخلوا معه و قلبوا أترستهم.

فتفهّموا معاشر المقصّرين، و تفكّروا يا أصحاب الوقف، و اعتبروا يا أولى الأبصار ما يظهر من بيان الله و حجّته من تقديم أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب على جميع العالمين يقتل فى الله القاسطين بسيفه، و يحيى فى الله الشاكّين بحجّته.

فهذه علل الخوارج مجموعة عليها مدار كلامهم كلّ قد أوضح لبسها، و أزال شبهها، و كشف حيرتها بما لا مردّ له من كتاب الله «١» و حجّته فأىّ الأمرين عندكم أ صوب؟

و أىّ المنزلتين أشرف فى الدين و الرأى؟ أن يدع الناس فى حيرتهم و يترك أصحابه فى شبهتهم فيكونوا له حرباً، و يزيدهم بإقدامه شبهة، و يمضى وحده حتى يقاتل بعصاة معه، فلا ينكأ فى عدوّه «٢» و لا يبلغ فيهم الأمانة، فيكون فى

ذلك تلفه و تلف من معه و تقوية «٣» لمن خالفه / ٦٣ / و يكون في ذلك جهل للسنة في المواعدة، و إطفاء لما أحيأ من حجة الله فيكفر الجهل ذلك من جهله و افتنن به.

أم يوادع القوم في حال القلة، و يستعمل بأصحابه [الرفق] في وقت تفرقهم، و دخول الشبهة [عليهم] ليحيى ضالهم، و يستنفذ متحيرهم، و يقوى ضعيفهم، و يثبت عالمهم «٤» أى الأمرين أولى بالهدى و أبعد من الخطأ، و الله يقول: «مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا، و من قتلها فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» [٣٢ / المائدة: ٥].

(١) كلمة: «كتاب» رسم خطها غامض و يحتمل أن تقرأ: «من بينات».

(٢) يقال: «نكأ زيد عدوه و فى عدوه» من باب ذهب-: قتل فيهم و جرح و أثخن.

(٣) الظاهر أن هذا هو الصواب و فى أصلى: «و يفوته».

(٤) و قد أوضح أمير المؤمنين عليه السلام فى احتجاجاته مع الخوارج و غيرهم حكمة تأنيه و تأخير الحرب مهما يمكنه لطفاً بالناس و رافة بهم.

انظر قوله عليه السلام فى المختار: (٥٤) من نهج البلاغة: «فو الله ما دفعت الحرب يوماً إلّا و أنا أطمع أن تلحق بى طائفة فتهتدى بى و تعشوا إلى ضوئى و ذلك أحبّ إلىّ من أن أقتلها على ضلالها و إن كانت تبوء بآثامها».

و انظر أيضاً قوله فى المختار: (١٢٠) من نهج البلاغة: «إذا طمعنا فى خصلة يلمّ الله بها شعشنا و نتدانى بها إلى البقية بيننا رغبتنا فيها و أمسكنا عمّا سواها».

ص: ٢٠٢

و النبىّ عليه السلام يقول له: يا علىّ لأن تستنقذ نفساً من ضلالتها خير لك من الدنيا و ما طلعت عليه الشمس «١».

و تعلمون أنّ عليّاً لو أصيب فى تقدّمه لم يعرف أحد سنة المواعدة و جواز الحكومة، و لكانت تلك شبهة باقية فى الناس إلى يوم القيامة لا يهتدى إلى الحجة فيها و لا يقدر أحد أن يبين «٢» فيها ما أبان من سبيلها مع استنقاذه اثنى عشر ألفاً من ضلالة قد كانت شملتهم، و حيرة قد كانت ركبتهم، فلا شكّ أنّ ما فعل من ذلك أولى بالصواب، و أرجح فى الدين و أرضى لله و أبعد من الخطأ فى حكمه.

فدخلت الخوارج الكوفة و أقبل عليهم صعصعة بن صوحان فقال: أنشدكم الله أن تكونوا بعد اليوم عارا على من يقرأ القرآن.

ثمّ إنّ عليّاً أمر بالمسير إلى أهل الشام و فى ذلك يقول شاعرهم:

لم يحكم فى دينه مخلوقاً

أيها الشامتون إنّ علياً

إنما حَكَمَ القرآن و قد كان

بتحكيمه القرآن خليقا

أعلم الناس بالكتاب و بالسنة

و الله يلهم التوفيقا

حاكم القوم فى الحروب إلى الله

و [هو] فيها مهاجرا صديقا

فهذه محنته و سيرته فى حروبه [و] قد بان بها من الخليقة أجمع و تقدّم فيها على من صام و صلى لا يقدرّون أن يدّعوا ما اتّفق منها لأبى بكر أكثرية ما يدّعونه لأبى بكر محنته أيام الردّة، و أين قيامه بالردّة - و هى مكشوفة ظاهرة و محنة القوم جميعا فيها واحدة - من محنة علىّ بعائشة، و قد شبّهت الأمور و أطاعها الناس، و محنته بالزبير

(١) لا يحضرنى الآن موارد ذكر هذا الحديث من كتب الفريقين، و لكن ما فى معناه و مدلوله قد أخرجه.

رواه ابن عساكر تحت الرقم: (٢٢٧) من ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق:

ج ٢ ص ١٨٢، و ما بعدها، من ط ٢.

(٢) و يحتمل رسم الخط أيضا أن يقرأ: «أن يسنّ فيها ما أبان...».

ص: ٢٠٣

و له الصّحة المعروفة و الشّجاعة المذكورة، و محنته بطلحة و استمالة الناس بخطبه، و التمويه عليهم بسابقتهم مع من أشبههم من الخاصّة و العامّة ثمّ ما ذكرنا بعدهم.

و أبو بكر لم ينفرد بمحنة الردّة، و لقد كان علىّ له معينا و شريكا، و لقد أشار عليه بما ذكرنا.

و أين محنة أبى بكر - و قد أطاعه القوم جميعا بعد الخلاف - من محنة علىّ مع أهل الخلاف عليه، و أبو بكر يتخلّف من عسكره فلا يباشر حربا بنفسه، و يعينه علىّ علىّ تدبيره، فلم يباشر حرب ما حدث فى زمانه فيكون له فضيلة و لا تفرّد بالتدبير و الرأى فينسب ذلك إليه و يتقدّم به؛ و علىّ فى عسكره يتولّى تدبيره بنفسه، و يخوض تلك الحروب ببأسه، و يقومّ أود تلك العساكر برأيه، ليس له نظير يعينه، و لا وزير يشاركه.

فمهلا رحمكم الله فالإلى كم تلجون فى الخطأ، و تعتلون بالشكّ و الوقف معاشر المرجئة و المعتزلة.

فأمّا أنتم أيّها المنسوبون إلى الرواية، و المحصون للآثار عن رسول الله، فقد علمنا أنّه لا حظّ لكم فى استنباط المعرفة، و لا رأى فيدعوكم إلى المحاجة، و لا نظر فتدّعوا فى العلم رساخة، و لستم باللذين تدعون إلى عدل المقايسة، فتقولون نحن أصوب منكم مقالة، و كيف يمكنكم ذلك و متى ذكر لكم النظر كنتم كالحمز / ٦٤ / المستنفرة.

فأنتم إذا رفعنا منزلتكم في المثل كالصيادلة الذين لا يعرفون إلّا أسماء الأدوية [وهم] جهّال بالدواء والعلة، أو كتاجر ليس له بالصرف معرفة.

و أهل النظر في المثل هم الأطباء و الصيارفة العارفون «١» معاني الأدوية و الأدوية و [ذوو] البصر بالذهب و الفضة فإن عرضتم علينا ما في أيديكم من الرواية لننظر في خطائها من صوابها أصبتم وجه بالرأى في التعلّم، و لم تلبثوا إلّا ريث ما حتى ينكشف لكم الحقّ فيما عنه تسألون، و كان مثلكم

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «الغارمون معاني الأدوية...».

ص: ٢٠٤

كتاجر لا بصر له بالذهب و الفضة، فإن صار في يده من ذلك ما لا علم له به عرضه على البصير يسلم في تجارته و أضعف رأس ماله، و إن أهملتم أنفسكم و جمح بكم سوء النظر، و قلّد بعضكم بعضا الخبر كنتم كمن تعسّف تجارته و قلّ نظره لنفسه، و لم يعرض ما وقع في يده من فضّته و ذهبه على البصراء به و قلّد من هو في مثل حاله في أمره و نهيه و جهله، و لم يلبث إلّا ريثا حتى أفقر نفسه و ذهب رأس ماله.

و قد يأترون «١» عن النبيّ صلى الله عليه في تحقيق ما قلنا أنه قال: «ربّ حامل فقه ليس بفقيه، و ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» «٢» و أتمّ المعنيون بهذا الحديث، و المرادون به إذ كانت معرفتكم به أسماء الرجال و عددهم.

و عنه يؤثر صلى الله عليه أنه قال: «يحمل هذا العلم من كلّ خلف من أهل بيتي عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، و انتحال المبطلين، و تأويل الجاهلين» «٣».

و كيف ينفي ذلك من لا علم له بالمقايسة و جمع الأشباه؟ و من هو عن النظر بمعزل؟

و من دينه السكوت؟! و ترك الفكرة و التدبير للجمع بين ما صحّ و فسد، لبحقّ الحقّ و يبطل الباطل.

[و قد كشفنا الستار عن الحقّ] لتعلموا أن القوم الذين عنوا بالفقه و التمييز و التدبير هم أهل الحقّ و النظر، فأما من لا تمييز عنده بين باطل من حقّ كيف يعلم من أفرط و غلا، و تأويل من قصّر و أخطأ؟! و في كل ذلك يؤثر عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال:

«إذا أتاكم عنّي حديث فاحملوه على أحسن وجوهه و ظنّوا به الذي هو أذكى و أهدى و أتقى».

فكيف يحمله على أحسن وجوهه من لا يخطر الفكرة فيه على قلبه؟ و من قد حرّم

(١) و هو على زنة: «ينقلون» لفظا و معنى. و قد جاء أيضا على زنة: «يضربون».

(٢) وللحديث مصادر كثيرة جداً، وقد قال صلى الله عليه وسلم هذا القول في آخر خطبة خطبها بمنى.

(٣) وهذا الحديث أيضاً له مصادر كثيرة تجدها في كتاب العلم من بحار الأنوار. ج ١.

ص: ٢٠٥

النظر على نفسه و شأنه تصحيح الخبر لسماعه؟! فهذه هي الفرقة الحاملة للفقہ إلى من هو أفقه منها، و قلّدت الخبر رهبانها، و انقادت لكبرائها و فى أشباههم يقول الله: «كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» [٥/ الجمعة: ٦٢] «و اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا» [٣١/ التوبة: ٩]. أى: بالطاعة لهم و الانقياد لقولهم و هم الذين قالوا: «أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا» [٦٧/ الأحزاب: ٦٧].

فارجعوا إلى النظر عن قريب ما دتم في فسحة التمكين، و فكروا في فضائل أمير المؤمنين تجدوا ما قلنا بينا، و لا تؤثر الغفلة، و تميلوا إلى الجهالة، فإن بالمعرفة يعبد الله، و إلى النظر و التدبر دعا الله عزّ و جلّ [حيث] قال: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» [٢٤/ محمد: ٤٧]. و قال: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» [٨٣/ النساء: ٤]. فقد مدح الله الاستنباط، و علّة الاستنباط التدبر و النظر، فمن لم يتدبر لم يستنبط، و من لم يستنبط لم يعلم، و من لم يعلم لم يوفق، و من لم يوفق شكّ و جهل، و من جهل لم يخش ربّه، لأنّه لا يخشاه إلّا من عرفه لقوله: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» [٢٨/ فاطر: ٣٥].

و نحن قابلون لما فى أيديكم من الرواية، و راضون بما أسندتم من مشهور / ٦٥/ الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى علىّ و أبى بكر، لتعلموا أنّ علّة ما قلتموه الهوى لا الأثر، و البدعة لا السنّة.

ص: ٢٠٦

[تفنيد المصنّف بعض مفتريات شيعة آل أبى سفيان فى شأن الشيخين].

قد قلتم: إنّ من السنّة تفضيل أبى بكر و عمر!!! فأى سنّة قامت بأنّهما عن علىّ ابن أبى طالب أفضل «١»؟ و الجماعة فى هذا مضطربة، فأوقفونا على شهادة معروفة، و أوضحوا دعوى هذه السنّة التى بانّت بالبدعة.

فإن قلتم: [منها] قول النبىّ صلى الله عليه وسلم: «سيّد كهول [أهل الجنّة]». «.

قلنا: فقد عارض هذا من خبركم ما هو أقوى [منه] فى المعنى، و أسلم من خطأ التأويل و هو قوله فى الحسن و الحسين: « [هما] سيّد شباب أهل الجنّة و أبوهما خير منهما» «٢».

فنظرنا فى الحديث الأول فوجدنا للشبهة فيه مساغا، و لخطأ التأويل [فيه] مدخلا لأنّه ليس فى الجنّة كهول.

و هذا لا يدخل فيما قلنا فى قوله فى الحسن و الحسين إذ كان أهل الجنّة [كلهم] شبابا، فإذا ثبت أن أهل الجنة شباب دون كهول فقد قدّمهما على [كل] من فى الجنة تقدّما واضحا.

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «فأى نسبة قامت بأيهما عن علي بن أبي طالب».

(٢) و الحديث مجمع عليه بين الشيعة و أهل السنة، و قد رواه الحافظ ابن عساكر بأسانيد كثيرة تحت الرقم:

(١٢٨-١٤٢) من ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من تاريخ دمشق ج ١٢، ص ٧٢ و ما بعدها من ط ١.

و رواه أيضا بأسانيد كثيرة آخر في الحديث: (٦١) و ما بعده من ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ١٢، ص ٤١-٥٩ ط ١.

و قد علّقناه عليهما أيضا نقلا عن مصادر قويّة قديمة سنية، فراجعهما فإنّهما يغنيانك عن غيرهما.

ص: ٢٠٧

و استثنأوه أباهما يوجب أنّ الخبر عامّ و لو أراد به الخصوص لم يكن للاستثناء معنى.

فإن قلتم: لم يرد بقوله: سيّد كهول أهل الجنّة إخبارا بأنّه يكون في الجنّة كهول و لكن لما كانا في وقت القول كهلين جاز أن يقول: سيّد كهول أهل الجنّة مجازا.

قلنا: فهذا خبر يدخل فيه من كان في ذلك الوقت كهلا فيكون قد دخل فيه كهول من بالحضرة دون من لم يكن في ذلك الوقت كهلا، فعلى بن أبي طالب لم يكن في ذلك الوقت كهلا فيكون في الخبر داخلا «١».

هذا قد يجب عليكم متى سلّمنا دعواكم و تركنا الاستقصاء عليكم في خبركم؛ فنحن إذا نظرنا فيما ذكرتم احتجتم إلى التأويل فيما رويتم في أبي بكر و عمر. فأما تأولتم فسّلّمنا لكم التأويل أوهدناكم أنّه ليس فيه على قولكم دليل.

فقد ثبت بما شرحنا و وصفنا أنّ قوله: سيّد شباب أهل الجنّة «أدلّ على التفضيل و أوفى بالعموم مما يدخله الطعن عند القياس، و احتجتم في تصحيحه إلى استعمال التأويل

(١) أي فلا يكون في الخبر داخلا.

ص: ٢٠٨

[بيان إجمالي في مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بين المهاجرين و الأنصار، ثمّ بينه و بين عليّ صلوات الله عليهما].

ثمّ فكّروا في حديث المؤاخات و ما فيه من الدلالة الواضحة، إذ ميّزهم على قدر منازلهم، ثمّ آخا بينهم على حسب مفاضلتهم «١» فلم يكن أحد أقرب من فضل أبي بكر من عمر فلذلك آخا بينهما، و أشبه طلحة الزبير «٢» و قربت منازلهما، لذلك فأخى بينهما، و كذلك فعل بعبد الرحمن بن عوف آخا بينه و بين عثمان.

ثم قال لعلّي: إنّما أخرت لك لنفسى أنت أخى و صاحبى.

فلم يكن فيهم أحد أشبه بالنبيّ عليه السلام من عليّ، و لا أولى بمواخات النبيّ منه، فاستحق بمواخات النبيّ عليه السلام لتقدمه على القوم، و كانت مؤاخاة على أفضل من مؤاخاة غيره لفضله على غيره.

(١) الظاهر أنّ هذا هو الصواب، و فى أصلى: «مفاضلهم» و لعلّه كان فى الأصل: «تفاضلهم» فصحّفه الكاتب.

(٢) لعلّ هذا هو الصواب، و فى أصلى: «و اشتبه طلحة و الزبير...».

ثم إنّ أصل حديث المؤاخات بين النبيّ و عليّ صلوات الله عليهما، و بين كل واحد من المهاجرين و الأنصار و من يشاكله من الحقائق الثابتة التى أصفق على تصديقها و الإذعان بها جميع فرق المسلمين و له مصادر كثيرة غير محصورة.

نعم، فى بعض طرق الحديث زيادات مختلفة قد قامت القرائن الخارجية على اختلافها مثل ما يتضمّن الحديث المنقول فى الباب: (٢٠ و ٢١) من كتاب فرائد السمطين: ج ١، ص ١١٢ - ١٢١، ط ٢.

و القصة قد رواها الحافظ ابن عساكر بأسانيد كثيرة تحت الرقم: (١٤١) و ما بعده من ترجمة الإمام

ص: ٢٠٩

أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ١، ص ١١٧، و ما بعدها من ط ٢ و قد علّقنا عليه أيضا عن مصادر جمّة.

و قد رواها أيضا بطرق الحافظ الطبرانى، و إليك ما رواه فى الحديث: (١٠٠٠) من مسند عبد الله بن عمر من المعجم الكبير: ج ٣ / الورق ٢٠٥ / ب / قال:

حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة، أنبأنا محمد بن يزيد هو أبو هاشم الرفاعى - أنبأنا عبد الله ابن محمد الطهوى، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر قال:

بينما أنا مع النبيّ صلى الله عليه و سلم فى ظلل بالمدينة و هو يطلب عليّا - رضى الله عنه - إذ انتهينا إلى حائط فنظرنا فيه، فنظر [النبيّ] إلى عليّ و هو نائم فى الأرض و قد اغبرّ فقال: لا ألوم الناس يَكُونُكَ أباً تراب.

[قال ابن عمر:] فلقد رأيت عليّا تغيّر وجهه و اشتدّ ذلك عليه، فقال: أ لا أرضينك يا عليّ؟ قال:

بلى يا رسول الله. قال: أنت أخى و وزيرى تقضى دينى و تنجز موعدى و تبرئ ذمتى، فمن أحبّك فى حياة منى فقد قضى نجه، و من أحبّك فى حياة منك بعدى ختم الله له بالأمن و الإيمان، و من أحبّك بعدى و لم يرك ختم الله له

بالأمن والإيمان، و آمنه يوم الفزع الاكبر، و من مات و هو يبغضك يا علىّ مات ميتة جاهلية [و] يحاسبه الله بما عمل في الإسلام.

و قريبا منه جدًا رواه أيضا في الحديث: (١٠) مما أسنده عبد الله بن العباس من المعجم الكبير:

ج ٣ / الورق ١٠٩ /.

و رواه أيضا الهيثمي في مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١١١، نقلا عن الطبراني في الكبير و الأوسط.

ص: ٢١٠

[حديث الغدير المتواتر بين المسلمين، أو قطعة من خطبة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ب «غدير خم» في إعلام الناس بمنزلة علىّ عليه السلام من رسول الله و نصبه علما للناس و مفزعا لهم بعد وفاته صلى الله عليه و آله و سلم].

ثمّ قوله [صلى الله عليه و آله و سلم] له في «غدير خم»: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه» [يكون] إبانة له منهم، و تقريبا له من نفسه؛ ليعلموا أنّه لا منزلة أقرب إلى النبيّ صلى الله عليه من منزلته.

فإن قال قائل: إنما قال ذلك النبيّ عليه السلام في ولاء النعمة، و معنى الحديث في زيد بن حارثة لأنّهما قد كانت بينهما مشاجرة، فادّعى علىّ بن أبى طالب ولاء زيد ابن حارثة، و أنكر ذلك زيد «١» فبلغ ذلك النبيّ عليه السلام فقال: «من كنت مولاه

(١) إلى الآن لم أظفر على سند لهذا الحديث، بل و لا على مصدر له غير ما أبداه أبو جعفر هاهنا من قبل المنحرفين عن علىّ عليه السلام، ذكره كى يبطله و يسدّ باب تعلّق المبطلين و تمسّكهم به.

نعم، ذكر الحافظ ابن عساكر في الحديث: (٥٩٠) من ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٨٦ ط ١ بسنده ما لفظه:

عن مسروق بن ماهر التيمي، عن أبى بسطام مولى أسامة بن زيد: أنّه كان بين علىّ و بين أسامة [شئ] فقال [أسامة]: و الله إنّى لا أحبه!! قال: فكأنّه دخل على علىّ من ذاك [أذى و غم] فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لا أراك تتناول عندى عليّا من كنت مولاه فعلىّ مولاه.

و كيفما كان فقصة زيد رحمه الله أو ابنه أسامة لا سبيل إلى إثباتها و الاعتقاد بتحقيّقها في عالم الخارج، لعدم السند و المصدر للأوّل، و ضعف سند الثانى؛ فالقصّتان من قبيل كلام الليل الذى يمحوه النهار، و هو حديث الغدير المتواتر بين المسلمين.

ص: ٢١١

فعلىّ مولاه» [فيكون ذلك إذا] فى ولاء العتق «١».

قلنا: ليس لما ذهبتم إليه معنى يصحّ لأنّ أول الحديث و آخره يبطل / ٦٦ ما ذكرتم، لأنّه ذكر فى أوّل الحديث [أنّه صلى الله عليه و آله و سلم خطب الناس] فقال: أ لست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ و [من] كلّ مؤمن و مؤمنة؟ قالوا: اللهمّ بلى. فقال: من كنت مولاه فعلىّ مولاه.

فلا يكون من البيان فى نفى ما قلتم أوضح من هذا، لأنّه قد نصّ على المؤمنين جميعا بقوله، و دلّ على إبانة علىّ من الكلّ بمولويّته «٢» على كلّ مؤمن و مؤمنة، ثمّ أقامه فى

و على فرض ثبوتهما أيضا لا تعارضان حديث الغدير، إذ زيد بن حارثة رضوان الله عليه قد استشهد قبل «غدير خم» نحو سنتين.

و هكذا قصّة أسامة على فرض ثبوتها أيضا لا تعارض حديث الغدير لأنّه لم يعلم فى أىّ تاريخ أبدى أسامة ما فى نفسه، و عصى قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «من آذى عليّا فقد آذانى».

و لعلّه كان قبل غدير خمّ. و على فرض تأخرها عن غدير خمّ، و نصب رسول الله عليّا علما للناس أيضا لا تعارض حديث الغدير، لأنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ذكرّ أسامة و نبّهه على لوازم مولويّة علىّ عليه السلام التى سجّلها عليهم، و أخذ ميثاقهم فى غدير خمّ على الالتزام بها و القيام بلوازمها، و من جملة لوازمها أنّ المولى عليه مثل أسامة و سائر المسلمين يجب عليهم أن يحبّوا إمامهم و خليفة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و مما يقوّى هذا الاحتمال ما كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يتوسّم فيهم من أنّهم سيخالفون أوامره و وصاياه فى حقّ وصيّّه و خليفته، و لهذا فى أواخر أيامه و مرض وفاته أمره على جيش، و جعل تحت إمارته أبا بكر و عمر و أكابر المهاجرين، و أكّد عليه أن يفصل المدينة و يغير على الروم بأرض مؤتة، و بلغ من تأكّيده صلى الله عليه و آله و سلم فى ذلك أنّه مرارا كان يقول نفذوا جيش أسامة، حتى ورد من طريقهم أنّه قال:

لعن الله من تخلف عن جيش أسامة.

فتسامح أسامة فى المسير بعد ما عسكر خارج المدينة حتّى راوغ شيوخ القوم فى الرجوع إلى المدينة، ثمّ هو أيضا لم يبرح من معسكره حتّى توفّى النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فرجع إلى المدينة.

ثمّ أسامة فى أيام خلافة أمير المؤمنين عليه السلام تخلف عنه و أبدى عذرا كان أكبر من الجرم الذى كان قد ارتكبه فكان يجعله عذرا و وسيلة للتخلف عن أمير المؤمنين عليه السلام.

و من هذا ينفتح احتمال اختلاق أبى بسطام للحديث كاحتمال اختلاقه من ماهان التيمى لأنهما ورثا الانحراف عن كلاله:!!.

(١) ما بين المعقوفين زيادة توضيحيّة لم تكن فى الأصل.

(٢) هذا هو الظاهر، و في أصلي: «تجميعا بقوله و دلّ على إبانة عليّ من الكل بتوقيعه».

ص: ٢١٢

التقديم عليهم مقامه، و أعلمهم أنّ تلك لعلّي فضيلة عليهم كما كانت له صلى الله عليه و سلم فضيلة تأكيدا و بيانا لما أراد من قيام الحجّة، و نفى تأويل من تأوّل بغير معرفة.

و لو كان ذلك من النبيّ عليه السلام على طريق الولاء و الملك لكان العباس بذلك أولى من عليّ لأنّه أقرب إلى النبيّ صلى الله عليه و سلّم منه.

و آخر الحديث [أيضا] يدلّ على أنّ ذلك لم يكن لما ذكروه من العلة و هو قوله:

«اللّهمّ وال من والاه و عاد من عاداه» و هذا كلّ يدلّ على ما قلنا [ه] من تقدّمه [على الناس] في الدين، و تفضيله على العالمين، و [أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم إنما] اختاره [لعلمه] بأنّه لا يكون منه تغيير و لا تبديل، و أنّ حاله واحدة، متّصلة عداوته بعداوة الله، و ولايته بولايته، كما اتّصل ذلك من النبيّ عليه السلام «١».

[و قد ذكرنا من مدلول الحديث ما يلفت نظرکم إلى الحقّ] لتعلموا أنّ النظر في الحديث يوجب أنّ النبيّ إنّما أراد بهذا الحديث إبانة عليّ رضى الله عنه من المؤمنين جميعا، و إعلامهم أنّ منزلته في التفضيل عليهم، و التقدّم لهم بمنزلته عليه السلام «٢».

ففكّروا في هذا الحديث فما أبين دلائله، و أوضح حجّته و تأكيده، و ما أعجب قوّته عند النظر فيه من جميع أسبابه و معانيه.

و [فكّروا أيضا في] قول عمر - له عند ما سمع [من النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم] هذا الحديث -: بخ بخ [لك] يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي و مولى كل مؤمن و مؤمنة.

فهذا حديث يؤكّد بعضه بعضا؛ و يشهد بشهادة واحدة، و ينفي تحريف الشّاكّين و المقصّرين، و يوجب قول أهل العلم و البقين.

(١) و لتفرّد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بتلك المزايا أمر الله نبيّه أن ينصبه خليفة له و وصيّا، فامتثل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لأمره تعالى، فنصبه علما للناس و إماما لهم.

(٢) فهو المتعيّن لأنّ يخلّفه على أمّته و يقيمه مقامه، و يجعله إماما و قائدا لهم.

ص: ٢١٣

و قد قال قوم «٢»: إنّ معنى الحديث إنّما هو في الولاية، فمعنى قوله: «من كنت

(٢) و قد قال به قبلهم خالق الأقوام و بارئ الأكوان، فقال لنبئيه: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ» [٦٧/ المائدة: ٥] فقد روى الواحدى فى أسباب النزول ص ١٥٠، عن أبى سعيد الخدرى، قال: نزلت هذه يوم غدیر خمّ فى علىّ بن أبى طالب.

و روى الحافظ الحسکانى فى الحديث: (٢٤٧- ٢٥٠) بأسانیده عن عبد الله بن أبى، أو فى الصحابىّ و الإمام أبى جعفر علیه السلام، و عن جابر بن عبد الله، و عبد الله بن العباس الصحابیین قالوا: أمر الله محمداً أن ينصب علياً للناس و يخبرهم بولایته، فتخوّف رسول الله أن يقولوا حابا ابن عمّه، و أن يطعنوا فى ذلك علیه، فأوحى الله إليه:

«يا أَيُّهَا الرسول بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...» فقام رسول الله بولایته يوم غدیر خمّ.

و روى السيوطى فى الدرّ المنتور عن الحافظ ابن مردويه، و ابن عساکر بسنديهما عن أبى سعيد الخدرى قال: لما نصّب رسول الله صلى الله عليه و سلم عليّاً يوم غدیر خمّ فنادى له بالولایة، هبط جبرئیل علیه بهذه الآية: «اليوم أكملت لكم دينكم ...».

أقول: و رواه أيضا بأسانید الحافظ الحسکانى فى الحديث: (٢١١) و توالیه من شواهد التنزيل:

ج ١، ص ١٥٧.

و رواه أيضا ابن عساکر فى الحديث: (٥٨٥- ٥٨٦) من ترجمة أمير المؤمنين علیه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٨٥ ط ١.

و قد روى الخطيب و الحافظ الحسکانى و ابن عساکر و ابن كثير و الخوارزمى و ابن المغازلى بأسانید عن أبى هريرة قال: من صام يوم ثمانى عشر من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهرا، و هو يوم غدیر خمّ لما أخذ النبىّ صلى الله عليه و سلم بيد علىّ بن أبى طالب فقال: أ لست ولىّ المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: من كنت مولاه فعلىّ مولاه؛ فقال عمر بن الخطاب: بخّ بخّ لك يا ابن أبى طالب أصبحت مولاي و مولى كل مسلم، فأنزل الله عزّ و جلّ: «اليوم أكملت لكم دينكم ...».

و روى الحافظ الحسکانى فى الحديث: (٢١١) و ما بعده، و الخوارزمى فى الفصل: (١٤) من مناقبه و الفصل: (٤) من مقتله: ج ١، ص ٤٧ و اللفظ له- و قد حذفنا الأسانید اختصارا- قال:

عن أبى هارون العبدى، عن أبى سعيد الخدرى: أن النبىّ يوم دعا الناس إلى غدیر خمّ أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقمّ- و ذلك يوم الخميس- ثمّ دعا الناس إلى علىّ فأخذ بضبعه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه ثمّ لم يتفرقا حتى نزلت هذه الآية: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى، و رضيت لكم الإسلام دينا» فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة

مولاه فعلىّ مولاه»: من كنت وليّه فعلىّ وليّه. و يدلّ «١» على ذلك قول الله: «ذَلِكَ بِأَنَّ

و رضى الربّ برسالتي و الولاية لعلّي ثمّ قال: اللّهمّ وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله.

فقال حسّان بن ثابت: يا رسول الله أ تأذن لى أن أقول أبياتا؟ فقال: قل ببركة الله تعالى. فقال حسّان ابن ثابت: يا معشر مشيخة قريش اسمعوا شهادة رسول الله صلى الله عليه و آله ثمّ قال:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم

بخمّ و أسمع بالرسول مناديا

بأنى مولاكم نعم و وليكم

فقالوا: و لم يبدو هناك النعميا

إلهك مولانا و أنت وليّنا

و لا تجدن فى الخلق للأمر عاصيا

فقال له: قم يا علىّ فإننى

رضيتك من بعدى إماما و هاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليّه

فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناك دعا اللّهمّ وال وليّه

و كن للذى عادى عليّا معاديا

و القصة ذكرها أيضا مع الأبيات السيوطى فى كتاب الأزهار فيما عقده الشعراء من الأشعار.

أقول: و بما قدمناه ظهر قول كثير من الأقوام القائلين فى هذا الحديث بمثل ما قال الله تبارك و تعالى فيه:

منهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حيث قال بعد ما نصّب عليا إماما للناس و خليفة له: الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة و رضى الرب برسالتي و الولاية لعلّي.

و منهم أمين الوحى جبرئيل حيث هبط بأمر من الله تعالى على النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قال له: «يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك، و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته ...».

و من القائلين بهذا القول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جابر بن عبد الله الأنصارى و أبى سعيد الخدرى و عبد الله بن أبى أوفى و عبد الله بن العباس و أبى هريرة الأموى و حسان بن ثابت الأنصارى العثمانى و عمر ابن الخطاب.

و سيمر عليك قريبا فى التعليقات القادمة شعر أمير المؤمنين عليه السلام:

و أوجب لى ولايته عليكم

رسول الله يوم غدير خمّ

و ستقرأ أيضا ما كتبه عمرو بن العاص إلى خالهم معاوية لما ألح عليه بطلب خراج مصر، فكتب إليه عمرو مهددا إياه إن أصر على الطلب منه و منه:

وكم قد سمعنا من المصطفى	وصايا مخصصة بعليّ
و في يوم خمّ رقى منبرا	و بلغ و الصحب لم يرحل
فأمنحه إمرة المؤمنين	من الله مستخلف المنهل

و من أراد المزيد فعليه بما آلفه علماء المسلمين في هذا الحديث قرنا بعد قرن، مثل رسالة الحافظ ابن عقدة و حديث الغدير للطبري المفسر و المؤرخ الشهير، و حديث الغدير للحافظ الدار قطني و الذهبي و عبيد الله الحسكاني و مسعود السجستاني و غيرهم ...

و عليك بكتاب الغدير، و حديث الغدير من كتاب عبقات الأنوار فإن فيهما ما تشتهي الأنفس.

(١) هذا هو الظاهر، و في أصلي: «يريد: من كنت وليه فعليّ وليه، فيدلّ على ذلك قول الله ...».

ص: ٢١٥

اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ» [١١ / محمد: ٤٧] فإنما أراد الله بهذه الولاية فخصّ عليّ بن أبي طالب بهذه الكلمة [لأنه أراد منها الرئاسة و الإمارة، و لو كان يريد منها غير الرئاسة و الإمارة من مثل المحبة و النصر] و [كان] المؤمنون جميعا في معنى الولاية [بهذا التفسير] داخلون لأنهم لله و لرسوله موالون [لم يكن وجه لتخصيصه عليا بها] كما خصّت الأنصار باسم النصر، و المؤمنون جميعا في معنى النصر [لله] و لرسوله داخلون «١».

[قال أبو جعفر الإسكافي]: و هذا أيضا خطأ من التأويل «٢» بدلالة أول الحديث لأنّ قوله: «أ لست أولى بالمؤمنين من أنفسهم و بكل مؤمن و مؤمنة؟» [و هذا] يدلّ

(١) و هاهنا في كلام أبي جعفر في تبين مرام الله و رسوله و المؤمنين اختلال فاحش، و لذا زدنا ما بين المعقوفات ترميما لبعض اختلالاته..

و أمّا قوله: «كما خصّت الأنصار ...» فهذا ليس من كلام أهل الحقّ المتقادين و التابعين لأوامر الله و رسوله.

و لعلّ في هذا المقام وقع في الكلام حذف، أو أنّ كاتب الأصل صحّف بعض الكلمات، أو تصرف في الكلام بالتقديم و التأخير.

(٢) عفى الله عنك يا أبا جعفر لم تكن بعبادة الحشوية حتى تكابر في تجاه البديهيّات؛ كيف يكون هذا المعنى تأويلاً و هو الظاهر المتبادر من الكلام، و بمعونة القرائن الحالّية و المقالّية الحافّة بالكلام يكون نصّاً و صريحاً فيه بحيث لو تردّد أحد في فهم المراد منه يعدّ ممن سلب منه القوّة الإدراكيّة أو إيمانه بالله و رسوله.

و مثل أبى جعفر فى هذا المقام مثل طبيب يريد أن يداوى من غير دواء، كما أنّ مثل كثير من رواة الحديث من المقلّدة. مثل صيدلىّ عنده أقسام من الدواء و لكن لا يعلم منها إلّا الاسم، و لا يدرك من هويّتها إلّا اللون، و كان الواجب على أبى جعفر أن ينظر إلى جميع الأخبار الواردة فى المقام ثمّ يبدى رأيه.

يا أبا جعفر، أ هذا تأويل، و قد قال الله فى شأنه: «يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته»؟.

أ هذا تأويل و قد قال الله فى عظّمته: «اليوم أكملت لكم دينكم...»؟

أ هذا تأويل و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول فيه: الله أكبر على إكمال الدين ... و رضا الرّبّ برسالتى، و الولاية لعلّى؟؟

أ هذا تأويل؟ و الصحابى الكبير أبو سعيد الخدرى يقول: لمّا نصب رسول الله عليّاً يوم غدیر خمّ فنادى

ص: ٢١٤

[على] أنّه لم يرد بذلك الولاية لأنّ هذا المعنى لا يجوز أن يكون لهم لأنّ الوليّين كلّ واحد منهما مولى صاحبه «١».

و قوله: «أ لست أولى بكلّ مؤمن و مؤمنة؟ و أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» إيجاب أنّ للنبيّ عليه السلام عليهم فى ذلك ما ليس لهم فى التّقدمة، و كذلك علىّ مولاهم أنّه أولى بهم من جهة التّقدمة لأنّ آخر الكلام علىّ أوّله مردود، فمن أراد أن يدخل فى آخر الحديث معنى يزيل ما قلنا [ه] نفاه أول الحديث، و من أراد أن يدخل فى أوّله معنى غير ما وصفنا [ه] نفاه آخر الحديث، فالحديث يشهد بعبء بعض بما قلنا، و يوجب الحجّة الواضحة بما إليه ذهبنا «٢».

له بالولاية، نزل عليه جبريل بهذه الآية: «اليوم أكملت لكم دينكم...».

أ هذا تأويل؟ و عمر بن الخطاب فى نفس ذلك اليوم يخاطب عليّاً و يقول: بخ بخ لك أصبحت مولاى و مولى كل مؤمن و مؤمنة. و بعد ذلك كان يقول هو مولاى، فمن لم يكن مولاة فليس بمؤمن؟!!!.

أ هذا تأويل؟ و الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

فأوجب لى ولايته عليكم رسول الله يوم غدیر خمّ

أ هذا تأويل؟ و حسّان بن ثابت ينشد فى ذلك اليوم بمحضر النبيّ و المهاجرين و الأنصار، و يقول عن لسان النبيّ:

فقال له قم يا علىّ فإنتي

رضيتك من بعدى إماما و هاديا

أ هذا تأويل؟ و عمرو بن العاص يحكى قول النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و فعله و يهدّد معاوية و يقول:

وصايا مخصّصة في علىّ

و كم قد سمعنا من المصطفى

و بلّغ و الصحب لم يرحل

و في يوم خمّ رقى منبرا

من الله مستخلف المنحل

فامنحه إمرة المؤمنين

ينادى بأمر العزيز العليّ

و في كفّه كفّه معلنا

علىّ له اليوم نعم الوليّ

و قال: فمن كنت مولى له

و من أراد المزيد فعليه بكتاب الغدير، و فضائل الخمسة: ج ١، ص ٣٩٢. و شواهد التنزيل؛ و ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ١-٩٠. و عبقات الأنوار، و المراجعات ..

(١) بل هذا الصدر يدلّ على خصوص الإمارة و الرئاسة؛ و إلّا فأىّ فائدة في ذكره، و يدلّ عليه أيضا تفريع ما بعده عليه حيث قال: «فمن كنت مولاه فعليّ مولاه...».

و قول أبي جعفر: لأنّ الوليّين كل واحد منهما مولى صاحبه «طريف جدّا، و يلزم على قوله إذا قلنا:

السلطان وليّ الرعيّة. أن يكون كل واحد من السلطان و الرعيّة رعيّة و سلطانا! لأنّ كل واحد منهما مولى صاحبه!!!

(٢) و بما قدمناه من التعليقات تجلّى الأمر لكل ذى شعور و تبين له أن حجّة المصنّف هاهنا داحضة.

ص: ٢١٧

فإنّ قال قائل: فإذا كنتم قد أبطلتم معنى الحديث ولاية الدين «١» و الولاء في العتق، فليس لما ذهبتم إليه معنى.

قلنا لهم: قد أوضحنا لكم معنى ثالثا لو فهمتم لأنّ أوّل الحديث فيه ذكر كل مؤمن و مؤمنة، فيعلم أنّه لم يرد بذلك زيد بن حارثة إلّا بدخوله في اسم الإيمان، و ما في آخره من ذكر العداوة و الولاية.

و لم يرد بقوله: «أ لست أولى بكلّ مؤمن و مؤمنة» / ٦٧ / الولاية لأنّ هذه منزلة النبيّ صلى الله عليه و سلم ليست لأحد من المؤمنين «٢» و الولاية لهم هم بها موصوفون، فتلك منزلة علىّ بن أبي طالب.

فإنّ قال قائل: و بما استحقّ علىّ بن أبي طالب هذه المنزلة؟

قلنا له: إِنَّ قولكم: بما استحقَّ عليّ بن أبي طالب هذه المنزلة بعد ما [أ] وقفناكم و عرفتم أن النبيّ عليه السلام أنزله هذه المنزلة و أبانه بهذه الفضيلة تهمة و سوء ظنّ بالنبيّ عليه السلام، لأنّ الذي فعل [به] النبيّ عليه السلام [ذلك] قمن بذلك «٣» لم يفعله [به] إلّا بالاستحقاق، و لأنّ النبيّ عليه السلام لم يكن بالذي يتقدّم بين يدي الله فيبين

(١) هيهات هيهات لأبي جعفر و أمثاله أن يبطلوا ما أبرمه الله و رسوله، نعم أراد المبطلون ليطفئوه و يأبى الله إلّا أن يتمّه.

(٢) نعم هذه منزلة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم لا حظّ فيها لأحد من المؤمنين إلّا من وهبها النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم له على سبيل النيابة و كونه خليفة له، و لا أحد منهم كان يليق بهذه المرتبة إلّا من كان من النبيّ بمنزلة هارون من موسى و هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ فكما أن موسى طلب من الله أن يجعل أخاه هارون وزيراً له و بعد ما أجاب الله سؤاله جعله خليفة له، و قال له: «اخلفني في قومي». فكذلك جعل الله عليّاً وزير رسول الله، ثمّ خلفه رسول الله على أمته، و يدلّ عليه أيضاً ما ورد في تفسير الآية: «و اجعل لي وزيراً».

و قول أبي جعفر: «و الولاية لهم هم بها موصوفون»، غير تامّ لأنّ عليّاً كان موصوفاً بولايتهم و غيرها كما كان في أكثر الصفات كذلك فكان فيه جميع ما في سائر المؤمنين من الكمال و لم يكن فيهم أجمع ما كان فيه من المكارم ..

(٣) لعلّ هذا هو الصواب، و ما بين المعقوفات كلها زيادات منّا، و في أصلي في قوله: «عليه السلام قمن»، لم يكن واضحاً، و كان هكذا: «عليكم ممن ذلك لم يفعله إلّا بالاستحقاق ...».

ص: ٢١٨

عليّ بن أبي طالب هذه البينونة و يشهره هذه الشهرة إلّا بأمر من الله، فهذا من قولكم تهمة فإن أقمتهم عليه بعد البيّنة كفرتم.

فإن قالوا: فدّلّونا على قوله: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه» يحتمل ما قلتم من التقدمة و الإبانة في اللغة، قلنا: ذلك ما لا يستنكر في كلامهم و تعاملهم، قد يقول الرجل للرجل إذا أراد تقديمه و تفضيله على نفسه؛ فلان مولاي يريد بذلك أنّه سيّدى و المتقدم علىّ و البائن منى.

و المولى قد يكون في اللغة على طريق الولاية و على طريق الولاء في العتق و على طريق السؤدد و الإبانة في الفضل، و احتمال [اللفظ] هذه الوجوه الثلاثة فبطل الوجهان «١» من الحديث و ثبت الثالث و هو ما قلنا.

على إنّنا قد بيّنا استحقاق عليّ لهذه المنزلة من النبيّ عليه السلام بما قد ذكرنا من مناقبه و فضائله؛ فله على جميع المؤمنين التقدمة في السؤدد، و الفضل بما له عليهم من النعمة و المنّة و الشرف «٢» و ذلك لأنّ النبيّ صلى الله عليه و سلّم مولى المؤمنين جميعاً بالسؤدد لأنّ به تخلصوا من الضلال و دخلوا في نعمة الإسلام حتّى استنقذهم بدعائه و أمره و قيامه و صبره في ساعات الخوف و الضيق من شفا الحفرة و معاطب الهلكة.

و لعلّ الفضل عليهم بذّبهم بسيفه، و قيامه بالاصطلاء بحروب عدوّهم منّة و نعمة استحقّ بها عليهم السّودد و التقدّم، لأنّه قوىّ بذلك عزائمهم، و أزال الشكوك بفعله عنهم، و ثبتّ يقينهم، و حاما عن أنفسهم و أموالهم فى مواقف مشهورة قد ذكرنا بعضها.

ثمّ حفظه لما جاء به النّبىّ عليه السلام من الدين و السبق، و عنايته بذلك ينبّه عاقلهم و يعلم جاهلهم، و يقيم الحجّة على معاندهم، و سنذكر فضله عليهم فى العلم فى موضعه.

(١) و قد عرفت أن الوجه الأول - بحسب هذا التقسيم، و الثانى بحسب التقسيم الأول - هو الذى أبرمه الله و أتقنه و لو كرهه المبطلون..

(٢) و لأجل هذه التقدمة و السّودد و الفضل و النعمة و الشرف اختاره الله تعالى خليفة لنبيّه و أمره بأن ينصّب على الناس و يبلغهم ما أمره الله تعالى، فامتثل رسول الله لأمره تبارك و تعالى فجعله علما و إماما لهم.

ص: ٢١٩

[حديث المنزلة، و إعطاء رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جميع ما له من شموخ المقام و علوّ المنزلة لعلّ غير النبوّة و الرسالة فإنّها مقصورة عليه، و منتهية إليه، و لا حظّ لعلّ فيها، فإنّه لا نبىّ بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم].

ثمّ [فكروا فى] قوله [صلى الله عليه و آله و سلم] فى غزوة تبوك: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبىّ بعدى» [١] فمنازل هارون من موسى معروفة، أولّها أنّه شريكه فى

(١) و الحديث ممّا تواتر عن النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، و قد خرجه الحافظ أبو حازم العبدوى بخمسة آلاف إسناد.

كما رواه عنه تلميذه الحافظ الحسكاني فى الحديث: (٢٠٥) من شواهد التنزيل: ج ١، ص ١٥٢، ط ١.

و قال الحافظ الحاكم النيسابورى: هذا حديث دخل فى حدّ التواتر، و قد نقل عن شعبة بن الحجّاج أنّه قال فى قوله صلى الله عليه و سلم لعلّ: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى». كان هارون أفضل أمّة موسى عليه السلام فوجب أن يكون على أفضل من كل أمّة محمد صلى الله عليه و آله و سلم صيانة لهذا النّصّ الصحيح الصريح [عن اللغوية].

هكذا رواه عنه فى الباب: (٧٠) من كتاب كفاية الطالب ص ٢٨٣ ط الغرى.

و قال أبو عمر فى أول ترجمة أمير المؤمنين من كتاب الإستيعاب: و هو [أى حديث المنزلة] من أثبت الآثار و أصحّها.

و رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سعد بن أبي وقاص - و طرق حديث سعد فيه كثيرة جدًا قد ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره -.

و رواه [أيضا] ابن عباس و أبو سعيد الخدرى و أم سلمة و أسماء بنت عميس و جابر بن عبد الله، و جماعة يطول ذكرهم.

و ذكر الخوارزمى فى الفصل: (٤) من مقتله: ج ١، ص ٤٨ طبع الغرى، أنه رواه (٢٨) نفرا

ص: ٢٢٠

النبوة، و الثانية [أنه] أخوه فى النسب، و الثالثة: أنه المقدّم عند موسى على جميع البشر، و هذه هى التى وجبت لعلى بن أبى طالب، و هى منزلته من النبي عليه السلام «١».

فإن قال قائل: إن النبي عليه السلام خلف عليًا فى بعض غزواته؛ فقال [له]: أنت منى بمنزلة هارون من موسى فى الخلافة، و لم يرد بهذه التقدمة.

قلنا لهم: لا يكون لهذا الكلام معنى إن لم يكن معه التفضيل و التقدمة، و لو أمكن أن يعنى بهذا الخلافة التى [لا] تدلّ على التفضيل و التقدمة، أمكن أن يعنى الولاية و الإنسانية، فيقول: أنت منى بمنزلة هارون من موسى فى الولاية؛ أى: إنك وليّى،

من الصحابة و ذكر أسماءهم.

و قريبا منه حكى عن ابن حجر فى كتاب فتح البارى: ج ٧ ص ٦٠ و عن و تاريخ الخلفاء ص ١٦٨، و مفتاح النجا ص ٤٣؛ و ينابيع المودة ص ٢٨١؛ و الباب: (١) من كفاية الطالب ص ١٥١.

و قد رواه ابن عساكر فى الحديث: (٣٣٦-٤٥٧) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ١، ص ٣٠٦-٣٩٥ بأسانيد جمّة عن جماعة كثيرة من الصحابة، و قد علّقنا عليه أيضا عن مصادر عديدة.

و رواه البحرانى فى الباب: (٢٠ و ٢١) من غاية المرام ص ١٠٩-١٢٦، عن مائة و سبعين طريقا كما رواه أيضا عن مصادر كثيرة و طرق شتى فى بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٢٥٤ ط ٢.

و رواه أيضا العلامة الأمينى فى كتاب الغدير: ج ٣ ص ١٩٧-٢٠٢.

و قد أفردّه جمع بتأليف مستقل منهم أبو القاسم على بن الحسن التنوخى فإنه صنّف كتابا فى سرد أحاديث المنزلة عن جمع من الصحابة، منهم عبد الله بن مسعود، كما رواه عنه السيد ابن طاوس فى كتاب الطرائف ص ٢٤.

و قد أفردّه السيد مير حامد قدّس الله سرّه بمجلّدين ضخمين من كتاب عبقّات الأنوار، و بحث عنه سنداً و متناً، و أتى بما هو فوق المراد.

و رواه ابن أبى الحديد فى شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة: ج ٤ ص ٥٩ ط الحديث بمصر، قال:

و روى الواقدي قال: و سئل الحسن البصري عن عليّ عليه السلام فقال: ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع: بآثمانه على [سورة] براءة، و ما قال له الرسول في غزوة تبوك، فلو كان غير النبوة شيء يفوته لاستثناه، و قوله صلى الله عليه و آله: الثقلان: كتاب الله و عترتي ...

(١) هذا هو الظاهر، و في أصلي: «و هي بمنزلته من النبيّ عليه السلام».

ص: ٢٢١

و إنّك إنسان مثلي كما كان ذلك في هارون و موسى، و هذا ما لا يحتمل هذا الكلام.

و لا يعنيه من له معرفة بما يقول لأنّ قائلاً لو قال لرجل أنت منّي بمنزلة النبيّ عليه السلام يريد في الولاية و اسم الإيمان، لكان مخطئاً لأنّه أتى بالكلام الدالّ على الفضل دون الولاية و الإيمان؛ و كذلك لو أن رجلاً قال لصاحبه. أنت عندي بمنزلة ولدي، علمنا أنّه يريد في الفضل و المحبة، و لا يجوز أن يقول: أنت عندي بمنزلة ولدي في أن / ٤٨ / أدخلك منزلي لأنّه قد يدخل منزله من لا يعرف عبده من أبيه، و هذا الكلام دالّ على قرب المنزلة و التقدم في المحبة «١».

قلنا: فقد بان خطأ تأويلكم، و ممّا يؤكّد خطأه، و يوجب ما قلنا [ه] قول النبيّ عليه السلام.

و إنّما ذكرنا من الحديث ما لا تدفعونه و لا تنكرونه لأنّه جاء مجيء السنن التي لا يمكن دفعها، فقامت حجّته ظاهرة، و بلغت صحّته و استقامته عند النظر في أسبابه [بارزة] و تلك آية الحقّ، و علامته أنّه يزداد عند النظر و التفتيش قوّة و بيانا كما يزداد الذهب عند الحمى جودة و حسنا.

فأين هذه الأحاديث التي ذكرنا [ها] من الأحاديث التي رويتم في أبي بكر و عمر فيما أوجبتم التقدّم لهما على الصديق الأكبر.

(١) و هما ملازمان عن تميّزه - أو معلولان عن تفرّده - من بين المؤمنين جميعا بخصال محمودّة و سجايا مرضية، و صفات محبوبة عند الله تبارك و تعالى، و لأجل تفرّده بتلك المكارم قرب منزلته من النبيّ و كان أحبّ الناس إليه، فقدمه الله على الجميع، و اختاره خليفة له، و كونه خليفة له ملازم لكونه مستجمعا لجميع الكمالات، و منبععا لكل الخيرات و البركات.

و نعم ما قاله الحسن البصري في كلامه الذي تقدّم آنفا: فلو كان غير النبوة شيء يفوته لاستثناه.

و نعم ما أفاده العلّامة الطباطبائي عن لسان أهل الحقّ في المنظومة السهم الناقب:

فما لهارون جميعا فهو له

و قد كفى فيه حديث المنزلة

عنه النبيّ فهو منتهاها

إلّا النبوة التي استثناه

و ليس في اتصاله خفاء

و آية العموم الاستثناء

[إبطال بعض ما اختلقه شيعة بنى أمية في شأن أبي بكر وعمر، ثم تعقيبه بذكر لمع من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام التي بثتها لسان النبوة، وأجرى الله لذكرها أقلام الجماعة]

و رويتم عن النبي عليه السلام أنه قال: «وضعت في كفة، و وضعت أمّتي في كفة فرجحت، ثم وضع أبو بكر فرجح، ثم وضع عمر فرجح و رجح».

فأوجبتم لعمر بهذا الحديث الرجحان على أبي بكر و محمد صلى الله عليه لأنه رجح مرتين؟؟! فهذا من الحديث الذي يعلم باطله عند سماعه.

و رويتم عن النبي صلى الله عليه أنه قال: «لو لم أبعث فيكم لبعث عمر».

فليس من حكم الله أن يبعث نبيا قد أشرك و كفر.

و قلتم: «لو نزل فيكم عذاب لم ينح إلا عمر» فأوجبتم له التقدم على أبي بكر و تقدّم فيه على أبي بكر و النبي عليه السلام.

و قلتم: إن النبي عليه السلام قال ذلك تصويبا لرأيه في أسرى بدر، و قد رأى عبد الله ابن رواحة مثل رأيه.

و قد رويتم في حديث آخر ما ينقض هذا مع ما فيه من وضوح الخطأ:

و رويتم أن النبي عليه السلام شبّه أبا بكر في رأيه بعيسى بن مريم و إبراهيم عليهما و كيف يأخذ العذاب من أشبه عيسى و إبراهيم عليهما السلام؟ و [كيف قلتم

و صدقتم أن] جميع الرأيين صواب؟

و رويتم عن النبي عليه السلام أنه قال: «اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب» فسبقت الدعوة لعمر!!! و هذا غير جائز كالأول لأنه في العقول مستنكر، و في حكم الله باطل، لأن من حكم الله أن لا يستنصر كافرا «١» و لا يستغفر لمشرك، لقوله: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» [٥٤ / غافر: ٤٠]. و قال: «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ» [١١٣ / التوبة: ٩].

و لا نعلم أحدا بلغ من عداوة الله و رسوله و الكفر بالله ما بلغه أبو جهل، و تلك حاله كانت إلى أن مات، فكيف يدعو له النبي عليه السلام بهذه الدعوة، و يبدأ به قبل عمر؟! و هو ممن استحق من الله اللعنة و الخذلان!!!.

أم كيف يتقدم النبي عليه السلام فيدعو لمشرك بمثل هذا الدعاء من غير أمر من الله؟ وإن كان ذلك بأمر [ه] فكيف والله يعلم أن أبا جهل ممن يزداد على طول الأيام كفرا ولا يراقب الله، ولا يتوب أبدا؟! فكيف يأمره الله بالدعاء له نصا؟ «٢» و من حكم الله أن ينصر من نصره، و يعز من أطاعه.

فهذا من الحديث الذي لا شبهة في خطائه، و أنه تقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأين هذه الأحاديث من الأحاديث التي رويت في علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في الشهرة و الدلالة، و مضيها عند النظر على الاستقامة و الصحة!!!

(١) هذا هو الظاهر، و في الأصل: «أن لا ينصر كافرا».

يقال: استنصر زيد عمروا: استمدّه و طلب نصرته. و استنصر فلانا على فلان: سأله أن ينصره عليه.

(٢) رسم خطّ هذه الكلمة لم يكن في الأصل واضحا.

ص: ٢٢٤

فأين [هذه] ممّا رويت من قوله عليه السلام: «من آذى عليّا فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله» «١» «و من فارقتني الله فقد فارق الله و من فارق عليّا فقد فارقتني» «٢».

و قوله في ذي الثدية: «يقتله خير أمّتي بعدى» «٣».

و حديث الطير: «اللهم جئني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي [من هذا الطائر] فجاء عليّ [فأكل معه]» «٤».

(١) و هذا قد رواه الحافظ الحسكاني تحت الرقم: (٧٧٥) من شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٩٣ ط ١. في تفسير قوله تعالى: «إنّ الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا و الآخرة، و أعدّ لهم عذابا أليما».

و قد رواه أيضا الحافظ الكبير ابن عساكر بطرق جمّة في الحديث: (٤٩٤) و ما يليه من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ١، ص ٤٢ ط ٢، و علّقناه عليه عن مصادر.

(٢) و له طرق كثيرة و مصادر، و قد رواه أحمد بن حنبل في الحديث: (٨٥) من باب فضائل أمير المؤمنين من كتاب الفضائل.

و رواه أيضا الطبراني في مسند عبد الله بن عمر من كتاب المعجم الكبير: ج ٣ / الورق ٢٠٦ / و رواه أيضا الحاكم في المستدرک: ج ٣ ص ١٢٣.

و رواه أيضا الحافظ ابن عساكر في الحديث: (٧٩٥) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٢٦٨.

و قد رواه أيضا ممسوخ آل عثمان الجاحظ في كتاب العثمانية ص ١٣٤، ط مصر.

(٣) و ورد بطرق كثيرة في مصادر جمّة عنه صلى الله عليه وآله وسلم في قدح الخوارج و تقريض من يقتلهم: «هم شرّ الخلق و الخليفة يقتلهم خير الخليفة...».

(٤) و الحديث متواتر و له أسانيد و مصادر كثيرة جدا، و قد أفردته جماعة من المحققين بالتأليف، و قد ذكره ابن عساكر في الحديث: (٦١٠) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ١٠٥ - ١٥٩، ب (٣٤) طريقا، و أنهيناه في تعليقه رواية عن كتب القوم إلى (٩٠) طريقا.

ص: ٢٢٥

و لو آثرنا أن نذكر جميع ما في الآثار من مناقبه و فضائله الدالة على تقديمه لطال ذلك و كثر، و إنما ذكرنا من ذلك جملا، تنبيهها لكم على خطائكم و اتباعكم أهواءكم بغير علم و لا حجة.

فإن أردتم معرفة الهدى فيما قلنا - دون ما قلتم من الرواية - فالتمسوا ذلك بالتدبر / ٦٩ / لما رويتم [في شأن عليّ] و إن التمستم معرفة ذلك بالنظر و الجواب و المسألة كان في بعض ما ذكرنا [ه] كفاية و حجة.

ص: ٢٢٦

[في أن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان قد فاق العالمين زهدا و صبرا و عبادة؛ و كان أزهدهم في الزخارف الدنيوية و أصبرهم عند الهزاهز و الشدائد و أعبدهم في ساحة المناجاة مع الله و مقام العبودية]

ثمّ ارجعوا إلى النظر في الزهد، و درجته لتعلموا أنّ عليّ بن أبي طالب قد برز على الزاهدين بزهده و صبره، و سبق العابدين بعبادته «١».

فكان ممّن يطعم الطعام على حبّ الله مسكينا و يتيما و أسيرا «٢»

(١) و روى ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة: ج ٤ ص ١١٠، ط الحديث بمصر، قال:

و روى زرارة [ابن أعين] قال: قيل لجعفر بن محمد عليه السلام: إنّ قوما هاهنا ينتقصون عليّا عليه السلام!! قال: بم ينتقصونه لا أبا لهم؟! و هل فيه موضع تقيصة؟ و الله ما عرض لعلّي أمران قطّ كلاهما لله طاعة إلّا عمل بأشدهما و أشقهما عليه.

و لقد كان يعمل العمل كأنّه قائم بين الجنة و النار ينظر إلى ثواب هؤلاء فيعمل له، و ينظر إلى عقاب هؤلاء فيعمل له.

وإن كان ليقوم إلى الصلاة، فإذا قال: «وجَّهت وجهي» تغيّر لونه حتّى يعرف ذلك في وجهه.

و لقد أعتق ألف عبد من كدّ يده، كلّهم تعرّق فيه جبينه و تحفّى فيه كفّه.

و لقد بشّر بعين نبعت في ماله مثل عنق الجزور فقال: بشّر الوارث بشّر. ثمّ جعلها صدقة على الفقراء و المساكين و ابن السبيل إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ليصرف الله النار عن وجهه، و يصرف وجهه عن النار.

أقول: و للحديث شواهد جمّة ذكرناها في شرح المختار: (٦٣) من باب الوصايا من كتاب نهج السعادة: ج ٨ ص ٤٤٥ و ما بعدها.

و له أيضا شواهد آخر تجدها في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٠١

(٢) و انظر الأحاديث الواردة في تفسير سورة: «هل أتى» من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٢٩٩ و ما يليها.

ص: ٢٢٧

و كان من المؤثرين على أنفسهم و إن كانت بهم خصاصة «١».

و كان من الكاظمين الغيظ، و العافين عن الناس.

و كان من الصابرين على البأساء و الضراء.

و كان ممّن قسم بالسويّة، و عدل في الرعيّة، و لم يرزأ شيئا من مال الله «٢» و لم تدع

(١) و انظر ما رواه الحافظ الحسكاني في تفسير الآية (٩) من سورة الصف من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٢٤٦ ط ١.

(٢) لم يرزأ - على وزن يحسب -: لم يصب و لم يؤثر لنفسه شيئا منه.

و هذا الأمر مما تسالم عليه أولياؤه و أعداؤه معا و لم يجد أعداؤه سبيلا إلى إنكاره مع شدّة حرصهم على تشويه ساحته و علوّ مقامه بالأخذ بالشبهات و التعلّق بالمعضلات.

و قد عرفه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بهذا قبل أن يكون له ولاية على مال أو كفالة على ثروة أو غنيمة و أنفال، كما عرفه صلى الله عليه و آله و سلم بكثير من مكارم أخلاقه..

و قد رواه أبو نعيم في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من حلية الأولياء: ج ١، ص ٧١، قال:

حدثنا أبو الفرج أحمد بن جعفر النسائي، حدثنا محمد بن جرير، حدثنا عبد الأعلى بن واصل، حدثنا مخول بن إبراهيم، حدثنا عليّ بن حزور، عن الأصبغ بن نباتة، قال: سمعت عمّار بن ياسر يقول:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عليّ إنّ الله تعالى قد زينك بزينة لم تزين العباد بزينة أحبّ إلى الله تعالى منها، وهي زينة الأبرار عند الله عزّ وجلّ [وهي] الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأ من الدنيا شيئا، ولا ترزأ الدنيا منك شيئا ...

و رواه أيضا ابن عساكر في الحديث: (٧١٣-٧١٤) من ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٢١٢ ط ١، و علّقناه عليه أيضا عن مصادر.

و رواه أيضا الحافظ الحسكاني في الحديث: (٥٤٨ و ٥٤٩) من كتاب شواهد التنزيل: ج ١، ص ٣٩٥ و رواه أيضا الطبراني في كتاب الأوسط .. كما رواه عنه في مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٣٢.

و رواه المتقي الهندي نقلا عن الطبراني و الخطيب و الحاكم. في كنز العمال: ج ٦ ص ١٥٨-١٥٩، ط ١.

ص:٢٢٨

عليه زلّة، و لا تهمة و لا تكبر و لا حميّة، و فيه نزلت: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» [٥٥/ المائدة: ٥] تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كنت مولا فاعلى مولا» إذ قرن الله ولايته بولاية رسوله. «١»

و فيه نزلت: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا؟ لَا يَسْتَوُونَ، أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ» [٢٠/ السجدة: ٣٢].

و كان إذا اجتمع عنده مال من مال المسلمين [أنفقه عليهم ثم] قال:

هذا جنای و خياره فيه و كلّ جان يده إلى فيه

(١) بنحو الإطلاق بلا قيد و شرط فهو المعصوم في أقواله و أفعاله فيجب متابعتة بنحو الإطلاق و لا يجوز مخالفته و التقاعد عنه كما لا يجوز التخلف عن الله و رسوله، فهو الإمام المتّبع و القائد المطاع.

ص:٢٢٩

[ذكر أعمدة من شوامخ علوّه و عظمته و كظمه الغيظ و صبره]

و بلغ من كظمه الغيظ ما رأيتم من صبره على الخليفين، و ما كان من مشاركته لهم في الأمر، و موازرتهم على الرأي [حينما كانا يراجعان إليه عند ضيق خناقهم و عجزهم عن تدبير ما ابتليا به].

و قد علمتم أنّهما لم يشاوراه في عقد الخلافة، و لم يقطعاه قطيعة، و لا وليّاه ولاية.

فقد تعلمون ما ظهر من حرص قوم على الولاية، و ما كان [برز لهم] من الرغبة الشاملة «١» [و إنما أذكركم بهذه الحقائق] لتعلموا أن عليّ بن أبي طالب لم يكن غضبه و لا رضاه إلّا لله تعالى، يغضب إذا عصى ربّه، و يرضى إذا أطيع الله، و يسلم ما دامت له الإلفة، و يعين على اجتماع الكلمة، و يكظم ما سوى ذلك ممّا يناله فى نفسه خاصّة، دون الدين.

فقد نازعت زوجته [أبا بكر و عمر] فى فذك، و شهد عليّ [على] دعواها فلم

(١) حيث تركوا تجهيز رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و دبّوا و درجوا إلى سقيفة بنى ساعدة و أبرموا ما سوّلت لهم أنفسهم، و لم يحضروا دفن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

ثمّ اقتدى بهم طلحة و الزبير، ثمّ معاوية و جميع من أتى بعده من ظلمة بنى أميّة و بنى العباس.

ص: ٢٣٠

يفد ذلك [فى استرجاع فذك إليها] فصبر على مرّ الحقّ «١» عند ما ظهر [من أبى بكر و عمر] من [الحرص البالغ و العزم القاطع على] الحكم [عليها] ثمّ ولى الأمر فأمضى ذلك على ما لم يزل «٢».

(١) عفى الله عنك يا أبا جعفر، كيف ركنت إلى خرافة الحشويّة و اتباع خرافات و مختلقات معاوية، و رضيت لنفسك ما تزد به الحشوية؟ أليس من الواضحات الأولى أنّ منعهم فاطمة الزهراء صلوات الله عليها كان من أفحش الظلم، و كان أساس كلّ مرارة و ظلامّة ابتلى بها الأمّة الإسلامية.

يا سبحان الله كيف يكون حقّا ما تدعى فاطمة بنت رسول الله التى أذهب الله عنها الرجس - خلافة؟؟؟؟!! يا سبحان الله كيف يكون حقّا ما يؤذى بضعة المصطفى التى قال أبوها فى حقّها: يؤذيني ما يؤذيها، و يؤلمنى ما يؤلمها، و يسخطنى ما يسخطها، و يرضينى ما يرضيها.

يا سبحان الله!!! العمل الذى يوجب غضب بضعة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و تهجّر القوم بسببه تبرما منهم و إنكارا عليهم كيف يمكن أن يحمل على الحقّ؟! فإن كان هذا العمل حقّا فلا بدّ أن يكون غضب الزهراء باطلا، و أن يكون غضب رسول الله و أذاه من جهة غضب ابنته و أذيتها باطلا، و هذا هو الرّدّ على رسول الله - و على كونه متّبعا للحقّ - الذى كان يخوّف أبو جعفر النواصب بأنّه موجب للكفر!!! يا سبحان الله! كيف يكون صنيعهم حقّا و قضاؤهم قسطا، و محور الحقّ علىّ بن أبى طالب يشهد لبنت رسول الله خلافا لحكمهم و قضائهم؟! أ يكون حكمهم حقّا و باب مدينة علم النّبى على خلافتهم!!!؟

أ يكون قضاؤهم فى أخذ فذك قسطا، و عدل القرآن و الحقّ علىّ بن أبى طالب الذى يدور مع القرآن و الحقّ و هما معا يدوران معه، يكون على ضدّهم و خلافتهم؟؟؟؟!! كيف يكون أخذهم فذك حقّا و صوت الحقّ علىّ بن أبى طالب عليه السلام قد ملأ الدنيا صراخا و صياحا و شكايّة و تظلمّا بقوله: بلى كانت فى أيدينا فذك من كلّ ما أظلمت السماء، فشحت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس آخرين!! و نعم الحكم الله، و ما أصنع بفذك و غير فذك؟! ..

(٢) عفى الله عنك يا أبا جعفر لم تكن بليداً ولا كليل اللسان عن التعبير بالواقع، ما هذا التسامح في البيان، و عدم العناية للتعبير عن الواقع على ما هو عليه؟ هل يمكن إمضاء الظلم؟ هل تعهد من أولياء الله في آن من آتات الدنيا أنّهم جوزوا الظلم؟! أو تصديق الظالمين و مجاراتهم إيّاهم في جورهم و عتوهم و طغيانهم؟!!!

ص: ٢٣١

معاذ الله أن ينسب إلى خليفة النبيّ و وصيّهِ أن يمضى ظلم الظالمين أو يوقّع أو يصدّق جور الجائرين، و هو نصب للردع عن الظلم، و تشويه أعمال الظالمين، و تقبيح صنيعهم، و تحذير العالمين عن اتباع خطواتهم.

نعم، سكت عليه السلام عن التعرّض لاستردادها و لم يسترجعها لما كان تمركز في داخله المسلمين من الاختلالات الفادحة و الانحرافات الشاسعة، و أراد أن يتدرّج في إصلاح الاختلالات حتى لا يتّسع الفتق عليه و على المسلمين.

و كيف يمكن أن يكون عدم استرداده لفدك في أيّام خلافته دالّاً على إمضائه عمل القوم مع أنّه عليه السلام يشكوهم إلى الله و يقول: و نعم الحكم الله، و ما أصنع بفدك؟ ...

و يقول: اللهمّ إنّي أستعديك على قريش فإنّهم قد قطعوا رحمى و أكفّوا إنائي و أجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به من غيري ... فراجع تمام كلامه في المختار: (٢٥ و ٢١٥) من نهج البلاغة و كيف يمكن أن يتمسك أحد بعدم استرداد عليّ عليه السلام الفدك إلى أهل البيت. و يتفوّه بأنّ هذا إمضاء منه عليه السلام لعمل القوم؟ مع ما يلزمه من انحراف قريش عن عليّ عليه السلام و تقليبهم الأمور عليه، و إجماعهم على خلافه؟! و كيف يدلّ عدم استرجاعه فدكا على توقيعه لعمل القوم؟ و هو القائل: لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيرت أشياء. كما في المختار: (٢٧٥) من الباب الثالث من نهج البلاغة و غيره.

و كيف يصحّ الاستدلال بعدم تغييره عليه السلام قضاء القوم و سننهم على إمضائه لسننهم؟ مع ما صحّ و ثبت عنه عليه السلام أنّه أجاب القضاة في أيّام خلافته و قال لهم: اقضوا على ما كنتم تقضون حتى يكون للناس اجتماع.

ص: ٢٣٢

[ذكر صفحة من صفحات صبره، و تحمّله عن حاسديه و معانديه و عدم تعرّضه لهم].

و بلغ من صبره أنّه قعد عن خلافته قوم فلم يحبسهم و لم يكرههم، و تكلموا فلم يعاقبهم، و ولّاهم ما تولّوا و لم يفعل بهم كما فعل من ذكرتم بسعد بن عباد «١» و كما رويتهم من نفى عثمان بن عفّان لأبى ذرّ إلى الربرة، و ما فعل بعمّار و ابن مسعود و غيرهم.

(١) روى ابن عبد ربّه تحت الرقم الثالث من كتاب العسجدة الثانية من العقد الفريد: ج ٣ ص ٦٣ ط ٢، و في ط ٢: ج ٥ ص ١٣، قال:

الذين تخلّفوا عن بيعة أبى بكر [هم]: علىّ و العباس و الزبير و سعد بن عبادة.

فأمّا علىّ و العباس و الزبير فقعّدوا فى بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة، و قال له: إن أبوا فقاتلهم!!!.

فأقبل [عمر إلى بيت فاطمة] بقبس من نار على أن يضرهم عليهم الدار!!! فلقيته فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب أ جئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة!!! ...

و ساق الكلام إلى أن قال:

و أمّا سعد بن عبادة فإنّه رحل إلى الشام. قال أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي: بعث عمر رجلا إلى الشام فقال [له]: ادعه إلى البيعة و احمل له بكل ما قدرت عليه، فإن أبى فاستعن الله عليه.

فقدم الرجل الشام، فلقيه بحوران فى حائط فدعاه إلى البيعة، فقال [سعد]: لا أبايع قرشياً أبداً.

قال: فإننى أقاتلك. قال: و إن قاتلتنى. قال: أ فخرج أنت مما دخلت فيه الأمة؟ قال: أمّا من البيعة فأنا خارج. فرماه بسهم فقتله.

و أيضاً قال ابن عبد ربّه فى العقد الفريد: [و عن] ميمون بن مهران، عن أبيه قال: رمى سعد بن عبادة

ص: ٢٣٣

فى حمّام بالشام فقتل.

[و عن] سعيد بن أبى عروبة، عن ابن سيرين قال: رمى سعد بن عبادة بسهم فوجد دفينا فى جسده فمات فبكته الجنّ فقالت:

سعد بن عبادة

و قتلنا سيّد الخزرج

فلم تخط فؤاده

و رميناه بسهمين

و قال ابن أبى الحديد فى شرح المختار: (٦٢) من الباب: (٢) من نهج البلاغة: ج ١٧، ص ٢٢٣:

الطعن الثالث عشر على أبى بكر؛ قولهم: إنّهُ كتب إلى خالد بن الوليد و هو على الشام يأمره أن يقتل سعد بن عبادة، فكمن له [خالد] هو و آخر [كان] معه ليلاً، فلمّا مرّ بهما [سعد] رمياه فقتلاه!!.

و هتف صاحب خالد فى ظلام الليل - بعد أن ألقيا سعدا فى بئر هناك فيها ماء - ببيتين:

نحن قتلنا سيّد الخزرج

سعد بن عبادة

و رميناه بسهمين

فلم تخط فؤاده

يوهم أنّ ذلك شعر الجنّ، وأنّ الجنّ قتلت سعدا. فلمّا أصبح الناس فقدوا سعدا، و قد سمع قوم منهم ذلك الهاتف فطلبوه فوجدوه بعد ثلاثة أيّام في تلك البئر و قد اخضرّ فقالوا: هذا ميسيس الجنّ.

و قال مؤمن الطاق لسائل سأله: ما منع عليّا أن يخاصم أبا بكر في الخلافة؟ فقال: يا ابن أخي خاف أن تقتله الجنّ!!! ثمّ قال ابن أبي الحديد: الجواب: أمّا أنا فلا أعتقد أنّ الجنّ قتلت سعدا، و لا أنّ هذا شعر الجنّ، و لا أرتاب أنّ البشر قتله، و ان هذا الشعر شعر البشر، و لكن لم يثبت عندى أنّ أبا بكر أمر خالدًا [بقتل سعد] و لا أستبعد أن يكون [خالد] فعله من تلقاء نفسه ليرضى بذلك أبا بكر - و حاشاه - فيكون الإثم على خالد، و أبو بكر برىء من إثمه، و ما ذلك من أفعال خالد ببعيد.

أقول: و قريبا ممّا نقلناه أوّلا عن ابن عبد ربّه رواه أيضا البلاذرى في آخر ترجمة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قبل ذكر مرآته من كتاب أنساب الأشراف من النسخة المخطوطة: ج ١/ الورق ١٤١/ عن المدائني، عن ابن جعدبة، عن صالح بن كيسان. و عن أبي مخنف، عن الكلبي و غيرهما.

ص: ٢٣٤

[ذكر نبذة من عوالم عفوه و غفرانه، و غضّه عمّن أساء إليه و ظلّمه].

و بلغ من عفوه أنّه يوم الحكمين كان في يده أسرى من أهل الشام فخلّى سبيلهم.

و منوعة الماء و لم يمنعهم.

و نادى يوم الجمل عند الطعن: أن لا تقحموا منازلهم، و لا تغنموا أموالهم، و لا تتبعوا المولى منهم «١».

(١) و كل ذلك من سيرته الميمونة من مقطوعات علم التاريخ، و قلّمّا يوجد تاريخ يتعرّض لأيّام أمير المؤمنين و سيرته و يكون خاليا عن ذكر هذه المكارم و المحاسن المخصوصة به عليه السلام.

و روى أنّه عليه السلام كان جالسا في أصحابه فقال له رجل من الخوارج: قاتله الله كافرا ما أفقهه!! فوثب أصحابه ليقتلوه فقال [لهم]: رويدا إمّا سبّ بسبّ أو عفو عن ذنب.

كما رواه السيّد الرضى في المختار: (٤٢٠) من باب القصار من نهج البلاغة.

و روى ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة: ج ٤ ص ١٠٩، طبع الحديث بمصر، قال:

و روى زرارة بن أعين عن أبيه، عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السلام قال: كان عليّ عليه السلام إذا صَلَّى الفجر لم يزل معقبًا إلى أن تطلع الشمس فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلمهم الفقه والقرآن. وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك؛ فقام يوما فمرّ برجل، فرماه [الرجل] بكلمة هجر - قال: [و] لم يسمّه محمد بن عليّ عليه السلام - فرجع عوده إلى بدئه حتى صعد المنبر وأمر فنودي الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه و صَلَّى على نبيّه ثم قال:

أيّها الناس إنّه لا شيء أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعًا من حلم إمام وفقيه؛ ولا شيء أبغض إلى الله ولا أعمّ ضررًا من جهل إمام وخرقه، ألا وإنّه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله حافظ؛ ألا وإنّه من أنصف من نفسه لم يزد الله إلّا غزًا، ألا وإنّ الدّلّ في طاعة الله أقرب إلى الله من التعزّز في معصيته. ثم قال:

أين المتكلّم أنفا؟ فلم يستطع الإنكار فقال: ها أنا ذا يا أمير المؤمنين. فقال: أما إنّي لو أشاء لقلت. فقال:

ان تعف و تصفح فأنت أهل ذلك. قال: عفوت و صفحت

ص: ٢٣٥

[ذكر أشعة من أنوار إفضاله على المعدمين، وإيثاره إيّاهم على نفسه و أهل بيته الطاهرين].

و بلغ من تفضله وإيثاره على نفسه، أنّ عمر سألّه سهمه من الفء - و هو سهم ذى القربى - ليعود به على المسلمين فجادلهم به تفضلاً و كرماً «١».

(١) و للقصة مصادر و شواهد، و قد ذكرها البيهقي في باب سهم ذى القربى من كتاب قسم الفء و الغنيمة من السنن الكبرى: ج ٦ ص ٣٤٣ قال:

أخبرنا أبو زكريّا ابن أبي إسحاق المزكى، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أنبأنا الربيع، أنبأنا الشافعي، أنبأنا إبراهيم، عن مطر الوراق و رجل لم يسمّه كلاهما عن الحكم بن عتيبة، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال:

لقيت عليّا عند أحجار الزيت فقلت له: بأبي و أمّي ما فعل أبو بكر و عمر في حقّكم أهل البيت من الخمس؟ فقال عليّ: أمّا أبو بكر فلم يكن في زمانه أخماس و ما كان فقد أوفاه.

و أمّا عمر فلم يزل يعطيناه حتى جاءه مال السوس و الأهواز - أو قال: الأهواز أو قال: فارس.

قال الشافعي: أنا أشك، فقال في حديث مطر أو حديث آخر - فقال: في المسلمين خلة فإن أحببتم تركتم حقّكم فجعلناه في خلة المسلمين حتّى يأتينا مال فأوفيكم حقّكم منه؟ فقال العباس لعلّي: لا تطمعه في حقّنا. فقلت له: يا أبا الفضل ألسنا أحقّ من أجاب أمير المؤمنين و رفع خلة المسلمين؟ فتوفى عمر قبل أن يأتيه مال فيقضيناه.

و قال الحكم فى حديث مطر، و الآخر: إنَّ عمر قال: لكم حقّ و لا يبلغ علمى إذا كثر أن يكون لكم كله، فإن شئتم أعطيتكم منه بقدر ما أرى لكم؟! فأبينا عليه إلّا كله، فأبى أن يعطينا كلّهُ.

قال الشافعى - فيما لم أسمعهُ من أبى زكريا -: و قد روى الزهرى عن ابن عباس، عن عمر قريبا من هذا المعنى، و ذكره فى القديم من حديث يونس عن الزهرى.

أقول: و قريبا منه جدّا رواه قبله مع شواهد آخر بأسانيد آخر.

ص: ٢٣٦

و ممّا يحقّق ذلك ما يؤثّر عنه من حديث المقداد: ذكرُوا أنَّ عليّا قال يوما لفاطمة:

هل عندك شىء تطعمينى؟ قالت: لا و الله يا أبا الحسن ما عندنا منذ ثلاث، شىء إلّا شىء أوثرك به على نفسى و على ابنتى! قال لها: فهلّا أعلمتيني؟ قالت: إننى لأستحيى من ربّى أن أكلفك ما لا تقدر عليه!!

و أمّا ما ذكره فى صدر هذا الحديث: من أن أبا بكر لم يكن فى زمانه أخماس و ما كان فقد أوفاناه.

فهو معارض بما ذكره البيهقى فى أوائل هذا الباب ص ٣٤٢ من أن أبا بكر كان يقسّم الخمس غير أنّه لم يكن يعطى قريبا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، ما كان النبىّ يعطيهم منه.

و مثله رواه أحمد بسند صحيح، كما رواه عنه الهيثمى فى باب قسم الغنيمة من مجمع الزوائد: ج ٥ ص ٣٤١.

و أيضا يدلّ على خلاف هذا الصدر دلالة قطعية ما هو من ضروريات التاريخ من أن أبا بكر و صاحبه قطعاً فذك عن ابنة رسول الله و غصباها منها.

و الحديث رواه أيضا الحافظ الحسكانى تحت الرقم: (٢٩٤) من شواهد التنزيل: ج ١، ص ٢١٩ و قال: رواه جماعة عن هاشم و هكذا رواه البخارى فى ترجمة الحسين بن ميمون الخندقى تحت الرقم: (٢٨٦٠) من التاريخ الكبير:

ج ١، ق ٢ ص ٣٨٥، و لكن جرى على منهاجه الانحرافى فأسقط ذيل الحديث بلا نصب قرينة، و لكن لم يناقش فى سند الحديث.

و لذيل الحديث أيضا شواهد كثيرة جدّا و قد ذكر ثلاثة منها البيهقى بعد الرواية المتقدمة، كما تجد أيضا شواهد آخر فى الموضع المذكور من شواهد التنزيل و تعليقه، و كذلك فى أوّل كتاب قسم الفىء من المستدرک:

ج ٢ ص ١٢٨.

و رواه أيضا عبد الرزاق فى باب ذكر الخمس و سهم ذى القربى من كتاب الجهاد تحت الرقم: (٩٤٨٠) من المصنّف: ج ٥ ص ٢٣٨:

عن معمر عن الزهري: أن ابن عباس سئل عن سهم ذي القربى؟ [ف] قال: كان لنا فمنعناه قومنا!!! فدعانا عمر فقال: ينكح فيه أيامكم و يعطى فيه غارمكم. فأبينا [عليه] فأبى [علينا] عمر.

و رواه أيضا أحمد بن حنبل في مسند عبد الله بن عباس تحت الرقم: (١٩٦٧ و ٢٢٣٥ و ٢٨١٢ و ٢٩٤٣ و ٣٢٩٩ في: ج ١ ص ٢٢٤ و ٢٩٦ و ٣٠٨ و ٣٢٠ ط ١، و هذا نصّ الحديث: (٢٩٤٣) في ص ٣٢٠ ط ١، و في ط ٢ ج ٢ ص ٣٣٨ قال: حدثنا عثمان بن عمر، حدثني يونس عن الزهري، عن يزيد بن هرمز: أن نجدة الحروري حين خرج من فتنة ابن الزبير أرسل إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى لمن تراه؟ قال: هو لنا لقربى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم و قد كان عمر عرض علينا شيئا رأيناه دون حقنا فرددناه عليه و أبينا أن نقبله و كان الذي عرض عليهم أن يعين ناكحهم و أن يقضى عن غارمهم، و أن يعطى فقيرهم، و أبى أن يزيدهم على ذلك.

ص: ٢٣٧

فخرج [على] من عندها فتحمل دينارا أخذه قرضا فتلقاه المقداد نصف النهار، و قد وضع المقداد كمه على رأسه من شدة الحر، فقال له على: ما أخرجك في هذه الحال و أراك كالحيران؟ قال: خلّني و لا تسألني. قال: لتخبرني. قال: خلّني يا أبا الحسن و لا تكشفني. قال: يا أخى إنّه لا يسعني أن أخليك، و لا يسعك أن تكتمني. قال: ٧٠ / خرجت من منزلي هاربا على وجهي و ذلك لأنني رأيت صبياني ينضاغون جوعا «١» فلم يقو على ذلك صبرى.

فأخرج على الدينار فدفعه إليه، ثم قال: ما أخرجني إلّا ما أخرجك. ثم مضى على إلى المسجد.

فلما فرغ رسول الله عليه السلام من صلاة المغرب خرج من المسجد، و ركض عليّا برجله و أتبعه على فوقف على باب المسجد، فلما لحقه قال له النبيّ عليه السلام: هل عندك عشاء؟ قال على: فكرهت أن أقول نعم. و قد علمت أنّي لم أخلف في منزلي شيئا، و استحيت أن أقول: لا. فقال لى: إمّا [أن] تقول: نعم، فتمضى معك، و إمّا أن تقول: لا فندعك. قال: فقلت: نمضى يا رسول الله. فمضى هو و علىّ إلى منزل فاطمة، فلما دخل قال النبيّ عليه السلام: هاتى ما عندك يا فاطمة. قال: فأخرجت إليه مائدة عليها طعام طيب لم أر أحسن منه لونا، و لا أطيب ريحا. فنظر إليها علىّ نظرا و أحدّ النظر، فقالت: ما أشدّ نظرك يا أبا الحسن. قال: و كيف لا يكون كذلك و قد زعمت أنّه لا شيء عندك. فقالت: و الله ما كذبتك. فقال له النبيّ عليه السلام:

هذا رزق من الله بدل دينارك، الحمد لله الذى جعلك مثلاً لذكرك عليه السلام، و جعلها مثلاً لمريم: «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ: يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا؟ قَالَتْ: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» [٣٧/ آل عمران: «٢»].

(١) أى يبيكون من الجوع، و يتصوّرون و يتلوون ظهرا لبطن.

(٢) و هذا الحديث ذكره ابن شاهين فى رسالته التى جمعها فى فضائل الزهراء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله

ص: ٢٣٨

و بلغ من صبره ما إن كان الجوع إذا اشتدَّ به و أجهده خرج حتَّى يؤجّر نفسه فى سقى الماء بكفّ تمر لا يسدّ جوعته و لا خلّته، فإذا أعطى أجرته لم يستبدّه به وحده حتى يأتى به رسول الله صلى الله عليه و سلم، و به من الجوع مثل ما به، فيشتركان جميعا فى أكله «١».

فأين مثل هذه إلّا له؟ [ظ] قيمة قميصه ثلاثة دراهم، و نفقته فى كفّه!! و لقد أخرج يوما سيفه فقال: من يشتري هذا منى، فلو كان عندى ثمن إزار ما بعته «٢».

و على ألهما، و قد كتبتهما بخط يدى، و لكن لم تكن تحضرني حينما حقّقت هذا الكتاب.

و قد رواه أيضا عنه الحافظ ابن شهر اشوب.

و رواه أيضا عن ابن شيرويه فى مناقب آل أبى طالب: ج ١، ص ...

و رواه عنه فى الباب: (١٠٢) من كتاب بحار الأنوار: ج ٩ ص ٥١٥ ط ١ و قد رواه أيضا ابن عساكر فى كتاب الأربعين الطوال. كما رواه عنه المحب الطبرى فى ذخائر العقبى ص ٤٥ و عنه رواه فى فضائل الخمسة: ج ٢ ص ١٢٤.

(١) و بهذا السياق رواه أحمد بن حنبل فى مسند علىّ عليه السلام تحت الرقم: (١١٣٥) من كتاب المسند:

ج ١، ص ١٣٥، ط ١، و فى ط ٢: ج ٢ ص ٢٦٢.

و رواه أيضا فى مسنده عليه السلام تحت الرقم: (٦٨٧) من كتاب المسند: ج ١، ص ٩٠ ط ١، و فى ط ٢: ج ٢ ص ٨٢ و لكن باختصار.

كما رواه أحمد محمد شاکر فى هامش الحديث: (١١٣٥) منه نقلا عن مجمع الزوائد: ج ٤١ ص ٩٧ و قال: و نسبه أيضا لابن ماجة باختصار أقول: و رواه على وجه آخر و بسند آخر فى الحديث: (٢٢٩) من المطبوع من كتاب الموقّيات ص ٣٧٣ ط بغداد.

كما رواه أيضا ابن أبى الدنيا فى الحديث: (١٦) من كتاب الجوع/ الورق ٢/ ب/.

و رواه أيضا ابن عساكر فى الحديث: (٩٦٦) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق:

ج ٢ ص ٤٤٩ ط ١، على وجه آخر و بسند آخر.

و رواه فى منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ٥٦، عن أحمد و الدورقى و ابن مبيع و عن حلية الأولياء.

(٢) و رواه أيضا ابن عساكر فى الحديث: (١٢٣٥) و ما بعده من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ١٨٩، ط ١، و انظر ما قبلهما و ما بعدهما و ما علّقناه عليهما فإنها تغنيك عن غيرها.

و رواه عنه و عن يعقوب بن سفيان و أوسط الطبراني و حلية الأولياء في باب: «سيرته و فقره و تواضعه» من منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند أحمد: ج ٥ ص ٥٦ ط ١.

ص: ٢٣٩

فهل ترون أحدا من الصحابة بلغ هذه المنزلة؟

و لما فرغ من حرب الجمل دعا بالعرفاء، فقالوا: قتلتهم؟ و دعا بالوكلاء فقالوا:

قتلتهم؟ فقال: بالله تخوفوني؟ هذا قميصي من نسج أهلي، و هذه نفقتي في كمي، و الله إن خرجت بغير ما دخلت إنني إذا لمن الظالمين «٣»

(٣) و قريبا منه رويناه عن مصدر آخر في المختار: (١٢٧) من نهج السعادة ج ١، ص ٤١٣ ط بيروت.

ص: ٢٤٠

[ثواب شواهد زهده و تواضعه و كلامه عليه السلام في نعت الكمّلين من الشيعة و أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و بيان ماليّة ما خلفه من ثيابه].

و يروى أن قوما تذكروا أزهد أصحاب النبي عليه السلام عند عمر بن عبد العزيز فقال قوم: عمر. و قال قوم: أبا ذر. فقال عمر بن عبد العزيز: [أزهد الناس] عليّ بن أبي طالب «١».

و كيف لا يكون كذلك، و قد قام فيهم يوما خطيبا فقال: ما رزأت من أموالكم شيئا إلّا هذه القارورة أهداها إليّ دهقان «٢».

و كان يجمع [الفقراء] فيعطيه الطعام و يجعلهم الرفقاء، فإذا أخذوا أمكنتهم جاء إلى رفقة منها فقال: هل أنتم موسعون؟ فيقولون: نعم. فيجلس فيأكل معهم «٣».

(١) قال ابن أبي الدنيا في الحديث: (٩٦) و تاليه من مقتل أمير المؤمنين عليه السلام / الورق ١٤ / ب:

أنبأنا أحمد بن حاتم الطويل، أنبأنا محمد بن الحجاج، عن مجالد، عن الشعبي:

عن قبيصة بن جابر، قال: ما رأيت في الدنيا أزهد من عليّ بن أبي طالب.

[و قال مجالد أيضا: أنبأنا عليّ بن الجعد، قال: سمعت الحسن بن [صالح بن] حيّ قال:

تذكروا زهاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه عند عمر بن عبد العزيز فقال بعضهم عمر. و قال بعضهم:

فلان. فقال عمر بن عبد العزيز علىّ عليه السلام.

و الثاني رواه أيضا في الحديث: (٣٥٥) من كتاب ذم الدنيا / الورق ٤٣ / أ.

و رواه ابن عساكر بسنده عن يحيى بن معين، عن علىّ بن الجعد... في الحديث: (١٢٥٤) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ٢٠٢ ط ١.

و راجع أيضا الأحاديث التي رواها قبله فإنها تريك زهد علىّ عليه السلام ملموسا و انه لا زاهد غيره.

(٢) و هذا رويناه عن مصادر كثيرة في المختار: (١٢٦) من نهج السعادة: ج ١، ص ٤١١، ط ١.

و رواه أيضا ابن عساكر في الحديث: (١٢٢٧) و ما حوله من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق ج ٣ ص ١٨١، كما رواه أيضا ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة ج ٢ ص ١٩٨.

(٣) و انظر الحديث: (١٢٢) و ما حوله في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٣٦، ط ١.

ص: ٢٤١

فمن بلغ هذه المنزلة؟ في تواضعه و زهده، يخدمهم بنفسه، و يقدمهم قبله، و يكون دونهم في منازلهم.

و كان ربّما حضرت الصلاة، و قد غسل قميصه، فلا يكون عنده غيره فيلبسه قبل أن يجفّ، فيجفّفه و هو يخطب «١».

فمن بلغ هذه المنزلة في لباسه؟

و ذكروا أنّه كرّم الله وجهه خرج يوما، فإذا قوم جلوس فقال: من أنتم؟ فقالوا:

نحن شيعتك يا أمير المؤمنين. فقال: سبحان الله فما لى لا أرى عليكم سيماء الشيعة؟

قالوا: يا أمير المؤمنين و ما سيماء الشيعة؟ قال: عمش العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين «٢».

و ذكروا أنّه صلى يوما صلاة الفجر / ٧١ / فلما سلّم انفتل عن يمينه، ثمّ مكث ساعة كان عليه الكآبة، ثمّ قلب يده، ثمّ قال «٣»:

و الله لقد رأيت أصحاب محمد عليه السلام، فما أرى اليوم إنسانا يشبههم؛ لقد رأيتهم يصبحون صفرا شعنا غربا بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجّدا و قياما، يتلون كتاب ربّهم، يراوحون بين جباههم و أقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله جلّ ثناؤه مادوا كما يمدد الشجر في يوم الريح، و هملت أعينهم حتّى تبلّ ثيابهم.

(١) و رواه أيضا ابن أبي الحديد.

(٢) و رويناه أيضا في المختار: (١٠٨) من القسم الثاني من باب الخطب من نهج السعادة: ج ٣ ص ٤١٢ عن مصادر آخر.

(٣) و هذا الكلام له مصادر كثيرة.

و رواه أيضا السيد الرضى رحمه الله في ذيل المختار. (٥٠) من نهج البلاغة.

كما رويناه أيضا في المختار: (٣٤٤) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٦٣٦.

ص: ٢٤٢

و الله لكأنّ القوم باتوا غافلين. ثمّ نهض.

[و إنما ذكرنا من سيرته الميمونة أشعّات، و من كلامه الجاذب بأعناق العباد إلى الله قبسات] لتعلموا أن بالاعتبار و الفكرة نال هذه المنازل الرفيعة، و أنّه يزداد على طول الأيام جدّا و تسميرا لا يقصّر و لا يتوانى.

و كان رضى الله عنه إذا أتى بغلّة ماله من ينبع اشترى الزيت و العجوة و اللحم، فيتخذ لنفسه ثريدا يأتممه «١» و يطعم الناس اللحم [و] ذلك معروف منه أيام كان بالكوفة.

و ذكروا أنّهم قوموا ما خلف من الثياب فبلغ ثمنها تسعة دراهم.

(١) لعلّ هذا هو الصواب، و فى أصلى: «ثريدا يرم ...».

ص: ٢٤٣

[عبادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة العلاء بن زياد الحارثي و كلامه معه و مع أخيه عاصم بن زياد].

و ذكروا أنّه لما قدم البصرة دخل على العلاء بن زياد الحارثي يعودّه «١» فلمّا رأى سعة داره قال: ما كنت تصنع بسعة هذا الدار فى الدنيا [و] أنت إليها فى الآخرة أحوج؟

و بلى إن شئت بلغت بها الآخرة تقرى فيها الضيف، و تصل فيها الرحم، و تؤدّى فيها الحقوق، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة.

قال [العلاء] يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخى عاصم بن زياد.

قال: و ما له؟ قال: لبس العبا و تخلّى عن الدنيا. قال: علىّ به. فأتى به، فقال [له]: يا عدوّ نفسه أ ما رحمت أهلك و ولدك؟ أ ترى الله أحلّ لك الطيّبات، و هو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك.

قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك، و جشوبة مأكلك؟

قال: ويحك! إنني لست كأنت، إنّ الله فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره «٢».

(١) و مثله في المختار: (٢٠٧) من نهج البلاغة؛ و الصواب: «الربيع بن زياد الحارثي» كما في المختار:

(١١٤) من نهج السعادة: ج ١، ص ٣٤١ ط ١.

(٢) أيّ كيلا يهيج بالفقير فقره و لا يغلبه، يقال: «باغ بفلان الدم - على زنة باع - و تبّيغ به»: هاج. و «تبوّغ به الدم تبوّغا»: هاج. و باغه بوغا: غلبه.

ص: ٢٤٤

فتفهّموا عباد الله و تدبّروا ما ذكرنا [ه] من أمور الطاهر الزكيّ العدل الرضيّ، سيّد المؤمنين، و راحم المساكين، و قوّة المستضعفين، و شريك الفقراء، و أمين الضعفاء، و جابر الكسير، و مغني اليتيم، و المساوي بعدله بين القريب و البعيد، [و هو] تعب نصب في جنب الله أيام حياته، منقطع القرين في زمانه، في كلّ مذكور من فضائله، هو كالأب الرحيم بمن و ليه، يغذوهم صغاراً، و يعدل عليهم كباراً، و يوردهم المناهل العذبة، يكلّوهم بعينه، و يقدّمهم على نفسه في أيام حياته،

ص: ٢٤٥

[وصيّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند إشرافه على الخلاص من دار التعب و العناء و لحوقه بالملاّ الأعلى]

«١».

فلما احتضر و أيقن بمفارقة الدنيا، و القدوم على ربّه، جمع ولده و أهله ثمّ أقبل على الحسن ابنه فقال:

يا بنيّ أنت أولى بالأمر و أولى بالدم بعدى، فإن عفوت فلك، و إن قتلت، فضربة مكان ضربة و لا تمثّل.

ثمّ قال: أكتب يا بنيّ:

هذا ما أوصى به عليّ بن أبي طالب، أوصى أنّه يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، و أنّ محمدا عبده و رسوله، أرسله بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدين كلّ و لو كره المشركون صلّى الله على محمد و على أهل بيته.

إنّ صلاتي و نسكي و محياي و مماتي لله ربّ العالمين، لا شريك له و بذلك أمرت و أنا من المسلمين.

ثمّ إنّي أوصيك يا حسن و جميع ولدى و أهل بيتى و من بلغه / ٧٢ / كتابى [هذا]

(١) و لهذه الوصيّة الشريفة أسانيد و مصادر جمّة فى كتب المسلمين، و ذكرها السيّد الرضى رحمه الله فى المختار:

(٤٧) من الباب الثانى من نهج البلاغة، و ذكرناها بمناسبات مختلفة فى غير واحد من أبواب نهج السعادة فراجع.

ص: ٢٤٦

من المؤمنين بتقوى الله ربكم و لا تموتنّ إلّا و أنتم مسلمون، و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرّقوا، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: صلاح ذات البين أفضل من عمّة الصلاة و الصوم.

و انظروا ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب.

و الله الله فى اليتامى فلا تغبّوا أفواههم «١» و لا يضيعوا بحضرتكم، فإنّي سمعت نبيّ الله عليه السلام يقول: من عال يتيما حتى يستغنى أوجب الله له بذلك الجنّة كما أوجب لأكل مال اليتيم النار.

و الله الله فى القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم.

و الله الله فى جيرانكم، فإنّ رسول الله صلى الله عليه و سلّم أوصى بهم.

و الله الله فى الفقراء و المساكين فشاركوهم فى معيشتكم.

و الله الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم و أنفسكم، فإنما يجاهد فى سبيل الله رجلان: إمام مهدي أو مطيع له مقتد بهداه «٢».

و الله الله فى ذريّة نبيّكم «٣» عليه السلام، لا تظلمنّ بين أظهركم و أنتم تقدرون على الدفع عنهم.

(١) هذا هو الظاهر الموافق لنهج البلاغة؛ أى تعاهدوا شئونهم بحيث لا ينقطعون عن المأكّل و المشرب فى وقتهم، كيلا يكونوا من جهة فقدان الغذاء و الشراب كالماشية التى تورد الماء يوما و تترك يوما.

و الكلام على الكناية و الاستعارة، و يصحّ أيضا أن يكون من قولهم: «أغبّ القوم»: جاءهم يوما و تركهم يوما:.

و فى أصلى: «فلا تغبّون أفواههم». و يحتمل أيضا أنّه مصحّف عن «فلا تغبّون أفواههم» أى فلا تفسدنّ أفواههم، و لا تصيرنّ شفاههم منتنة من جهة عدم سبيلهم إلى الأكل و الشرب فى وقتهم. و المآل واحد.

(٢) هذا هو الصواب الموافق لما ذكرناه فى المختار: (٦٥) من باب الوصايا من نهج السعادة: ج ٨ ص ٤٧٩.

و في أصلى هنا: «أو مقتدى بهداه...».

(٣) هذا هو الصواب المذكور في كثير من المصادر، و في الأصل: «و الله الله في ذمة نبيكم...».

ص: ٢٤٧

و الله الله في الضعيفين، النساء و ما ملكت أيمانكم، لا تخافن في الله لومة لائم، يكفكم الله من أرادكم و بغى عليكم، قولوا للناس حسنا كما أمركم الله.

لا تتركن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فيؤلى الله الأمر شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

عليكم يا بني: بالتواصل و التبادل، و إياكم و التدابر و التقاطع و التفرق، تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الإثم و العدوان، و اتقوا الله إن الله شديد العقاب.

حفظكم الله أهل البيت، و حفظ فيكم نبيكم، أستودعكم الله و أقرأ عليكم السلام.

ثم لم ينطق إلّا ب «لا إله إلّا الله» حتى قبضه الله إليه؛ بيض الله وجهه و شرف مقامه، فقد اجتهد في مرضاة الله نفسه، و قام بوصية الله في حياته و عند موته.

فقام الحسن ابنه خطيبا صبيحة قتل أبوه في العشر الأواخر من رمضان، فقال:

لقد قتلتم رجلا ما سبقه الأولون، و لا يدركه الآخرون.

و جعل خاتمه في إصبه السبابة، ثم قال:

إنّ عليّا و الله ما ورّتنا درهما و لا ديناراً و لا فضة و لا ذهباً إلّا شيئا في خاتمي هذا ما عدا «١» ثلاثمائة درهم بقيت من عطائه ادّخرها ليتصدّق بها يوم فطره، فما هي لنا «٢».

فهذه حاله في زهده، و ما لم أذكره أكثر.

(١) لعلّ هذا هو الصواب، و في أصلى: «إلّا سافى خاتمي هذا ما جاء ثلاثمائة درهم...».

فإن صحّ ما ذكرناه فلعلّ معنى قوله: «إلّا شيئا في خاتمي هذا...» أى إلّا فضة كائنة في خاتمي هذا و الظاهر أنّه عليه السلام كان يومئذ لبس خاتم أبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) لم أظفر بالحديث بهذا السياق في غير هذا المورد.

ص: ٢٤٨

[لمعات من عدله عليه السلام في أهله و رعيته، و قبسات من أقواله و أعماله في جذب النفوس إلى الله تعالى، و إيصال الحقوق إلى أهلها و وضعها في موضعها].

ثم عدله في سيرته و إشرافه على عياله يسوي بينهم في عطاءه، و يواسي بينهم بماله.

و ذكروا أنه وليّ رجلا من ثقيف «عكبرا» فقال له: بين يدي أهل الأرض الذين [كان] عليهم [الخراج: لتستوفي خراجهم و لا يجدون فيك رخصة] و لا يجدون فيك ضعفا «١».

ثم قال له: عد إليّ عند الظهر قال: فلما رحت إليه دخلت عليه و ليس بيني و بينه حجاب، و إذا [في] جنبه كوز فيه ماء و قدح، قال: و دعا بطينة مختومة «٢» فأتى بها، فقلت عند نفسي: كلّ هذا قد نزلت عند أمير المؤمنين يريني جوهرًا، و ظننت

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما رواه ابن عساكر في الحديث: (١٢٤٩) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ١٩٨، ط ١.

و ما وضعناه بين ثنائي المعقوفين أيضا مأخوذ منه. و في أصلي هكذا «فقال له بين يدي أهل الأرض الذي عليهم و لا يجدوا فيك ضعفا».

(٢) كذا في الأصل غير أن الكاتب كان ترك إثبات نقطتي الياء و التاء هكذا: «بطنه».

و القصّة ذكرناها في المختار: «١٦٦» من نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٤ عن مصادر و فيها: «بطيبة».

و ذكره في هامش حلية الأولياء نقلا عن بعض نسخها: «بطيبة». و قال بعضهم: الطيبة: جريب من جلد ظبي عليه شعره.

ص: ٢٤٩

أنّ فيها جوهرًا، فكسر الخاتم ثم صبّ الماء «١» في القدح، فإذا سويق فشرب، ثم سقاني و لم أصبر أن قلت: يا أمير المؤمنين أبا لعراق تصنع هذا؟ العراق أكثر خيرا و أكثر طعاما؟! فقال لي: إنني لست لشيء أحفظ منّي لما ترى إذا خرج عطائي ابتعت منه ما يكفيني، و أكره أن يفنى فيزاد فيه من غيره، و أكره أن أدخل بطني إلّا طيبًا ثم أمر بها فختمت ثم رفعت.

ثم أقبل عليّ فقال: إنني لم أقل لك الذي قلت بين يدي أهل الأرض، إلّا أنّهم قوم خدع / ٧٣ / فإذا قدمت على القوم «٢» فانظر ما أمرك به، فإن خالفتني و أخذك الله به دوني «٣» و إن بلغني خلاف ما أمرك به عزلتك إن شاء الله إذا قدمت على القوم فلا تبغينّ فيهم كسوة شتاء و لا صيف، و لا درهما و لا دابة، و لا تضربنّ رجلا سوطا لمكان درهم و لا تقمه على رجليه «٤».

قال: قلت: يا أمير المؤمنين إذن أرجع كما ذهبت؟ قال: و إن رجعت فإننا لم نؤمر أن نأخذ منهم إلّا العفو «٥».

قال: فرجعت فما بقى على درهم إلّا أدّيته.

(١) و قد شطب فى أصلى على لفظ: «الماء» و لكن الظاهر أنّه سهو من الكاتب. و فى تاريخ دمشق: للحافظ ابن عساكر: من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام: «فكسر الخاتم فإذا فيها سويق، فأخرج منه و صبّ فى القدح، فصبّ عليه ماء فشرب و سقانى...».

(٢) هذا هو الظاهر، و فى أصلى: «فإذا قدمت على القوم - فلا خير فيهم - فانظر ما أمرك به» و لكن كاتب الأصل كان قد شطب على لفظى: «فلا خير» دون لفظة: «فيهم».

(٣) كذا فى الأصل، و فى تاريخ دمشق: «و لكنى آمرک الآن بما تأخذهم به، فإن أنت فعلت و إلّا أخذک الله به دونى...».

(٤) كذا فى أصلى، غير أنّه كان فيه: «كسوة شتى...».

و فى ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: «فلا تبیعنّ لهم رزقا يأكلونه، و لا كسوة شتاء و لا صيف، و لا تضربنّ رجلا منهم سوطا فى طلب درهم، و لا تقمه [ظ] فى طلب درهم فإنّا لم نؤمر بذلك.

و لا تبیعنّ لهم دابة يعملون عليها إنّما أمرنا أن نأخذ منهم العفو».

(٥) أى الفاضل عمّا يحتاجون إليه فى شئوناتهم و جهات معيشتهم و حياتهم، و الظاهر أنّ هذا هو المراد فى قوله تعالى فى الآيّة: (٢١٩) من سورة البقرة: «و يسألونک ما ذا ينفقون؟ قل: العفو».

ص: ٢٥٠

[دخول أبى صالح بيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و إحضارهم الطعام له. و قوله لهم: أ تطعمونى هذا الطعام و أنتم الأمراء].

و ذكروا أن رجلا یکنى أبا صالح دخل على أمّ كلثوم بنت علىّ فقالت: ائتوا أبا صالح بطعام. قال: فأتونى ب (مرقة) فيها حبوب فقلت: أ تطعمونى هذا و أنتم الأمراء؟

قالت: فكيف لو رأيت أمير المؤمنين عليّا و أتى بأترج فأخذ الحسن أترجة منها فانتزعها من يده و قسمها بين المسلمين «١».

و كان [عليه السلام] يؤتى بالرمان فيقسمه فى المساجد «٢».

و كانت له امرأتين؛ فإذا كان يوم أحدهما اشترى [لها] بنصف درهم لحما «٣» و كان يقول رحمه الله: ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك، و لكن الخير أن يكثر علمك، و يعظم حلمك، و تباهى الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، و إن أسأت، استغفرت الله.

و لا خير في الدنيا إلّا لرجلين، رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبة؛ أو

(١) و رويناه في تعليق الحديث: (٢٣٢) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٤٠، ط ١. نقلاً عن أحمد بن حنبل.

و رواه أيضاً أحمد بن حنبل في الحديث: (٢٤) من باب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب الفضائل.

(٢) و انظر الحديث: (١٢٥) من ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٣٧.

(٣) ببالي أنه ذكره أحمد بن حنبل في الحديث: (....) من باب فضائل عليّ عليه السلام من كتاب الفضائل.

ص: ٢٥١

رجل يسارع في الخيرات «١».

و لا يقلّ عمل مع تقوى، و كيف يقلّ ما يتقبّل «٢».

و كان يقول رضى الله عنه: أنا يعسوب المؤمنين، و المال يعسوب الظّلمة «٣».

و كان رضى الله عنه يقسم ما في بيت المال، ثمّ يكتّسه و يصلّي فيه رجاء أن تشهد له عند الله يوم القيامة «٤».

و كان يدعو اليتامى، فيطعمهم العسل، و ما حضر حتى قال بعضهم: لوددت أنّى كنت يتيماً «٥».

و [كان] يقول: قد تأتينا أشياء نستكثرها إذا جاءتنا، و نستقلّها إذا قسمناها، و إنا لنقسم القليل و الكثير.

و لقد رآني عليه إزار مرقوع، فعوتب في لباسه فقال رضى الله عنه: يخشع به القلب

(١) و للكلام مصادر جمّة، و رواه أيضاً السيد الرضى في المختار: (٩٤) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

(٢) و رواه أيضاً في المختار: (٩٥) من باب قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام من نهج البلاغة، و له أسانيد و مصادر كثيرة.

(٣) و في المختار: (٣١٦) من الباب الثالث من نهج البلاغة: «و المال يعسوب الفجار».

قال السيّد الرضى رحمه الله: و معنى ذلك: أنّ المؤمنين يتبعوننى و الفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها و هو رئيسها.

(٤) و قال عبد الله بن أبى الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل قال: حدثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن أبى البخترى و ميسرة [قالا]: إنّ عليّاً كرم الله وجهه قسم ما فى بيت المال حتى لم يبق فيه إلّا أربعة، فأمر بها فقسّمت، ففيل له فى ذلك، فقال: لا و الله حتى تبعر فيه الغنم.

هكذا رواه ابن أبى الدنيا فى الحديث: (٣٥٤) من كتاب ذمّ الدنيا/ الورق ٣٤/ أ.

(٥) و هذا و ما بعده رواه فى الحديث: (١٢٢) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف:

ج ٢ ص ١٣٦، ط ١.

و رواه أيضاً أحمد بن حنبل و فى الحديث: (...) من باب فضائله عليه السلام من كتاب الفضائل.

ص: ٢٥٢

و يقتدى به المؤمن.

و كان إذا ورد عليه المال يقول: أيّها الناس هلمّوا إلى مالكم فخذوه، فإنّما أنا لكم خازن.

ثمّ يقسمه على الأحمر و الأسود حتى لا يبقى شىء.

و لقد بلغنى أنّه كان يقسم بين المسلمين الأبرار يصرفها لهم صرّاً «١».

فهذه منازل فى زهده، و سيرته فى عدله، و ما لم يذكر من أموره أكثر و أشهر.

فهل تذكرون لأحد ممن قدّمتموه عليه مثل ما ذكرنا [ه] عنه؟ فعمر و إن كان زاهدا فلم يبلغ هذه الغاية، و لم يصّر إلى هذه المنزلة، و قد قسّم على غير السويّة، و عزم فى مرضه على السويّة، و كان عليه دين فادح.

و [أمّا] أبو بكر فلم يمتحن بكثرة الأموال، و لم يظهر منه هذه السير و الأحكام.

فإن قال قائل: إنّما شاع ذلك من فعل علىّ بن أبى طالب لأنّه عمّر و بقى فظهرت منه هذه السير و المناقب، و أبو بكر لم يعمر و لم يبق.

قلت: القائل هذا إن كان معتزلياً عدلياً [نقول له]: ليس لما قلتم معنى يجوز فى مقالك، و الذى تعلّقت به فاسد عندك لأنّ من قولك: إنّ الله لا يخرم عبداً يعلم أنّه يزاد عند البقاء خيراً، و لا يقطعه عن أمر يعلم أنّه لو بلغ إليه شرفت حاله و أضعفت طاعته، فما قلت ناقض لقولك.

و إن كان قائل هذا مجبراً فالحجّة عليه قائمة لأنّه لا يدري أن لو بقى فى أى المنزلتين كانت تكون حاله، و لا يدري لعلّه لو بقى لكفر!!! لأنّه جائز فى عدل الله عنده

(١) كذا.

ص: ٢٥٣

أن يبتديه بالخذلان و الشرّ، و ينقله أن لو بقى من الإيمان إلى الكفر. على أنّه لو كان ممن يزداد على البقاء طاعة و فضلا ثمّ لم يبلغه لم تكن منزلته منزلة من بقى حتى فعله و ناله، و ليس بجائز أن يكون فاضلا بما لم يفعله و لم يبق إليه، فلا أمر ما دفع الله / ٧٤ / عن علىّ ابن أبى طالب و وقاه بلطفه من تلك المحن، و صرف عنه تلك المصائب حتى خلصت له سوابق المهاجرين الأوّلين و آثار السابقين، و أكمل الله له فضائل التابعين، فأعزّ الله به الدين فى الأوّل و الآخر هاديا مهديّا طاهرا زكيّا.

ففى فضل هذا يقصّر؟ و مثل علىّ بن أبى طالب يؤخّر؟ و عليه يقدم؟

فو الله لو ترك الهوى و التعصّب، و أعمل الإنصاف و النظر لم يخف على طالب فضل علىّ بن أبى طالب على البشر.

و و الله لو ترك الهوى من لم ينظر، و قلّد الحبر لم يقدّم [أحد] علىّ بن أبى طالب، لكثرة مناقبه المشهورة فى الحديث و الأثر.

أو ليس من العجب أن لا يعلم تقدّمه على البشر بمؤاخات رسول الله إياه دون الناس؟

أ يظنّون أن رسول الله عليه السلام آخر لنفسه من لا يقرب من منزلته؟ و قصّر فى الاختيار؟! بأى الوجهين كان؟ إمّا بالبعد و إمّا بالغفلة إذا اصطفى لنفسه من غيره أولى به منه، و أفضل عند الله ممن اختاره؟! و كيف لا يقنع الناظرون بهذه الجملة، و لا إشكال فيها و لا شبهة، و يكلفونا تفسير ذلك الجواب و المسألة ليكشف لهم أن أخوة النبیّ عليه السلام لعلیّ بن أبى طالب كانت لفضله على غيره، و أن منزلته عنده منزلة هارون من موسى ليس على التقديم له.

ما أوضح خطأ من كلّفنا الجواب فى هذا و المسألة [واضحة] قد فرغته الأخبار و [كشفها من] التمس علم الآثار «١».

(١) ما بين المعقوفين زيادة منّا زدناها لإصلاح الكلام.

ص: ٢٥٤

[فضيلة الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السلام على جميع البشر بعد خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله و سلم من جهة العلم؛ و تقدّمه فيه من جميع الجهات على العالمين، و ذكر نماذج من علومه عليه السلام و خطبه؛ منها خطبته الموسومة بالزهاء].

و نحن ذاكرون بعد هذا تقدّمه فى العلم و فضله فيه على الخلق أجمعين بعد النبيين.

و للعلم أصل و فروع، و جملة و تفسير، و فيه تطوُّع و فرض. و ذلك على صنوف شتّى، و أبواب كثيرة.

فأصل العلم، العلم باللّٰه و هو أصل الدين و الإسلام، فأعلم الخلق باللّٰه أدبهم عن توحيده، و أحسنهم عبارة عنه، و أوصفهم لحدوده و أحكامه، و أقومهم بمحاجة من ألحد فى اللّٰه بالجواب و المسألة، فالتمسوا علم ذلك فى خطبه لتعلموا أنّ منقطع القرين فى علمه و أنّه نسيج وحده:

و هو القائل فى بعض خطبه و هى خطبته الزهراء: [المعروفة:

الحمد لله أحمدته و أستعينه و أوّمن به و أتوكّل عليه.

الأوّل لا شىء قبله، و الآخر لا غاية له، علا فدنا، و دنا فعلا، لا تقع الأوهام له على صفة، و لا تعقد القلوب منه على كيفية، و لا تحيط له بذات، و لا يناله التجزئة و لا يدركه التبويض. «١»

(١) و لعلها بعينها هى خطبة الزهراء التى رواها أبو مخنف بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام كما ذكرنا الصدر فى كتاب الشيعة و فنون الإسلام ص ١٧.

ص: ٢٥٥

الذى لا من شىء كان، و لا من شىء خلق ما كان. قدرة بان «١» بها من الأشياء و بانت الأشياء منه. فليست له صفة تنال، و لا حدّ تضرب له فيه الأمثال.

كلّ دون صفاته تحبير اللّغات، و ضلّ فيما هنا لك تصاريف الصّفات، و حار فى ملكوته عميقات مذاهب التّفكير، و انقطع دون الرّسوخ فى علمه جوامع التّفسير.

و حال دون غيبه المكنون حجب الغيوب «٢» و تاهت فى أدنى أذانيها طامحات العقول «٣».

فتبارك الذى لا يبلغه بعد الهمم و لا يناله غوص الفطن، و تعالى الذى ليس له وقت معدود، و لا أجل ممدود، و لا نعت محدود «٤».

و سبحانه الذى ليس له أوّل مبتدأ، و لا غاية منتهى، و لا آخر يفنى، سبحانه هو كما وصف نفسه.

حدّ الأشياء كلّها عند خلقه إيّاها إبانة لها من شبهة، و إبانة له منها، فلم يحلل فيها فيقال: هو فيها كائن، و لم ينأ عنها فيقال [هو] منها بائن، و لم يخل عنها فيقال له: أين؟

و لكنّه سبحانه أحاط بها علمه، و أتقنها صنعه و أحصاها حفظه، فلم يعزب عنه

(١) و مثله فى كتاب الغارات و الكافى. قيل: إنّها مبتدأ حذف خبره، أى له قدرة بان بها من الأشياء. أو إنّها خبر حذف مبتدأه، أى هو قدرة بان بها من الأشياء.

و قيل إنّها منصوبة على التميز، أو بنزع الخافض و حذفه، أى و لكن خلق الأشياء قدرة أو بقدرة.

و فى كتاب التوحيد للشيخ الصدوق رحمه الله: «قدرته بان بها من الأشياء ...».

(٢) دون غيبه: قبل الوصول إلى غيبه.

(٣) هذا هو الصواب الموافق للمختار: (١٥٦ و ٢٥٨) من نهج السعادة: ج ١، ص ٥٣٩ ط ١، و؛ ج ٢ ص ٣٤٨ ط ١.

و فى أصلى: «و تاهت فى أدانى أدانيها طامحات العقول». و تاهت: تحيّرت. و الضمير فى «أدانيها» راجع إلى الحجب. و طامحات العقول: أى العقول الطامحة الراقية التى سبقت العقول العادية فى جهات الوصول إلى الحقائق.

(٤) هذا هو الظاهر الموافق لما فى المختار الأول من نهج البلاغة، و فى أصلى هاهنا: «بتحديد».

ص: ٢٥٦

خفّيات غيوب الهواء، و لا غامضات سرائر مكنون ظلم / ٧٥ / الدّجا «١» و لا ما فى السّماوات العلى و الأرضين السّفلى لكلّ شىء منها حافظ و رقيب، و كلّ شىء منها بكلّ شىء محيط، و المحيط بما أحاط به منها «٢» الله الواحد الأحد الصّمد الذى لا تغيّره صروف سوائف الأزمان، و لم يتكأده صنع شىء «٣» كان أن قال لما شاء أن يكون «كن» فكان.

فابتدع ما خلق بلا مثال و لا تعب و لا نصب.

و كلّ صانع شىء فمن شىء صنع و الله لا من شىء خلق ما خلق.

و كلّ عالم فبعد جهل تعلّم، و الله لم يجهل سبحانه و لم يتعلّم «٤».

فسبحان من لم يؤده خلق ما ابتدأ، و لا تدبير ما برأ، و لكن قضاء متقن و علم محكم، و أمر مبرم، توحدّ فيه بالربوبية، و خصّ نفسه فيه بالوحدانية، و استخلص المجد و السّناء و استكمل الحمد و الثّناء فتفرّد بالتّوحيد، و توحدّ بالتّمجيد و تمجّد بالتّحميد. فجلّ سبحانه عن الأبناء، و طهر عن ملامسة النّساء. فليس له فيما خلق ندّ، و لا فيما ملك ضدّ، و لم يشركه فيما ملكه أحد، له الأسماء الحسنى و الأمثال العليا «٥»

(١) فلم يعزب: لم يغيب عنه، و لم يخف عنه. و الدجى: جمع الدجيّة: الظلمة أو شدّتها. و فى كتاب الكافى:

«و لا غوامض مكنون ظلم الدجى». و فى كتاب الغارات: «و لا غامض سرائر مكنون الدجى ...».

(٢) هذا هو الظاهر الموافق لكتابتى الغارات والكافى، و فى أصلى: «و المحيط بها أحاط به منها».

(٣) يتكأده: لم يثقله و لم يصعب و لم يشقّ عليه.

(٤) لفظة: «سبحانه» غير موجودة فى كتابى الغارات والكافى، و فيهما: «و كلّ عالم فمن بعد جهل تعلّم...».

و فيهما أيضا بعد قوله: «و لم يتعلّم» هكذا:

أحاط بالأشياء علما قبل كونها؛ فلم يزد بكونها [بتكوينه إياها] «الغارات» علما، علمه بها قبل أن يكونها كعلمه بها بعد تكوينها. لم يكونها لتشدّد سلطان، و لا لتخوّف زوال و لا نقصان، و لا استعانة على ضدّ مثاور، و لا ندّ مكائر، و لا شريك مكابر [مكائد «خ»] لكن خلائق مربوبون، و عباد داخرون، فسبحان من لا يؤده خلق ما ابتدأ...».

و لكن بين الكتابين اختلاف لفظى فى بعض الكلمات.

(٥) إلى هنا تنتهى رواية الثقفى رحمه الله فى كتاب الغارات.

ص: ٢٥٧

ثمّ قال [عليه السلام]:

سبحانك اللهمّ ما أعظم ما نرى من خلقك «١» و ما أصغر عظمه فى [جنب] قدرتك.

و ما أعظم ما نرى من ملكوتك، و ما أحقر ذلك فيما غاب عنّا من ملكك، و ما أسبغ نعمتك فى الدّنيا و ما أقلّها فى جنب نعمتك فى الآخرة. و ما عسى أن نصف من قدرتك و سلطانك فى قدر ما غاب عنّا من ذلك، و قصرت أبصارنا عنه و انتهت عقولنا دونه.

فمن أعمل طرفه و قرع سمعه و أجهد فكره كيف ذرأت خلقك و كيف أقمت عرشك و كيف علّقت فى الهواء سماواتك و كيف مددت أرضك رجع طرفه حسيّرا و عقله و الها و سمعه مبهورا و فكره متحيّرا «٢».

فكيف لا يعظم شأنك عند من عرفك و هو يرى من عظيم خلقك ما يملأ قلبه و يذهل عقله. فلا إله غيرك و لا شريك لك فى ملكك، ليس كمثلك «٣» شىء و أنت السّميع البصير «٤».

فتفهّموا صفته للتوحيد، هل تجدون ما قال [إلا] أصلا أخذ المتكلّمون [به و بنوا] عليه، و افتقروا إليه؟ و هل تجدون أحدا أبْلغ من صفة التوحيد ما [أ] بلغه؟ و ذكر من عظمة الله و قدرته ما ذكره؟ و هل تعلمون أحدا احتجّ فى إثبات الربوبية و استدلّ

(١) و هذا هو الظاهر الموافق لما روينا فى المختار: (٣٤٨) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٤٦، و فى أصلى «و ما أصغر عظمة فى قدرتك...». و فى المختار: (١٠٩) من نهج البلاغة: «و ما أصغر عظيمه فى جنب قدرتك».

(٢) و فى المختار: (١٠٩) من نهج البلاغة: «فمن فرغ قلبه و أعمل فكره ليعلم كيف أقمت عرشك و كيف ذرأت خلقك، و كيف علّقت فى الهواء سماواتك، و كيف مددت على مور الماء أرضك، رجع طرفه حسيروا و عقله مبهورا، و سمعه والها، و فكره حائرا».

و قريبا منه رويناه فى المختار: (٣٤٨) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٤٧ ط ١.

(٣) و يحتمل رسم الخطّ أن يقرأ أيضا: «ليس كمثل

(٤) و بعد هذا فى المختار: (١٠٩) من نهج البلاغة و المختار (٣٤٨) من نهج السعادة ذيل طويل

ص: ٢٥٨

على الوحدانيّة إلّا ببعض ما ذكرنا من كلامه؟.

[فتدبروا كلمه] لتعلموا أن المتكلمين عيال عليه فى صفة التوحيد و الاحتجاج على الملحدين، و أنّ الخطباء عليه معولهم، و بكلامه استعانوا على خطبهم.

فقد بان [علوه] فى علم التوحيد من الخلق أجمعين فله فضيلة الاستنباط و الرسوخ فى علم القرآن، و فضل التعليم و أجور المتعلمين.

ص: ٢٥٩

[كلامه عليه السلام فى جواب يهودى سأله: متى كان ربّنا؟].

و لقد قام إليه بعض اليهود فقال له: متى كان ربّنا؟ فقال له: لم يكن ربّنا فكان [و] إنما يقال: «متى كان؟» لشيء لم يكن فكان [و] هو كائن بلا كينونة كائن، كان لم يزل، ليس له قبل فهو قبل القبل و قبل الغاية، انقطعت الغايات عنده فهو غاية كل غاية «١».

فهذه جملة ممّا قال فى التوحيد، قد بان بها من جميع أهل الكلام و العلماء بالتوحيد.

(١) و الكلام رويناه مسندا عن مصادر آخر فى المختار: (١٥٥) من القسم الأول من نهج السعادة: ج ١، ص ٥٣٧ ط ١، و فى المختار: (٩) من القسم الثانى: ج ٣ ص ٣٨ ط ١.

ص: ٢٦٠

[كلامه عليه السلام فى نعت الإسلام و عظم قواعده و أركانه].

ثمّ وصف الإسلام [ب] ما انقطعت عنه ألسن الناطقين، و عجز عنه وصف القائلين عند مسألة السائل له: ما الإسلام؟ فقال:

الحمد لله الذى شرع الإسلام فسهّل شرائعه لمن ورده، و أعزّ أركانه على من حاربه، فجعله عزّاً لمن والاه، و سلماً لمن دخله، و هدى لمن اتّمسّ به، و زينة لمن تحلّى به، و عصمة لمن اعتصم به، و حبلاً لمن تمسّك به، و برهاناً لمن تكلم به، و نوراً لمن استضاء به و شاهداً لمن / ٣٦ / خاصم به، و فلجاً لمن حاجّ به، و علماً لمن وعى، و حديثاً لمن روى، و حكماً لمن قضى، و حلماً لمن جرّب، و لبّاً لمن تدبّر، و فهماً لمن تفتّن، و يقيناً لمن عقل و تبصرة لمن عزم، و آية لمن توسّم، و عبرة لمن اتّعظ، و نجاة لمن صدق، و مودة من الله لمن أصلح، و زلفى لمن ارتقب، و ثقة لمن توكلّ، و راحة لمن فوّض، و جنة لمن صبر.

فذلك الحق سبيله الهدى، و صفته الحسنى، و مآثرته المجد ..

فهو أبلغ المنهاج، مشرق المنار، مضىء المصاييح، رفيع الغاية، يسير المضمار، جامع الحلبة، متنافس السبقة، أليم النّقرة، كريم الفرسان.

التصديق منهاجه، و الصالحات مناره، و الفقه مصاييحه، و الموت غايته، و الدّنيا مضماره، و القيامة حلّيته، و الجنة سبقتة «١» و النار نقمته، و التقوى عدّته، و المحسنون فرسانه.

(١) إلى هنا رواه السيد الرضى رحمه الله فى المختار. (١٠٤) من نهج البلاغة.

ص: ٢٤١

فبالإيمان يستدلّ على الصالحات، و بالصالحات يعمرّ الفقه، و بالفقه يرهّب الموت، و بالموت تختتم الدنيا، و بالدنيا تحرز القيامة «١» و بالقيامة تزلف الجنة للمتّقين، و تبرّز الجحيم للغاوين.

و الإيمان على أربع شعب: على الشّوق و الشّفق و الزّهادة و التّرقّب.

فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشّهوات، و من أشفق من النار رجع عن المحرّمات، و من زهد فى الدنيا تهاون بالمصيّبات، و من ارتقب الموت سارع فى الخيرات.

و اليقين على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، و تأوّل الحكمة، و عبرة و سنّة و آية و موعظة «٢».

فمن تبصّر فى الفطنة تبيّن الحكمة، و من تبيّن الحكمة عرف العبرة، و من عرف العبرة فكأنما كان فى الأوّلين.

و العدل على أربع شعب: على غائص الفهم، و غمرة العلم «٣» و زهرة الحكم، و روضة الحلم.

(١) الظاهر أنّ هذا هو الصواب، أى تحاز و تدخّر فوز القيامة و النجاح فيها، أى بالاعمال الخيريّة فى الدنيا و صرف الإمكانات الدنيوية فى سبيل الله يجعل العامل فوز القيامة و الدار الآخرة فى حرزه و حيازته.

و فى أصلى المخطوط: «تحذر القيامة». و فى المختار: (١٦٢) من نهج السعادة: ج ٢ ص ١٨:

«و بالدنيا تجوز [تحوز «خ»] القيامة».

- و فى المختار: (١٥٤) من نهج البلاغة: «و بالدنيا تحرز الآخرة...» و مثله فى المختار: (١١٨) من نهج السعادة: ج ١، ص ٣٦٨.

و مثلها فى المختار: (١٠٦) من القسم الثانى من باب خطب نهج السعادة ج ٣ ص ٣٩٨ ط ١، و لكن كان فى الأصل المنقول عنه: «و بالدنيا تحذر الآخرة».

(٢) كذا فى الأصل، و فى المختار: (١١٨) من القسم الأول، و المختار: (١٠٦) من القسم الثانى من باب خطب نهج السعادة: «و موعظة العبرة و سنة الأولين».

(٣) هذا هو الظاهر الموافق لما فى المختار: (١١٨) من نهج السعادة: ج ١، ص ٣٧١ ط ١.

و فى أصلى: «و عبارة العلم».

ص: ٢٦٢

فمن فهم فسرّ جمل العلم، و من علم صدر عن شرائع الحكم، و من حلم لم يفرط فى أمره، و عاش فى الناس حميدا.

و الجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و الصدق فى المواطن، و شتآن الفاسقين.

فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمن، و من نهى عن المنكر أرغم أنف الكافر، و من صدق فى المواطن قضى ما عليه، و من شتأ الفاسقين و غضب لله غضب الله له.

فذلك الإيمان و شعبه و دعائمه.

قال: فقام السائل إليه ققبل رأسه «١».

فهذا العلم بالتوحيد قد بان به، و هو أشرف العلوم منزلة و أعلاها مرتبة، سبق فيه العلماء، و تقدّم فيه على الخطباء، و جعله رسما للمتعلّمين و حجة على المنكرين.

فهذه صفته للإيمان مجملّة و مفسّرة [فهل] ترون أحدا جمعها و بلّغها؟! ثم فكّروا فى صفته للزهد، و ترغيبه فيه، و ذكره الدنيا و ما ذكر من عبرها و مواعظها لتعلموا أنّه قد جمع العلم بالزهد و العمل، و أنّه استنبط هذه العلوم بالبحث الناقب، و النظر النافذ، و الاعتبار الشافى [و] اجتهد فى ذلك طريق الأنبياء.

(١) و للكلام مصادر و أسانيد كثيرة تجد كثيرا منها في المختار: (١١٨) من القسم الأول من باب الخطب من نهج السعادة: ج ١، ص ٣٦٦، ط ١، و في المختار: (١١٠) و تواليه من القسم الثاني من باب الخطب:

ج ٣ ص ٣٧٣ و ما يليها من ط ١.

ص: ٢٦٣

[كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع نوف البكالي في تقرّض الزّهاد، و التّرجيب في اتّباعهم و اقتفاء آثارهم].

و ذكروا عن نوف [البكالي] أنّه قال: بايتّ عليا ليلة فأكثر «١» الدخول و الخروج و النظر إلى السماء، ثمّ قال لي: أ نائم أنت يا نوف أم راقق؟ قال: قلت: بل راقق أرمقك بعيني منذ الليلة يا أمير المؤمنين. قال: [ثمّ] قال لي:

يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك قوم / ٧٧ / اتّخذوا أرض الله بساطا و ترابها فراشا و مأوها طيبا و القرآن شعارا «٢» و الدعاء دثارا، ثمّ قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح.

يا نوف إنّ الله أوحى إلى عبده المسيح أن قل لبني إسرائيل أن لا يدخلوا بيتا من بيوتى إلّا بقلوب طاهرة و أبصار خاشعة، و أكفّ نقيّة، و أعلمهم أنّي لا أجيب لأحد منهم دعوة و لأحد من خلقى قبله مظلمة.

يا نوف إنّ داود نبىّ الله عليه السلام خرج في [مثل] هذه الساعة من الليل فقال:

إنّ هذه ساعة لا يدعو فيها داع إلّا استجاب الله له إلّا أن يكون شاعرا أو عاشرا أو شرطيا أو عريفا أو بريدا، أو صاحب كوبة - و هي الطبل - أو صاحب عرطبة و هي الطنبور «٣».

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما في ترجمة جعفر بن مبشر تحت الرقم: (٣٦٠٨) من تاريخ بغداد: ج ٧ ص ٦٢، و في أصلى: «رأيت عليّا ليلة فأكثر الدخول و الخروج...».

(٢) هذا هو الصواب الموافق لما روينا في المختار: (١٣٥) من نهج السعادة: ج ١، ص ٤٣٧ ط ١، و مثله في المختار: (١٠٤) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

و في أصلى: «و الكتاب شعارا»، و لكن كتب في الأصل فوق كلمة: «و الكتاب» لفظة: «و القرآن».

(٣) و مثله رواه أيضا السيد الرضى في المختار: (١٠٤) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

و روينا أيضا بأسانيد جمّة في المختار: (١٣٥) و تاليه من القسم الأول من باب الخطب من نهج السعادة:

ج ١، ص ٤٣٦ ط ١، و في المختار: (٦٥) من القسم الثاني في ج ٣ ص ٣٥٣.

[كلامه عليه السلام في التحذير عن الدنيا و عدم الاغترار بإقبالها و عدم الأسف على إدبارها].

ثم قال [عليه السلام]:

أما بعد فإنني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة حَفَّتْ بالشهوات و تحببت بالعاجلة و عمّرت بالآمال و تزيّنت بالغرور فلا تدوم حبرتها و لا تؤمن فجعتها، غرارة ضرارة زائلة نافذة نابذة «١» أكالة غوالة لا تعدو إذا هي تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها و الرضا بها أن تكون كما قال الله: «كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا» [٤٥ / الكهف: ١٨].

مع أن امرا لم يكن منها في حبرة إلّا أعقبته بعدها عبرة و لم يلق من سرّائها بطنا إلّا منحتة من ضرائها [ظهرها «٢» و لم تطلّ فيها ديمة رخاء إلّا و هتنت عليه مزنة بلاء «٣» و حرى إذا هي أصبحت له منتصرة أن تسمى له متنكرة، و إن جانب منها اعذوذ و احلولى أمر عليه منها جانب فأوبى «٤» و إن لبس امرؤ من غضارتها رغبا أرهقته من

(١) كذا في أصلى، و فى نهج البلاغة: «- تحببت بالعاجلة و راقى بالقليل، و تحلّت بالآمال، و تزيّنت بالغرور، لا تدوم حبرتها، و لا تؤمن فجعتها، غررة ضرارة حائلة زائلة نافذة بائدة».

(٢) ما بين المعقوفين أخذناه من المختار: (١٠٩) من نهج البلاغة، و فيه: «لم يكن امرؤ منها فى حبرة إلّا أعقبته بعدها عبرة...».

(٣) كذا فى نهج البلاغة، و فى أصلى: «إلّا هتفت عليه مزنة بلاء».

(٤) هذا هو الظاهر الموافق لنهج البلاغة، و فى الأصل: «و إن جانب منها اعذوذت الا مرت و احلولى أمر عليه منها جانب فأوبى...».

نوائبها تعباً و لم يمس امرؤ منها فى جناح أمن إلّا أصبح فى أخوف مخوف «١».

غرارة غرور ما فيها، فانية فان من عليها، لا خير فى شىء من زادها إلّا التقوى «٢».

من أقلّ منها استكثر مما يؤمّنه، و من استكثر منها لم يدم له «٣» و زال عمّا قليل عنه.

كم من واثق بها قد فجعته، و ذى طمأنينة إليها قد صرعه، و ذى خدع قد خدعته و ذى أبهة فيها قد صيرته حقيرا، و ذى نخوة فيها قد ردّته جائعا فقيرا «٤» و ذى تاج قد كبّته لليدين و للفم «٥».

سلطانها دول و عيشها رنق، و عذيبها أجاج و حلوها صبر و غذاؤها سمام و أسبابها رمام و قطافها سلع «٤» و حيّها بعرض موت، و صحيحها بعرض سقم، و منيعها بعرض اهتضام، و ملكها مسلوب، و عزيزها مغلوب، و آمنها منكوب، و جارها محروب.

ثمّ من وراء ذلك سكرات الموت و زفراته، و هول المطّلع، و الوقوف بين يدي الحكم العدل «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى» [٣١ / النجم: ٥٣].

أ و لستم في مساكن من كان [قبلكم ممن كان] أطول منكم أعمارا، و أعزّ آثارا و أعدّ

(١) كذا في أصلى، و في نهج البلاغة: «لا ينال امرؤ من غضارتها رغبا إلّا أرهقته من نوائبها تعباً، و لا يمسي منها في جناح أمن إلّا أصبح على قوادم خوف».

(٢) كذا في أصلى، و في نهج البلاغة: «لا خير في شيء من أزوادها...».

(٣) كذا في أصلى، و في نهج البلاغة: «و من استكثر منها استكثر مما يوبقه...».

(٤) الجملة التالية غير موجودة في نهج البلاغة كما لا توجد فيها جملة: «و ذى خدع قد خدعته».

و أيضا في نهج البلاغة: «و ذى أبهة قد جعلته حقيرا، و ذى نخوة قد ردّته ذليلا...».

(٥) و قريب منه في المختار: (٧٦) من القسم الثاني من باب الخطب من نهج السعادة: ج ٣ ص ٢٨٦.

(٦) كذا في أصلى، و هذه الجملة غير موجودة في نهج البلاغة.

و لعلّ سلع بمعنى مرّ، لأنّه نوع من الصبر.

ص: ٢٦٦

منكم عديدا، و أكتف منكم جنودا، و أشدّ منكم عنودا «١».

تعبّدوا للدّنيا أى تعبّد «٢» و آثروها أى إثّار ثمّ ظعنوا عنها بالصّغار «٣».

فهل بلغكم أنّ الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية «٤» أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم به بخطب، بل أوهنتهم بالقوارع، و ضععتهم بالنوائب، و عفّرتهم للمناخر «٥» و أعانت عليهم ريب المنون.

فقد رأيتم تنكّرها لمن دان لها و آثرها و أخلد إليها حتّى ظعنوا عنها لفراق الأبد «٦» و إلى آخر المسند «٧» هل زودّتهم إلّا السّغب أو أحلّتهم إلّا الضّنك / ٧٨ / أو نورّت لهم إلّا الظّلمة أو أعقبتهم إلّا النار «٨»؟! أ فهذه تؤثرون؟ أم على هذه

تحرصون؟ أم إليها تطمئنون؟ قال الله: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَ حَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [١٥/

(١) و في نهج البلاغة: «أ لستم في مساكن من كان قبلكم أطول [منكم] أعمارا و أبقى آثارا و أبعد آمالا و أعدد عديدا و أكثف جنودا».

(٢) تعبّدوا للدنيا: خضعوا و انقادوا لها.

(٣) كذا في أصلى، و في نهج البلاغة: «ثمّ ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ، و لا ظهر قاطع ...».

(٤) كذا في أصلى، و في نهج البلاغة: «فهل بلغكم أنّ الدنيا سخت لهم نفسا بفدية».

(٥) كذا في أصلى، و في نهج البلاغة: «أو أعانتهم بمعونة، أو أحسنت لهم صحبة؟ بل أر هقتهم بالقوادح، و أوهنتهم بالقوارع، و ضععتهم بالنوائب، و عفرتهم للمناخر، و وطئتهم بالمناسم ...».

(٦) هذا هو الظاهر، الموافق لما في نهج البلاغة، و في أصلى: «حين ظعنوا عنها لفرار الأبد».

(٧) هذه الفقرة: «و إلى آخر المسند» غير موجودة في نهج البلاغة.

(٨) كذا في أصلى، و في نهج البلاغة: «أو أعقبتهم إلا الندامة. أ فهذه تؤثرون؟ أم إليها تطمئنون؟ أم عليها تحرصون؟

فبئست الدار لمن لم يتّهمها و لم يكن فيها على وجل منها.

فاعلموا- و أنتم تعلمون- بأنكم تاركوها و ظاعنون عنها، و اتّعظوا فيها بالذين قالوا: «من أشدّ منّا قوّة» حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا و أنزلوا الأجداد فلا يدعون ضيفانا، و جعل لهم من الصفيح أجنان ...».

ص: ٢٦٧

[هود: ١٢]. فبئست الدار لمن لم يتّهمها و لم يكن فيها على وجل منها.

و اعلموا- و أنتم تعلمون- أنّكم تاركوها لا بدّ فإنّما هي كما نعت الله: «لَعِبٌّ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ، وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأُمُومِ وَ الْأَوْلَادِ» [٢٠/ الحديد: ٥٧٥].

فاتّعظوا فيها بالذين كانوا يبنون بكل ريع آية يعبتون و يتّخذون مصانع لعلّهم يخلدون «١» و بالذين قالوا من أشدّ منّا قوّة).

و اتّعظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حملوا إلى قبورهم و لا يدعون ركبانا و أنزلوا [الأجداد] و لا يدعون ضيفانا «٢» و جعل لهم من الضريح أكنان «٣» و من التراب أكفان، و من الرّفات جيران.

فهم جيرة لا يجيبون داعيا و لا يمنعون ضيما و لا يبالون مندبة «٤» و لا يقتربون سيئا و لا حسنا، لا يزورون و لا يزارون.

حلماء قد بادت أضغانهم، جهلاء قد ذهبت أحقادهم لا يخشى فجعهم و لا يرجى دفعهم، و هم كمن لم يكن و كما قال الله: «فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَ كُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» [٥٨ / القصص: ٢٨].

استبدلوا بظهر الأرض بطناً و بالسعة ضيقاً و بالأهل غربة و بالنور ظلمة و جاؤها

(١) اقتباس من الآية. (١٢٨ - ١٢٩) من سورة الشعراء: ٢٦.

(٢) ما بين المعقوفين مأخوذ من نهج البلاغة، و السياق أيضا يقتضيه أو ما هو بمعناه.

(٣) كذا في أصلى، و فى نهج البلاغة: «و جعل لهم من الصفيح أجنان ...».

(٤) و بعده فى نهج البلاغة هكذا: «إن جيدوا لم يفرحوا، و إن قحطوا لم يقنطوا جميع و هم آحاد، و جيرة و هم أبعاد، متدانون لا يتزاورون، و قريبون لا يتقاربون، حلماء قد ذهبت أضغانهم، و جهلاء قد ماتت أحقادهم!! لا يخشى فجعهم و لا يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطناً و بالسعة ضيقاً، و بالأهل غربة، و بالنور ظلمة! فجاؤوها كما فارقوها حفاة عراة. قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة و الدار الباقية كما قال سبحانه: «كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين».

ص: ٢٦٨

كما فارقوها حفاة عراة، قد ظعنوا منها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة، و إلى خلود الأبد يقول الله: «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَ عَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ» [١٠٤ / الأنبياء: ٢٤]

[كلامه عليه السلام فى نعت الدنيا عند ما سمع من يذمها].

ثم قال فى خلاف ذلك - من صفة الدنيا قولاً عجيباً و صدق عليها فى الحالين جميعاً - بكلام غريب و قول بليغ، و حكمة بالغة و معرفة راسخة، و يقين ثاقب و علم بارع و ذكر نافع [و إنما نبهتكم على ذلك] لتعلموا أنه فى جميع العلوم بائن، و فى [كل] مناقب الخير مقدّم.

[فقال عليه السلام: «١» و قد سمع بعض الناس يذمّ الدنيا تعسفاً و يعيبها متعدياً، فصرخ به ثم قال:

أيّها الدائم! للدنيا أنت المجترم عليها أم هى المجترمة عليك؟! «٢» فقال: بل أنا يا أمير المؤمنين المجترم عليها!! قال: ويحك فبم تذمّها؟! أليست منزل صدق لمن صدّقها؟ و دار غنى لمن تزوّد منها؟ و دار عافية لمن فهم عنها؟ مسجد أحبّاء الله و مصلّى أنبيائه و مليكته «٣» و مهبط

(١) و في أصلى كان هكذا: «ثم قال في خلاف ذلك من صفة الدنيا قولاً عجيباً - و صدق عليها في الحالين جميعاً - بكلام غريب و قول بليغ، و حكمة بالغة و معرفة راسخة، و يقين ثاقب و علم بارع و ذكر نافع، لتعلموا أنه في جميع العلوم بائن و في مناقب الخير مقدّم، و قد سمع بعض الناس يذمّ الدنيا ...».

(٢) و في المختار: (١٣٠) من قصار نهج البلاغة: «أيها الدّامّ للدنيا المغترّ بغرورها المخدوع بأباطيلها بم تدمّها؟

أ تغترّ بالدنيا ثم تدمّها؟ أنت المتجرّم عليها أم هي المتجرّمة عليك؟ ...».

(٣) كذا في أصلى، و في المختار: (١١٧) من نهج السعادة: «مسجد أنبياء الله و مهبط وحيه و مصلّى ملائكته و مسكن أحبائه و متجر أوليائه ...».

و في نهج البلاغة: «مسجد أحبّاء الله و مصلّى ملائكته و مهبط وحى الله و متجر أولياء الله».

ص: ٢٦٩

وحيه و متجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرّحمة و ربّحوا فيها الجنة.

فمن ذا يذمّها و قد أذنت بينها و نادت بانقطاعها، فمثّلت لهم ببلائها البلاء [ظ] و شوّقت بسرورها إلى السّرور «١» راحت بفجيعة و ابتكرت بعافية، فذمّها رجال يوم الندامة، و حمدها آخرون «٢» حدّثتهم فصدقوا و ذكّرتهم فذكروا «٣».

فأيّها الدّامّ للدنيا، المعتلّ بغرورها متى استندمت إليك؟ بل متى غرّتك؟ أ بمصارع آبائك من البلى؟ أم بمضاجع أمّهاتك تحت الثرى؟ كم علّلت بيدك؟ و كم مرّضت بكفّك «٤» تلتمس له الشفاء، و تستوصف له الأطباء لم تنتفع [فيه] بشفاعتك، و لم تسعف [فيه] بطلبتك «٥» مثّلت لك الدنيا - و يحك - مضجعك حين لا يغنى عنك بكاؤك، و لا ينفع أحبّاؤك «٦».

(١) هذا هو الظاهر، و في أصلى: «و سوقت» بالسين المهملة. و في نهج البلاغة: «و شوّقتهم بسرورها ...».

(٢) كذا في أصلى، و في نهج السعادة: «فذمّها قوم غداة الندامة».

و في نهج البلاغة: «فذمّها رجال غداة الندامة، و حمدها آخرون يوم القيامة».

(٣) و في نهج البلاغة: «ذكّرتهم الدنيا فتذكروا، و حدّثتهم فصدقوا و وعظتهم فاتّعظوا».

(٤) و في نهج البلاغة: «كم علّلت بكفّيك، و كم مرّضت بيدك تبغى لهم الشفاء، و تستوصف لهم الأطباء، لم ينفع أحدهم إشفاقك، و لم تسعف فيه بطلبتك، و لم تدفع عنهم بقوّتك ...».

(٥) هذا هو الظاهر الموافق لما وجدناه في جميع ما رأيناه من المصادر، و في أصلى: «و لم تستغن بطلبتك ...».

و فى المختار: (١١٧) من نهج السعادة: «كم مرّضت بيديك، و علّلت بكفيك تستوصف لهم الدواء و تطلب لهم الأطباء، لم تدرك فيه طلبتك، و لم تسعف فيه بحاجتك ...».

(٦) الظاهر أنّ هذا هو الصواب، و فى أصلى: «حتّى لا يغنى عنك بكاؤك ...».

و فى الحديث: (١٢٧٢) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ٢١٤ ط ١:

«كم مرّضت بيديك و علّلت بكفيك تطلب له الشفاء و تستوصف له الأطباء [ف] لا يغنى عنك دواؤك و لا ينفعك بكاؤك».

ص: ٢٧٠

[كلامه عليه السلام فى سوق أولى الألباب إلى الله تعالى و تحضيضهم على اغتنام الفرصة من الأيام، و إكثارهم من صالحات الأعمال و الادّخار من متاع دار الفناء ليوم لا ينفع فيه مال و لا بنون].

و كان رضى الله عنه ينادى فى كلّ ليلة بصوت رفيع له:

تجهّزوا رحمكم الله فقد نودى فيكم بالرحيل و أقلّوا العرجة على الدنيا «١» و انقلبوا بصالح ما يحضركم من / ٧٩ / الزاد «٢» فإنّ أمامكم عقبة كئودا و منازل مخوفة مهولة لا بدّ من الممرّ عليها و الوقوف عندها «٣» فإنّما برحمة من الله نجوتم من فظاعتها و شدّة مخبرها و كراهة منظرها [ظ] و إمّا بهلكة ليس بعدها انجبار.

فيا لها حسرة على كل ذى غفلة أن يكون عمره عليه حجة أو تؤدّيه أيامه إلى شقوة «٤».

(١) هذا هو الصواب الموافق للمختار: (٢٠٢) من نهج البلاغة و غيره، و فى أصلى: «و أقلّوا الفرجة على الدنيا ...».

(٢) كذا فى أصلى، و فى نهج البلاغة: «و انقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد ...».

(٣) إلى هنا رواه السيد الرضى رحمه الله فى المختار: (٢٠٢) من نهج البلاغة؛ و فيه: «لا بدّ من الورد عليها و الوقوف عندها» و هو أظهر مما هاهنا.

(٤) و من قوله: «فيا لها حسرة» إلى قوله: «إلى شقوة» ذكره السيد الرضى فى ذيل المختار: (٦٢) من نهج البلاغة، و فيه بعده: «نسأل الله سبحانه أن يجعلنا و إياكم ممن لا تبطره نعمة و لا تقصّر به عن طاعة ربّه غاية و لا تحلّ به بعد الموت ندامة و لا كآبة».

ص: ٢٧١

فاتركوا هذه الدنيا التّاركة لكم و إن لم تكونوا تحبّون تركها و المبلىة لكم و إن كنتم تحبّون تجديدها فإنّما مثلكم و مثلها كركب سلكوا سبيلا فكأنّهم قد قطعوه، و أمّوا علما فكأنّهم قد بلغوه «١».

جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربه رغبة ولا تحل به بعد الموت شقوة [و لا] حسرة وإنما نحن له وبه.

(١) و قريبا منه رواه السيد الرضى رحمه الله فى أوائل المختار: (٩٧) من نهج البلاغة و هذا لفظه: «عباد الله أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم و إن لم تحبوا تركها، و المبلية لأجسامكم و إن كنتم تحبون تجديدها، فإنما مثلكم و مثلها كسفر سلكوا سبيلا فكأنهم قد قطعوه، و أموا علما فكأنهم قد بلغوه».

ص: ٢٧٢

[كلامه عليه السلام فى تعليم الناس كيفية الصلوات على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم].

و كان رضى الله عنه يعلم الناس الصلاة على محمد صلى الله عليه و سلم فيقول:

قولوا:

اللهم داحى المدحوات و بارئ المسموكات و جبار القلوب على فطرتها «١» شقيها و سعيدها.

اجعل شرائف صلواتك، و نوامى بركاتك، و رافة تحيتك، على محمد عبدك و رسولك الخاتم لما سبق، و الفاتح لما انغلق، و المعلن الحق بالحق، و الدامغ لجيشات الأباطيل «٢» كما حمل فاضطلع «٣» قائما بأمرك فى طاعتك مستوفرا فى مرضاتك غير ناكل فى قدم و لا واه فى عزم «٤» واعيا لوحيك حافظا لعهدك، ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى كل قبس لقابس «٥» آلاء الله يصل بأهله أسبابه «٦» به هديت القلوب بعد

(١) كذا فى الأصل، و فى المختار: (٧٠) من نهج البلاغة: «و جابل القلوب على فطرتها...».

(٢) و فى نهج البلاغة: «و الدافع لجيشات الأباطيل و الدامغ صولات الأضاليل...».

(٣) أى أعلن الحق بالحق و قمع الباطل و قهر الضالين كما حمل تلك الأعمال لم يغير و لم ينكص. فاضطلع أى قام بها قويا بلا ضعف و توان.

(٤) و «قدم» - على زنة قفل و عنق - المضى إلى الإمام و عدم الوقوف على شىء.

(٥) كذا فى أصلى، و فى المختار: (١٠٦) من نهج البلاغة: «حتى أورى قبسا لقابس، و أنار علما لحابس...».

و فى المختار: (١٨) من القسم الثانى من باب خطب نهج السعادة: ج ٣ ص ٨٣ ط ١: «حتى أورى قبس القابس و أضاء الطريق للخابط، و هدى به...».

و فى المختار: (٦٥) من باب الدعاء من نهج السعادة: ج ٦ ص ٢٨٣:

«حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه، به هديت القلوب ...».

(٦) قال ابن أبي الحديد: و تقدير الكلام: حتى أورى قبسا لقابس تصل أسباب ذلك القبس آلاء الله و نعمه بأهله المؤمنين به.

ص: ٢٧٣

خوضات الفتن و الآثام بموضحات الأعلام و منبرات الإسلام و نائرات الأحكام «٧» فهو أمينك المأمون و خازن علمك المخزون، و شهيدك يوم الدين و بعثك نعمة و رسولك بالحق رحمة و خير البرية طفلاً، و خيرها شاباً و كهلاً أظهر الظاهرين شيمة، و أجود المستمطرين ديمة «٨» لا يبلغ المقرظون مدحته و لا يلامون على ما ذكروا من فضله.

اللهم افسح له مفسحا في عدلك و اجزه مضاعفات الخير من فضلك له مهنات غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول و جزيل عطائك المعلول.

اللهم أعل على بناء البانين بناءه و أكرم لديك مثواه و نزله و أتمم له نوره، و اجزه من ابتغائك له مقبول الشهادة مرضى المقالة، ذا منطق عدل و خطة فصل و حجة و برهان عظيم. «٩»

(٧) و مثله في رواية ابن قتيبة غير أن فيها: «بعد خوضات الفتن و الإثم موضحات الأعلام ...».

و في الصحيفة العلوية للسماهيجي: «و هديت به القلوب بعد خوضات الفتن و الآثام، و أقام موضحات الأعلام ...».

(٨) و في المختار: (١٠٢) من نهج البلاغة: «خير البرية طفلاً و أنجبها كهلاً أظهر المطهرين شيمة و أجود المستمطرين ديمة ...».

(٩) كذا في نهج البلاغة، و كأن في أصلى كان: «و خطبة فصل» و لكن نقطة الباء مشطوبة، و لا يحضرني الأصل الآن كي أراجع.

ص: ٢٧٤

[كلامه عليه السلام في تأكد وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و عدم جواز المداراة مع الفساق و المنافقين و الطغاة].

و قال في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الدعاء إلى محاربة أهل البغي:

أوصيكم عباد الله بتقوى الله و أحذرکم الدنيا و ما فيها من الغضارة و البهاء و الكرامة و البهجة التي ليست بخلف مما زين الله به العلماء و بما أعطوا «١» من العقبي الدائمة و الكرامة الباقية، ذلك بأن العاقبة للمتقين و الحسرة و الندامة و الويل الطويل على الظالمين.

فاعتبروا بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه على الأخبار إذ يقول: «لَوْ لَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمُ» [٦٣/ المائدة]. وقال: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» **«٢»** ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» [٧٨ / ٨٩ / المائدة].

و إنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم **«٣»** الأمر المنكر من الفساد في بلادهم فلا ينهون عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم

(١) كذا في أصلي، و لعله مصحّف عن قوله: «و مما يعطوا من العقبي ...».

(٢) و كان في الأصل ذكر الآية الكريمة إلى هذا الحدّ، ثمّ قال: إلى قوله: «لبئس ما كانوا يفعلون». و بما أنّ الاختصار من عمل الرواة و الكتاب أرجعنا الآية إلى أصلها و ذكرناها كاملة.

(٣) هذا هو الظاهر الموافق لما في تحف العقول ص ١٧١، و في أصلي: «من الظلمة الذي ...».

ص: ٢٧٥

و رهبة مما كانوا يحذرون **«١»** و الله يقول: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا / ٨٠ / النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ] فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوْا اللَّهَ» **«٢»**.

و قال: «و الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» [٧١ / التوبة: ٩] فبدأ الله بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فريضة منه **«٣»** علمه بأنّها إذا أدّيت و أقيمت استقامت الفرائض كلها هيّتها و صعبها ذلك بأن الأمر بالمعروف و النهي [عن المنكر] دعاء إلى الإسلام مع ردّ المظالم و مخالفة الظالم و قسمة الفیء و الغنائم و أخذ الصّدقات من مواضعها و وضعها في حقّها.

ثمّ أنتم أيّتها العصاة عصابة بالعلم مشهورة و بالخير مذكورة و بالنصيحة معروفة و بالله في أنفس الناس لكم مهابة، يهابكم الشريف و يكرمكم الضعيف و يؤثركم من لا فضل لكم عليه، و لا يد لكم عنده تشفعون بالحوائج إذا امتنعت من طلبها، و تمشون في الطريق بهيبة الملوك و كرامة الأكابر.

أ ليس كلّ ذلك إنما نلتموه لما يرجى عندكم من قيام بحقّ الله **«٤»** و إن كنتم عن أكثر حقّه مقصّرين و استخففتكم بحقّ الأئمة. فأما حقّ الله و حقّ الضعفاء فضيّعتم **«٥»** و أمّا حقّكم بزعمكم فطلبتم فكنتم كحرّاس مدينة أسلموها و أهلها للعدوّ [و] بمنزلة الأطّباء الذين استوفوا ثمن الدواء و عطّلوا المرضى **«٦»**.

(١) كذا.

(٢) الآية (٤٤) من سورة المائدة و ما وضعناه بين المعقوفين كان حذفه في الأصل اختصارا، و كان فيه هكذا:

«إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا- إِلَى قَوْلِهِ- فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَاخْشَوْنَا».

(٣) أَى فَرَضَا مِنْهُ تَعَالَى وَ إِيْجَابَا مِنْهُ عِبَادَه.

(٤) كَذَا فِى أَصْلِى، وَ فِى طَ بِيْرُوْت مِنْ تَحْفِ الْعُقُوْل: «مِنْ الْقِيَام ...».

(٥) كَذَا فِى أَصْلِى، وَ فِى طَبِيعِ بِيْرُوْت مِنْ تَحْفِ الْعُقُوْل: «وَ إِنْ كُنْتُمْ عَنْ أَكْثَرِ حَقِّهِ تَقْصُرُونَ وَ اسْتَخَفْتُمْ بِحَقِّ الْأُمَمَةِ، فَأَمَّا حَقُّ الضَّعَفَاءِ فَضِيعَتُهُمْ وَ أَمَّا حَقُّكُمْ بِزَعْمِكُمْ ...».

(٦) مِنْ قَوْلِهِ: «فَكُنْتُمْ كَحِرَاسٍ مَدِيْنَةٍ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَ عَطَلُوا الْمَرْضَى» غَيْرَ مُوجُوْد فِى طَ بِيْرُوْت مِنْ تَحْفِ الْعُقُوْل.

ص: ٢٧٦

فَلَا مَالٌ بِذَلْتُمُوهُ [لِلَّذِى رَزَقَهُ] «١» وَ لَا نَفْسًا خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِى خَلَقَهَا، وَ لَا عَشِيْرَةً عَادِيْتُمُوْهَا فِى ذَاتِ اللَّهِ. ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْنُونَ عَلَى اللَّهِ جَنَّتَهُ وَ مَجَاوِرَةَ رَسَلِهِ وَ الْبِرَاءَةَ وَ الْفِرَارَ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَ الْاسْتِثْنَاءَ بِالْكَرَامَةِ مِنَ اللَّهِ عِنْدَ مَلَاقَةِ الْمَلَائِكَةِ.

لَقَدْ خَشِيتُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمَتَمَنُّونَ عَلَى اللَّهِ أَنْ تَحِلَّ بِكُمْ نَقْمَةٌ مِنْ نَقْمَاتِهِ لِأَنَّكُمْ بَلِغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ مَنْزِلَةَ فَضْلَتِمْ بِهَا، وَ مِنْ يَعْرِفُ بِاللَّهِ لَا تَكْرُمُونَ وَ أَنْتُمْ بِاللَّهِ فِى عِبَادِهِ تَكْرُمُونَ «٢».

وَ قَدْ تَرَوْنَ عَهْدَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَفْزَعُونَ وَ أَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمِّ آبَائِكُمْ تَفْزَعُونَ، وَ ذِمَّةُ رَسُولِهِ مَخْفُورَةٌ وَ الْعِمَى وَ الْبِكْمُ وَ الزَّمْنَى «٣» فِى الْمَدَائِنِ مَهْمَلُونَ لَا تَرْحَمُونَ وَ أَنْتُمْ [لَا] فِى مَنْزِلَتِكُمْ تَعْمَلُونَ، وَ لَا مِنْ عَمَلٍ فِيْهَا تَعِينُونَ «٤» وَ بِالْأُدْهَانِ وَ الْمَصَانِعَةِ أَرَاكُمُ عِنْدَ الظُّلْمَةِ تَأْمِنُونَ «٥» كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّهْيِ وَ التَّنَاهَى وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ.

فَأَنْتُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ مُصِيبَةً لَمَّا غَلِبْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَنَازِلِ الْعُلَمَاءِ لَوْ كُنْتُمْ تَشْعُرُونَ، وَ ذَلِكَ بِأَنَّ مَجَارَى الْأُمُورِ وَ الْأَحْكَامِ عَلَى أَيْدِى الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ فِى كِتَابِهِ يَكُونُ هُمْ الْأَمْنَاءُ عَلَى حِلَالِهِ وَ حُرَامِهِ «٦» فَأَنْتُمْ الْمَسْلُوبُونَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ، وَ مَا سَلَبْتُمْ ذَلِكَ إِلَّا بِنُفُورِكُمْ عَنِ الْحَقِّ وَ اخْتِلَافِكُمْ فِى السُّنَّةِ بَعْدَ الْبَيِّنَةِ الْوَاضِحَةِ.

وَ لَوْ صَبِرْتُمْ عَلَى الْأَذَى، وَ تَحَمَّلْتُمْ الْمَثُونَةَ فِى ذَاتِ اللَّهِ كَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرْدُ

(١) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفِينَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْمُخْتَارِ: (١١٧) مِنْ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ.

(٢) وَ فِى الْمُخْتَارِ: (١٠٣) مِنْ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: وَ قَدْ بَلِغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لَكُمْ مَنْزِلَةَ تَكْرُمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ وَ تَوْصِلُ بِهَا جِيرَانَكُمْ، وَ يَعْظُمُكُمْ مِنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَ لَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ وَ يَهَابُكُمْ مِنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطُوتَهُ وَ لَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ ...».

(٣) وَ فِى الْمُخْتَارِ الْأَوَّلِ مِنْ كَلَامِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تَحْفِ الْعُقُوْل: «وَ ذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مَخْفُورَةٌ، وَ الْعِمَى وَ الْبِكْمُ وَ الزَّمْنَى فِى الْمَدَائِنِ مَهْمَلَةٌ ...».

وَ فِى الْمُخْتَارِ: (١٠٣) مِنْ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: «وَ قَدْ تَرَوْنَ عَهْدَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ. وَ أَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمِّ آبَائِكُمْ تَأْنِفُونَ ...».

(٤) ما بين المعقوفين كان قد سقط من الأصل.

(٥) لفظة: «أراكم» غير موجودة في طبع بيروت من تحف العقول.

(٦) و في تحف العقول: «ذلك بأن مجارى الأمور و الأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله و حرامه ...».

ص: ٢٧٧

و عنكم تصدر، و إليكم ترجع، و لكنكم مكنتم الظلمة من أزمّتكم «١» و أسلمتم أمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات و يسيرون في الشهوات، سلّطهم على ذلك «٢» فراركم من الموت، و إعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم «٣» فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستعبد و مقهور، و من بين مستضعف على معيشتة مغلوب، يتقلّبون في الملك بآرائهم، و يستشعرون الخزي بأهوائهم اقتداء بالأشرار، و جرأة على الجبار «٤» ..

في كل بلد منهم على منبره خطيب مصقع و الأرض لهم شاغرة «٥» و أيديهم فيها مبسوطة و أيدي القادة عنهم مكفوفة، و سيوفهم عليهم مسلّطة، و سيوفكم عنهم مسنمة «٦» [و] [و] الناس لهم خول لا يدفعون يد لأمس فمن / ٨١ / بين جبار عنيد و ذى سطوة على الضعفة، شديد مطاع لا يعرف المبدئ المعيد «٧».

فيا عجبا و مالى لا أعجب و الأرض مشحونة من غاشّ غشوم، و متصدّق ظلوم، و عامل على المؤمنين بهم غير رحيم فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا، و القاضى بحكمه فيما شجر بيننا.

اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذى كان [منّا] تنافسا فى سلطان و لا التماس شىء من فضول الحطام، و لكن لنردّ المعالم من دينك و نظهر الإصلاح فى بلادك، و يأمن

(١) كذا فى أصلى، و فى تحف العقول: «و لكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم ...».

و فى المختار: (١٠٣) من نهج البلاغة: «و كانت أمور الله عليكم ترد، و عنكم تصدر، و إليكم ترجع، فمكنتم الظلمة من منزلتكم، و أقيمت إليهم أزمّتكم، و أسلمتم أمور الله فى أيديهم يعملون فى الشبهات، و يسيرون فى الشهوات ...».

(٢) هذا هو الظاهر الموافق لتحف العقول، و فى أصلى: «سلكنم على ذلك».

(٣) كذا فى الأصل، غير أن حرف الباء فى قوله: «بالحياة، كان قد سقط عنه.

(٤) و مثله فى طبع بيروت من تحف العقول.

(٥) و فى تحف العقول: «فالأرض لهم شاغرة و أيديهم فيها مبسوطة و الناس لهم خول لا يدفعون يد لأمس ...».

(٦) كذا فى الأصل، و فى المختار: (١٠٥) من نهج البلاغة: «فالأرض لكم شاغرة، و أيديكم فيها مبسوطة، و أيدي القادة عنكم مكفوفة، و سيوفكم عليهم مسلّطة، و سيوفهم عنكم مقبوضة ...».

(٧) هذا هو الظاهر الموافق لكتاب تحف العقول، و في أصلي: «و ذو سطوة لا يعرف المبدئ بالمعيد ...».

ص: ٢٧٨

المظلوم من عبادك «١» و يعمل بفرائضك و سنتك و أحكامك «٢».

ألا إن لكل دم ثائرا يوما، و إن الثائر في دمائنا و الحاكم في حق نفسه و حق ذوى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل الله الذى لا يعجزه ما طلب، و لا يفوته من هرب و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون «٣».

فنضر الله وجه عبد سمع حكما فوعى و دعى إلى رشاد فدنا، و أخذ بحجزة هاد فنجا «٤».

ألا إن أبصر الأبصار ما بعد فى الخير مذهبه، و أسمع الأسماع ما وعى التذكير و انتفع به، و أسلم القلوب ما طهر من الشبهات «٥».

أيها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ ناصح، و امتاحوا من مهيا عين قد روقت من الكدر، و امتاروا من طرف الياقوت الأحمر «٦».

عباد الله لا تركنوا إلى جهالك، و لا تتقادوا لأهوائكم، و الله الله أن تشكوا إلى من لا يبكى شجوكم «٧» و من ينقض برأيه ما قد أبرم لكم، و يصدع بجهله ما شعب لكم

(١) من قوله: «اللهم إنك تعلم ...» إلى قوله: «عبادك» رواه فى المختار: (١٢٩) من نهج البلاغة و فيه:

«منافسة فى سلطان ... فيامن المظلومون من عبادك، و تقام المعطلة من حدودك».

(٢) كذا فى الأصل.

(٣) و فى المختار: (١٠٥) من نهج البلاغة: «ألا إن لكل دم ثائرا، و لكل حق طالبا، و إن الثائر فى دمائنا كالحاكم فى حق نفسه و هو الذى لا يعجزه من طلب و لا يفوته من هرب».

و قريبا منه رويناه عن مصدر آخر فى المختار: (٦٤) من نهج السعادة: ج ١، ص ٢٢٠.

(٤) و فى المختار: (٧٥) من نهج البلاغة: «رحم الله امرأ سمع حكما فوعى و دعى إلى رشاد ...».

(٥) هذا هو الصواب، و فى الأصل: «من طهر من الشبهات ...» ..

و فى المختار: (١٠٥) من نهج البلاغة: «ألا و أن أبصر الأبصار ما نفذ فى الخير طرفه، ألا إن أسمع الأسماع ما وعى التذكير و قبله».

(٦) الظاهر أنّ هذا هو الصواب، و في أصلي: «و امتاحوا من مهياً عين قد روّق من الكذب ...».

و في المختار: (١٠٥) من نهج البلاغة: «و أعظ متّعظ، و امتاحوا من صفو عين قد روّقت من الكدر».

(٧) كذا في أصلي، في المختار: (١٠٥) من نهج البلاغة: «عباد الله لا تركنوا إلى جهالتكم و لا تنقادوا لأهوائكم فإنّ النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار ينقل الردى على ظهره من موضع إلى موضع لرأى يحدثه

ص: ٢٧٩

و يهدم بحمقه ما قد بنى لكم.

اللهم فأَيُّما عبد من عبيدك سمع مقالتنا هذه العادلة غير الجائرة، و المصلحة في الدين و الدنيا غير المفسدة فأبى بعد سمعه لها إلّا الإبطاء عن نصرتك و ترك الإعزاز لدينك «١» فإنّا نشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادة «٢» فإنّكم إن لا تنصرونا و تنصفونا قوى الظلمة علينا، و عملوا في إطفاء نور الله بيننا، و حسبنا الله و عليه توكلنا و إليه أنبنا و إليه المصير.

فتدبروا هذا الكلام في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و هذا البيان و التحريض و الحجّة البينة لتعلموا أنّ كل من دعا إلى هذا السبيل و نحا هذا الطريق فبكلام أمير المؤمنين اهتدى و بسيرته اقتدى و من عمله اقتبس، و من معرفته أبصر، و بقوله أنطق.

بعد رأى يريد أن يلصق ما لا يلتصق، و يقرب ما لا يتقارب.

فالله الله أن تشكوا إلى من لا يشكى شجوكم و لا ينقض برأيه ما قد أبرم لكم. إنّه ليس على الإمام إلّا ما حمل من أمر ربّه ...».

(١) و في المختار: (٢٠٩) من نهج البلاغة: «فأبى بعد سمعه لها إلّا النكوص عن نصرتك و الإبطاء عن إعزاز دينك، فإنّا نستشهد عليه بأكثر الشاهدين شهادة ...».

(٢) هذا هو الصواب، و في أصلي: «يا أكبر الشاهدين شاهدة ...».

ص: ٢٨٠

[كلامه عليه السلام في نعت الإمام العادل و بيان وظائفه الخاصة به، و ما له و ما عليه، و أنّه حجّة على الرعيّة، و أنّ للرعيّة حجّة على الإمام إذا مال عن الحقّ و ضلّ عن محبّة العدالة].

ثمّ وصف [عليه السلام] ما على الإمام العادل و ما له فقال:

و اعلموا عباد الله إنّ لكلّ إمام عادل حجّة على رعيّته و لكلّ رعيّة حجّة على إمامها إذا جار عليها.

ألا فتمسكوا من الإمام العادل بحجزته، و خذوا ممّن يهديكم و لا يضلّكم فإنّه العروة الوثقى.

أيّها الناس إنّهُ ليس على الإمام إلّا ما حمّل من أمر ربّه: إبلاغ في الموعظة، و اجتهاد في النصيحة و إحياء السنّة، و إقامة الحدود، و إصدار السّهمان على أهلها «١» و إظهار الحجّة في العهود و البرّ و الرّأفة بجميع المسلمين، فإذا فعل ذلك فقد شكر ما أبلاه الله من الحسنى و برأ إلى الله فيما كان من حدث عمّاله كما برأ رسول الله صلى الله عليه و سلّم من فعل خالد بن الوليد.

يا قوم اقتبسوا ما بيّن لكم / ٨٢ / من الحقّ و كفّوا عمّا لم يأتكم نبؤه، و استنجزوا

(١) من قوله: «إنّه ليس على الإمام» إلى قوله: «و إصدار السهمان إلى أهلها» رواه السيد الرضى فى المختار:

(١٠٥) من نهج البلاغة.

ص: ٢٨١

موعد الربّ جلّ ثناؤه بالتّفقّه فى دينه قبل أ [ن] لا تفقهوا و من قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستنار العلم من عند أهله «١» و من قبل أن يشتهب عليكم الباطل و إن كان قد أولى ثمّ أولى «و اعتصموا بحبل الله جميعاً» فإنّه لا سلطان لإبليس على من اعتصم بحبل الله و اهتدى بهديه و استمسك بالعروة الوثقى.

و أنا أقسم بالله قسماً حقّاً أنّ الله مع الذين اتّقوا و الذين هم محسنون.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنّ أفضل ما توسّل إليه المتوسّلون «٢» الإيمان بالله و الجهاد فى سبيله، و إقام الصلاة فإنّها الملة و إيتاء الزكاة فإنّها فريضة من فرائضه، و صوم شهر رمضان فإنّه جنّة حصينة من عذابه، و حجّ البيت فإنّه منفاة للفقر مدحضة للذنّب، و صلة الرّحم فإنّها تدفع ميتة السوء و تقى مصارع الهول «٣» و صدقة السّرّ فإنّها تكفّر الخطايا و تطفى غضب الربّ.

أفيضوا فى ذكر الله كثيراً فإنّه أحسن الذّكر، و اربعوا فيما وعد المتّقون فإنّ وعد الله أصدق الوعد، و اهتدوا بهدى محمّد عليه السلام فإنّه أحسن الهدى و استنوّا بسنّته فإنّها أعظم السنن، و تعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث و استشفوا بنوره فإنّه أشفى لما فى الصدور و أحسنوا تلاوته فإنّه أحسن القصص و إذا تلى فاستمعوا له و أنصتوا لعلّكم ترحّمون.

عباد الله! إنّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الذى لا يستفيق عن جهله بل الحجّة أعظم و الحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه منها على هذا الجاهل المتحير

(١) هذا هو الصواب الموافق لما فى لمختار: (١٠٥) من نهج البلاغة، و فى أصلى: «عن مشترة العلم...».

و مستنار العلم: محل ظهوره و سطوعه.

(٢) كذا فى الأصل، و فى المختار: (١٠٩) من نهج البلاغة: «إنَّ أفضل ما توسَّل به المتوسِّلون إلى الله سبحانه و تعالى الإيمان به و برسوله».

و لهذا الكلام مصادر جمّة ذكرناها فى ختام المختار: (٢٧٤) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٣٣.

و ذكرناها أيضا فى المختار: (٥٦) من القسم الثانى من باب الخطب: ج ٢ ص ٢٠٩.

(٣) كذا فى الأصل، و فى المختار: (٢٧٤) من باب الخطب من نهج السعادة: ج ٢ ص ٨٤٢٥: «يقى مصارع الهوان»

ص: ٢٨٢

فى جهله، و كلاهما حائر ثائر مضلّ مشبور «١».

ألا لا ترخصوا لأنفسكم فى ترك الحقّ فتدهنوا و لا تدهنوا فى الحقّ فتخسروا.

و إنّ من الحزم أن تتفقّهوا، و إنّ من الفقه أن لا تغتروا و إنّ أنصحكم لنفسه أطوعكم لربّه، و إنّ أغشّكم لنفسه أعصاكم لربّه.

من يقطع الله يأمن و يستبشر، و من يعصه يخف و يندم.

سلوا الله اليقين و ارغبوا إليه فى العافية.

ألا إنّ أفضل الأمور عوازمها، «٢» و إنّ شرّها محدثاتها، و كلّ محدثة بدعة و ما أحدث محدث بدعة إلّا ترك بها سنّة المغبون [من غبن] دينه و المغبوط من حسن نفسه «٣».

إياكم و مجالسة اللّهُ فإنّ اللّهُ ينسى القرآن و يحضره الشيطان و يدعوا إلى كلّ غيٍّ و عدوان.

و محادثة النّساء تزيغ القلوب و هى من مصائد الشيطان.

ألا فاصدقوا فإنّ الله مع من صدق، و جانبوا الكذب فإنّه بجانب للإيمان فإنّ

(١) كذا فى الأصل، و فى تحف العقول: «و كلاهما حائر بائر، مضلّ مفتون مبتور ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون».

(٢) عوازمه: ما قدم عهده و يكون متصلا بعصر رسول الله ثابتا فى عهده.

و فى المختار: (١٤٢) من نهج البلاغة: «إن عوازم الأمور أفضلها، و إنّ محدثاتها شرارها». و مثله فى المختار: (٢٧٤) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٢٧.

و فى المختار: (٥٦) من القسم الثانى من باب الخطب: من نهج السعادة: ج ٣ ص ٢١٤: «و أفضل أمور الحق عزائمها، و شرّها محدثاتها».

(٣) هذا هو الصواب، و فى أصلى: «المغبون عن دينه ...».

و يحتمل فى الجملة الثانية أنّها مصحّفة عن قوله: «و المغبوط من حسن يقينه» كما فى المختار: (٥٦) من القسم الثانى من باب الخطب من نهج السعادة: ج ٣ ص ٢١٤ و يحتمل ضعيفا أيضا أن تكون مصحّفة عن «المغبون من حسر نفسه» كما فى المختار: (٢٧٤) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٢٨. و فى المختار:

(٨٢) من نهج البلاغة: «المغبون من غبن نفسه، و المغبوط من سلم له دينه» ...

ص: ٢٨٣

الصّادق على شفا منجاة و كرامة، و إنّ الكاذب على شرف هوان و هلكة.

قولوا الحقّ تعرفوا به، و اعملوا به تكونوا من أهله.

أدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم، و صلوا أرحام من قطعكم، و عودوا بالفضل على من حرّمكم.

و إذا عاهدتم ففوا، و إذا حكمتم فاعدلوا، و لا تفاخروا بالآباء، و لا تتنازروا بالألقاب.

ألا و لا تمادحوا و لا تمازحوا و لا تباغضوا.

و أفشوا السلام بينكم، و ردّوا التحية على أهلها بأحسن منها، و ارحموا الأرملة و اليتيم، و أعينوا الضّعيف و المظلوم و تعاونوا على البرّ و التقوى و لا تعاونوا على الإثم و العدوان، و اتّقوا / ٨٣ / الله إنّ الله شديد العقاب.

ألا و إنّ الدّنيا قد أدبرت و أذنت بوداع، ألا و إنّ الآخرة قد أقبلت و اذنت باطّلاع، ألا و إنّ المضمّار اليوم و السّباق غدا.

ألا و إنّ السّابقة الجنّة و الغاية النّار.

ألا و إنّكم فى أيّام مهل من ورائه أجل يحثّه عجل «١» فمن عمل فى أيّام مهله قبل حضور أجله نفعه عمله و لم يضرّه أمله، و من لم يعمل فى أيّام مهله قبل حضور أجله ضرّه أمله و لم ينفعه عمله «٢».

(١) كذا فى المختار: (٢٧٤ و ٥٦) من القسم الأول و الثانى من باب الخطب من نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٣١ و: ج ٣ ص ٢٢٠.

و رسم الخط من أصلى هاهنا فى قوله: «يحثّه» غير واضح و كأنّه يقرأ: «تحتّه» بالمتنّاتين الفوقائيتين.

(٢) من قوله: «ألا وإن الدنيا...». إلى قوله: «لم ينفعه عمله...». رواه السيد الرضى رحمه الله فى المختار:

(٢٨) من نهج البلاغة، و له مصادر كثيرة أخر.

ص: ٢٨٤

ألا وإن الأمل يسهى العقل و يورث الغفلة و يأتى بالحسرة.

ألا فاعزبوا عن الأمل كأشد ما أنتم عن شىء عازبون، فإنه غرور و صاحبه مغرور.

و افزعوا إلى قوام دينكم بالجد فى أموركم فإننى لم أر كالجنة نام طالبها و لا كالنار نام هاريها.

و تزودوا فى الدنيا من الدنيا ما تحززون به أنفسكم «١» و اعملوا خيرا ليوم يفوز بالخير من قدمه، و انتفعوا بما وعظكم الله به، و اذكروا بلاه عندكم ..

فسبحان الرحيم بخلقه، الرؤوف بعباده على غناه عنهم و فقرهم إليه قريب الرحمة واسع المغفرة قوة كل ضعيف و مفزع كل ملهوف ..

فنحمده على ما أخذ و أعطى، و على ما أبلى و ابتلى فسبحانك. خالقا و معبودا «٢» سبحانك بحسن بلائك عند خلقك محمودا.

سبحانك خلقت دارا و جعلت [فيها] مأدبة مطعما و مشربا و أزواجا و خدما و قصورا و عيونا، ثم أرسلت داعيا يدعو إليها، فلا الداعى أجابوا و لا فيما رغب رغبوا و لا إلى ما شوقوا اشتاقوا، أقبلوا على جيفة يأكلون و لا يشبعون، افتضحوا بأكلها و اصطلحوا على حبها فأعمت أبصار صالحى زمانها، ففى قلوب فقهاءهم من عشقها مرض و من عشق شيئا أغشى بصره و غطى على عورته ما فى قلبه من حبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، و يسمع بأذن غير سمعية خرقت الشهوات عقله و أماتت الدنيا قلبه فهو عبد لها و عبد لمن فى يديه شىء منها حيثما زالت الدنيا زال إليها، و حيثما أقبلت الدنيا أقبل عليها، لا ينزجر من الله بزاجر، و لا يتعظ من الله بواعظ.

(١) كذا فى المختار: (٥٦) من القسم الثانى من باب الخطب من نهج السعادة: ج ٣ ص ٢٢١، و فى أصلى هاهنا: «تحزون» بإهمال الحروف الأولى.

(٢) و انظر المختار: (٣٤٨) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٦٤٨ ط ١، و المختار: (١٠٩) من نهج البلاغة

ص: ٢٨٥

فسبحان الله كيف فارقوا الدور و نزل بهم من الله المحذور، و صاروا إلى القبور و احتبوا دواهى تلك الأمور «١» فعلم كل عبد منهم أنه كان مغرورا؛ فغير موصوف ما نزل بقلوبهم «٢» اجتمعت عليهم خلتان: سكرة الموت و حسرة الفوت،

فأغبرّت لها وجوههم و تغيّرت لها ألوانهم، و فترت لها أطرافهم، و حركوا لمخرج أرواحهم أيديهم و أرجلهم، و عرقت لها جباههم.

ثمّ ازداد الموت فيهم فحيل بين أحدهم و منطقته و إنّهُ ليدير بصره في أهله يبصر ببصره و يسمع بسمعه، و إنّهُ على صحّة من عقله قد منع كلامه «٣» يفكّر بعقله فيما أفنى عمره و فيما ذهبت أيّامه و يتذكّر أموالا جمعها «٤» أغمض في مطالبتها قد لزمه وبالها، و أشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه فيكون المهنيّ لغيره، و المرء قد علقت بها رهونه، فهو يعضّ يده ندامة على ما أصحر له عند الموت و زهدا فيما كان يرغب فيه في حياته [و] يتمنّى أن الذي كان يغبطه بها و يحسده عليها أنّها كانت له دونه.

ثمّ لم يزل الموت يريده «٥» و يبالغ في جسده حتى خالط الموت سمعه فصار / ٨٤ / بين أهله لا ينطق بلسانه و لا يسمع بسمعه، يردّد طرفه في النظر في وجوههم يرى حركات ألسنتهم و لا يسمع كلامهم فما زال يزيده حتى خالط عقله فصار لا يعقل بعقله. ثمّ زاده الموت حتى خالط بصره فذهبت من الدّنيا معرفته و هتكت عند ذلك حجّته «٦».

(١) و في نهج السعادة: «قد منعوا من الكلام؛ و غابت منهم الأحلام، و قد أجالوا الأفكار فيما أفنوه من الأعمار، و تحسّروا على أموال جمعوها و حقوق منعوها [و قد] أغمضوا في طلبها فلزمهم و بالها حين أشرفوا على فراقها...».

(٢) كذا في أصلي، و انظر المختار: (٣٤٨) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٦٤٩ ط ١.

(٣) و في المختار: (١٠٩) من نهج البلاغة: «فغير موصوف ما نزل بهم».

(٤) هذا هو الظاهر الموافق لما في نهج البلاغة، و في أصلي: «و تذكر أموالا...».

(٥) كذا في أصلي، فإن صحّ فلعلّ معناه، يحبسه و يركده.

و هذه الكلمة غير موجودة في نهج البلاغة. و في نهج السعادة: «ثمّ لم يزل الموت بالمرء يزيده و يبالغ في جسده...».

(٦) كذا في الأصل.

ص: ٢٨٦

فما زال الموت كذلك حتى بلغت النّفس الحلقوم ثمّ زاده الموت حتى أخرج الروح من جسده فصار [جيفة] بين أهله قد أوحشوا من جانبه [و تباعدوا من قربه] لا يسعد باكيا و لا يجيب داعيا «١».

ثمّ أخذوا في غسله فنزعوا عنه ثياب أهل الدّنيا ثمّ كفّوه فلم يزروه و لكن أدرجوه فيه إدراجا «٢» ثمّ ألبسوه قميصا لم يكفّثوا [عليه] أسفله «٣» ثمّ حنّطوه و حملوه حتى أتوا به القبر [فأدخلوه] ثمّ انصرفوا عنه و خلّوه «٤».

فخلا في ظلمة القبر و ضيقه و وحشته، فذلك مثواه حتى يبلى جسده و يصير رفاتا و رميما.

حتى إذا بلغ [الكتاب أجله] و الأمر إلى مقاديره، ألحق آخر الخلق بأوله و جاء من أمر الله ما يريد [هـ] من تجديد خلقه أمر بصوت من سماواته أمار السماء «٥» فشققها و فطرها و أفزع من فيها و بقي ملائكتها على أرجائها.

ثم وصل الأمر إلى الأرضين و الخلق لا يشعرون فأرج أرضهم و أرحفها بهم و زلزلها و قلع جبالها من أصولها و نسفها و دك بعضها بعضا من هيبة جلاله «٦» ثم كانت كالعن المنفوش دكها هي و أرضها دكة واحدة فأخرج من فيها و جددهم بعد [إ] بلائهم «٧»

(١) ما بين المعقوفات مأخوذ من المختار: (١٠٩) من نهج البلاغة.

(٢) كلمة: «يزروه» كانت في الأصل مهملة غير منقوطة.

(٣) كذا في أصلى، و لكن من غير همزة: «لم يكفوا»، و ما بين المعقوفين مأخوذ من نهج السعادة: ج ٢ ص ٦٥٢، و انظر ما علقناه عليه.

(٤) ما بين المعقوفات مأخوذ من نهج السعادة.

و في نهج البلاغة: «ثم حملوه إلى مخط في الأرض و أسلموه فيه إلى عمله و انتقطعوا عن زورته».

(٥) كذا في أصلى بالراء المهملة، و في نهج البلاغة: أماد السماء...» بالبدال المهملة.

(٦) و زاد بعده في نهج البلاغة: «و مخوف سطوته».

(٧) و مثله في نهج السعادة، و في نهج البلاغة: «فجددهم بعد اخلاقهم».

ص: ٢٨٧

و جمّعهم بعد تفرّقهم لما يريد من توقيفهم و مساءلتهم عن الأعمال فمن أحسن منهم يجزيه بإحسانه [و من أساء منهم يجزيه بإساءته] «١».

ثم ميّزهم فجعلهم فريقين فريقا في ثوابه و فريقا في عقابه. ثم خلّدهم لأبد دائم خيره مع المطيعين، و شرّه مع العاصين.

فأثاب أهل الطاعة بجواره و بخلوده في داره و عيش رغد، و خلود أبد، و مجاورة ربّ كريم و مرافقة محمد صلى الله عليه و آله و سلم حيث لا يطعن النزال و لا تغير بهم الحال و لا تصيبهم الأفزاع و لا تنوبهم الفجائع و لا تصيبهم الأسقام و لا الأحزان «٢»، قد آمنوا الموت فلا يخافون الفوت صفا لهم العيش و دامت لهم النعمة و الكرامة في أنهار من ماء غير آسن، و أنهار من لبن لم يتغير طعمه و أنهار من خمر لذة للشاربين، و أنهار من عسل مصفى و لهم فيها من كل الثمرات و مغفرة من ربهم.

على فرش منصّدة و أزواج مطهّرة و حور عين كأنهنّ بيض مكنون، و كأنهنّ الياقوت و المرجان.

فى فاكهة دائمة غير مقطوعة و لا ممنوعة، تدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعمى عقبى الدار مع النّحية من العزيز الجبار سلام قولاً من ربّ رحيم، و برزت الجحيم للغاوين.

و نزل بأهل معصيته سطوة مجتاحة و عقوبة متاحة و قربت الجحيم بالسواطع من اللّهب و تغيّظ و زفير و وعيد، قد تأجّج جحيمها و غلا حميمها و توقّد سمومها و حمى زقومها لا يخبأ سعيها و لا ينقطع زفيرها و لا يموت خالدها و لا يظعن مقيمها و لا يفادى

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما فى نهج السعادة، و ما بين المعقوفين أيضاً مأخوذ منه، و فى أصلى: «جزى بإحسانه».

(٢) كذا فى أصلى، و فى نهج السعادة: «و لا يمسه الأسماء و الأحران ...».

ص: ٢٨٨

أسيرها و لا يفصم كبولها.

معهم ملائكة الربّ يبشرونهم بنزل من حميم و تصلية [من] جحيم و طعام من زقوم [و هم] عن الله عزّ و جلّ محجوبون، و من رحمته آيسون، و لأوليائه مفارقون حتى إذا أدركوا فيها جميعاً - نعوذ بالله منها و مما قرب إليها من قول أو عمل / ٨٥ / أو هوى - «قالوا: ما لنا من شافعين و لا صديق حميم فلو أنّ لنا كربة فنكون من المؤمنين» ١ و هى ترميهم بشرر كالفصر كأنه جمالة ٢ صفر. ثمّ يناديهم مالك: لكم الويل الطويل و الحسرة و الندامة أما و عزّة ربّى و جلاله: لأذيقنكم أليم عذابه، و الأيدى منهم مغلولة إلى الأعناق و قد قرن النواصى بالأقدام و ألبست الأبدان القطران و قطعت لهم فيها مقطّعات من نيران فى عذاب أبد حديد يزيد و لا يبيد، لا مدّة للدّار تفتنى و لا أجل للقوم فيقضى ٣ فنعوذ بالله من النّار و ما قرب إليها من قول أو عمل ٤».

(١) هذا مقتبس من الآية: (١٠١ - ١٠٢) من سورة الشعراء: ٢٦.

(٢) هذا هو الظاهر المقتبس من الآية: (٣٤) من سورة: و المرسلات: ٧٧، و فى أصلى: (جماليات).

(٣) و كأنه إشارة إلى قوله تعالى فى الآية: (٣٦) من سورة فاطر: ٣٥: «لا يقضى عليهم فيموتوا، و لا يخفف عنهم من عذابها».

(٤) و بعد هذا فى المختار: (١٠٩) من نهج البلاغة، و المختار: (٣٤٨) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٦٥٦ زيادات.

ص: ٢٨٩

[كلامه عليه السلام فى قدح المتنسّكين من الجهّال و المواظبين على بعض العبادات المستهينين بشأن العلماء الربّانيّين].

و قال [عليه السلام] فى ذمّ الحشوية و الجهّال و أصحاب الرواية [الفاقدين للدراية] و المستهينين بالعلماء - بعد ان حمد الله و أتنى عليه - فقال:

ذمتى بما أقول رهينة و أنا به زعيم أن من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المثالات حجزته التقوى عن تقحّم الشبهات. و ليس يهيج على التقوى نسج أصل «٥» و لا يظلم على اليقين زرع قوم و إنّ الخير [كله] فيمن عرف قدره، و كفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره.

و إنّ من أبغض الرجال إلى الله لعبد و كله الله إلى نفسه جائزاً عن قصد السبيل سائراً بغير علم و لا دليل مشغوف بكلام فتنة «٦» أو رجل [وضع] علماً فى غمار من الناس أو باش عشوة غار مخدوع بأغباش فتنة قد لهج فيها بالصوم و الصلاة، فهو فتنة لمن افتنّ بعبادته صادّ عن هدى من كان قبله مضلّ لمن اقتدى به من بعده.

سمّاه أشباه الناس عالماً و لم يغن فى العلم يوماً سالماً، بكرّ و استكثر مما قلّ منه خير ممّا

(٥) كذا فى الأصل، و فى المختار: (٢١) من نهج السعادة: ج ٣ ص ٩١: «لا يهيج على التقوى زرع قوم و لا يظلم عنه سنخ أصل ...».

(٦) و فى المختار: (٢١) من القسم الثانى من باب الخطب من نهج السعادة: ج ٣ ص ٩٢: «مشغوف بكلام بدعة ...».

ص: ٢٩٠

كثر حتى إذا ارتوى من آجن و اكتنز من غير طائل قعد بين الناس مفتياً قاضياً ضامناً لتخليص ما ورد عليه إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب نفسه كبلاً يقال لا يعلم و إنّ نزلت به إحدى المبهمات هيئاً حشواً من رأيه ثمّ قطع بالشبهات خيوط عشوات «١» و ركّاب جهالات فهو من رأيه على مثل غزل العنكبوت لا يدرى أصاب أم أخطأ، لا يعتذر ممّا لا يعلم فيسلم و لم يعضّ على العلم بضرر قاطع فيغنم يذروا الرواية ذرو الريح الهشيم، تصرخ منه المواريث و تبكى عنه الدماء و يستحلّ بقضائه الفرج الحرام، غير ملئى و الله بإصدار ما ورد عليه، و لا أهل لما فرض به «٢» فأولئك الذين حلّت عليهم النياحة أيام حياتهم «٣».

(١) هذا هو الصواب، و فى أصلى: «بخيوط عشوات ...».

(٢) هذا هو الصواب، و فى الأصل: «فرط به ...».

(٣) هذا الذيل غير موجود فى المختار: (١٧) من نهج البلاغة، و كذا لا يوجد فى المختار: (١) من القسم الثانى من خطب نهج السعادة، و لكنه موجود فى الحديث: (٩) من الجزء: (٩) من أمالى الشيخ الطوسى رحمة الله عليه و فى الحديث: (١٢٨٠) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر: ج ٣ ص ٢٢٣.

ص: ٢٩١

[كلامه عليه السلام فى مبدئ الفتن و أصل الانحراف عن الحقّ و الحقيقة و الشرع و الشريعة].

و قال [عليه السلام] فى الفتن: «١» [إنّ] بدء [وقوع] الفتن أن تقع أهواء تتبّع و أحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله و يتولىّ عليها رجال رجالا بغير دين الله، فلو أنّ الباطل خالص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين و [لو أنّ] الحقّ خالص من لبس الباطل انقطعت عنه [أ] لسن المعاندين «٢» و لكن يؤخذ من كل ضغث فيمزجان [و] هنالك استولى الشيطان على حربه «٣» و نجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى.

(١) و فى المختار: (٦٥) من نهج السعادة: ج ١، ص ٢٢٤: «أيها الناس إن مبدءاً وقوع الفتن أهواء تتبّع، و أحكام تبتدع ...» و فى المختار: (٥٠) من نهج البلاغة: «إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبّع ...».

(٢) هذا هو الظاهر الموافق لما فى نهج البلاغة، و فى أصلى: «أو الحق من يخلص من فليس الباطل ...».

(٣) هذا هو الظاهر، و فى الأصل: «على حربه و العما؟». و فى نهج البلاغة: «فهناك يستولى الشيطان على أوليائه، و و ينجو الذين سبقت ...».

ص: ٢٩٢

[كلامه عليه السلام فى أكثرية المبطلين من المحقّين فى أكثر الأزمان، و غلبة الأقلية المحقّة على المبطلين فى بعض الأحيان].

حقّ و باطل و لكلّ أهل فلئن أمر الباطل لقديما ما فعل، و لئن قلّ الحقّ لرّبما و لعلّ «١» و لقد خاب من افترى و هلك من ادّعى إنّ الله أدب هذه الأمة بالسيف و السوط فليس لأحد [عند الإمام] فيهما هوادة «٢» فاستتروا ببيوتكم و أصلحوا ذات بينكم و التوبة من ورائكم، من أبدى صفحته للحقّ هلك.

فاعتبروا/ ٨٦/ أيها الواقفون و تدبّروا معاشر المقصّرين ما ذكرنا من سوابق أمير المؤمنين و ما نحن ذاكرون من فضائله فى كل مذكور من الخير، فو الله لو لم يكن إلّا ما ذكرنا فى كتابنا هذا لكان بائنا من الخلق كلّهم و لكان مقدّما على جميعهم فكيف و ما تركنا أكثر مما ذكرنا.

و كيف لا تتخلّفون عن مناقبه و تقفون فى أمره و قد ملتم إلى العصبية فحفظتم فضائل غيره و أعرضتم عن فضائله، و إذا ذكرت أموره لم تصغوا إليها و تولّيتم عنها و نبزتم ذاكرها

(١) هذا هو الصواب الموافق للمختار: (١٦) من نهج البلاغة و مثله و فى المختار (٥١) من نهج السعادة: ج ١، ص ١٧٧.

و فى أصلى: «فلئن آمن الباطل لقديما ما فعل، و لئن مرّ الحقّ لرّبما و لعلّ ...» ..

(٢) ما بيّن المعقوفين مأخوذ من المختار: (٥٤) من نهج السعادة: ج ١، ص ١٩٤، و الهوادة ي- بفتح الحاء:-

اللين.

ص: ٢٩٣

بالألقاب «١».

و لقد فعلت اليهود و النصارى دون هذا فلم يذكروا لمحمد صلى الله عليه و سلم فضيلة و لا وقفوا من عجائب آياته على علامة و لا دلالة، لتركهم سبيل الإنصاف و طريق النظر فى معرفة محمد عليه السلام.

(١) قال أبو جعفر: و قد صحَّ أن بنى أمية منعوا من إظهار فضائل علىّ عليه السلام، و عاقبوا ذلك الراوى له حتى إنّ الرجل إذ روى عنه حديثاً لا يتعلّق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول: عن أبى زينب.

و روى عطاء عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد، قال: وددت أن أترك فأحدّث بفضائل علىّ بن أبى طالب يوماً إلى الليل و أنّ عنقى هذه ضربت بالسيف!! فالأحاديث الواردة فى فضله لو لم تكن فى الشهرة و الاستفاضة و كثرة النقل إلى غاية بعيدة لا تقطع نقلها للخوف و التقية من بنى مروان مع طول المدّة و شدّة العداوة.

و لو لا أنّ لله تعالى فى هذا الرجل سرّاً يعلمه من يعلمه لم يرو فى فضله حديث و لا عرفت له منقبة، أ لا ترى أن رئيس قرية لو سخط على واحد من أهلها و منع الناس أن يذكروه بخير و صلاح لخلل ذكره و نسى اسمه، و صار و هو موجود معدوماً، و هو حيّ ميتاً.

هكذا رواه ابن أبى الحديد فى شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة: ج ٤ ص ٧٣ عن المصنف فى كتاب التفضيل.

ص: ٢٩٤

[فى أنّ عامّة كلم أمير المؤمنين عليه السلام قد حلّى بها المتكلّمون كتبهم و تزين بها الوعاظ و القصّاص مجالسهم و لكن انتحلوها و نسبوها إلى أنفسهم].

و أعجب من هذا! أنّ عامّة ما ذكرنا من كلامه - و ما لم نذكره من خطبه فى التوحيد و الثناء على الله و تذكيره و مواعظه - قد تحلّى بها أكثر المتكلّمين و تزين بها الواعظون و تكسّب بها القصّاص و تكثّر بها فى مجالسهم أهل الذكر و أوهموكم أن ذلك من كلامهم فنسبتم ما سمع من ذلك إليهم كمنصور بن عمّار و من أشبهه من القصّاص، قلّة عنايتهم منكم بما صدر عنه، و جهلاً بما يؤدّى إليكم من علمه و خطبه و قلّة تمييز لما يرد عليكم من كلام غيره.

و جميع ما ذكرنا و ما لم نذكره من كلامه فهو مشهور مذكور عند أهل الرواية، و بالأسانيد المذكورة عند أهل المعرفة معروف «١».

فأين التخلف عن فضله و قد بزغت مناقبه؟ و ما العلّة فى تقصير ما يجب من أداء حقّه؟

بعد الذى شرحنا من أموره و ذكرنا من فضائله [و] ليس بعد هذا علّة فيدعيها الواقف، و لا شبهة فيلجأ إليها المقصر، لأنّ كلّ الذى وصفنا إن لم يكن سببا إلى الإفراط و الغلوّ لم يجد الناظر فيه سبيلا إلى منزلة التقصير و الوقوف..

فانظروا فى ذلك نظر من يلتمس الصواب و يقتديه و يكره الخطأ و يزهد فيه.

(١) هذا هو الظاهر، و فى أصلى: «و الأسانيد المذكورة عند أهل المعرفة معروف».

ص: ٢٩٥

فأبو بكر و إن كان فاضلا فقد كان فى بدنه ضعيفا و لم يكن على أكناف أهل العداوة فى الحروب ثقيلًا، و لا كان فى ذلك مقدّمًا، و لا لعلّى مدانيا، و إن كان فى منزلة السّبق سابقا فلم يكن فى شدائد امحن السّبق داخلا و لا كان بالحصار ممتحنا و بالفراش مخصوصا و علىّ فى كلّ ذلك عليه مقدّم.

و أبو بكر - و إن كان بالله عالما «١» فلم يبلغ من الرساخة فى العلم و الذّبّ عن الله بالمحاجة فى العلم و الدّين و الرّدّ على الملحدين ما يقرب من منزلة على «٢» فى علم التوحيد، و أبو بكر و إن كان خطيبا بليغا «٣» فلم يكن فى خطبه متّسعا و لا فى بلاغته مسحورا «٤» و لا للمعانى الدالّة على لطافة العلم بغائص الفهم و لطافة الفكر مستخرجا.

و إن كان أبو بكر هذا صبورا فلم يبلغ من زهده زهد من قاسى الفقر فى أوّله؛ و قاسى عدم الكفاية فى أيّامه، و سعى فى طلب قوته بمؤاجرة نفسه، و عفّ عن مال الله عند إقبال الدنيا عليه و حين أفضت الخلافة إليه.

و لم يمتحن أبو بكر بالاستثثار عليه و لا امتحن فى زمانه بحدوث / ٨٧ / الفتن المتراكمة

(١) و لكن لم يكن يتجاوز علمه عمّا يعرفه كل بدوى بفطرته، أو عجوز بصنعتها، و الدليل عليه عدم ورود أثر و لو كان ضعيفا عنه مع شدة حاجة أوليائه إلى ذلك.

و مع كون سلطة بلاد المسلمين إلى الآن بيد أوليائه من غير انقطاع، فالصواب إنّه لم يكن فى علم الإسلام بعالم، و إلا كان يبرز له علم فى بعض مجالات الدين، و حيث لم يظهر منه شيء مع شدة حاجة شيعته إليه إليه و مع تمكّنهم فى البلاد من عصره إلى عصرنا هذا - يتبيّن أنّه لم يكن عالما، و فى مثل المقام قطعيا و بديهيا يصحّ أن يقال: عدم الوجدان يدلّ على عدم الوجود إذ لو كان لبان.

(٢) هذا هو الصواب، و فى أصلى: «و ما يقرب من منزلة علىّ...».

(٣) و لعلّه أراد بلاغته فى خطبته التى ألقاها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قوله فيها: «ألا و من كان يعبد محمدا فإنّ محمدا قد مات؟!!!».

(٤) رسم خط هذه الكلمة لم يكن فى الأصل واضحا.

و الشبهات الحادثة من بغى من بغا عليه و نكت من نكت عليه و شبه الأمور و لبس، و [من] تخلف من تخلف [عنه] ممن افتنن الناس بتخلفه و اقتدى الجاهل بقعوده.

و لقد امتحن أبو بكر بالردة في زمانه و كان لعل في تلك الحال الفضيلة لأنه هو المشير على أبي بكر بالقيام بحرب الردة «٥».

ففي كل ما ذكرنا على بن أبي طالب المخصوص به القائم بحق الله فيه الفال لتلك العساكر بحدّه و المدبر للأمور بفضل رأيه و الداعي في ذلك الساعات إلى أوضح المحجة بأصدق نية و أبلغ مقالة و أنجح حجة و أهدى سبيل و أحسن هدى و أبلغ منطق و أحد حدّ و أشدّ بأس، و أحمّد لهب الفتنة، و هتك ستر الشبهة بعمود السنّة، و بقر الباطل فأخرج الحقّ من غضارته «١» و خلّصه من لبس المعاندين له، مكدودا دوما في ذات الله لا كليل الحدّ و لا و ان الضريبة، لم تصرفه عن طاعة ربّه رغبة، و لم يفتر «٢» عند الكريهة و الشديدة مضى على منهاج صاحبه و أخيه يقفوا أثره و يسير سيرته في عدوّه و وليّه، فباشر من حقائق الصبر ما لم يباشره أحد فصبر على مرّ الحقّ و محنة الفقر صبرا استلان [له] ما صعب على المترفين، و أنس بما استوحش منه الجاهلون «٣» و صحب الدنيا بعفاف

(٥) إن أراد المصنّف من حرب الردّة حرب مسيلمة الكذاب و السجاح و الأسود العنسي و أتباعهم فصحيح، و إن أراد معنى أعمّ من ذلك بحيث يشمل وقعة قتل مالك بن نويرة فمحكمات التاريخ تكذّبه ..

(١) كذا في الأصل، و لعلّ الصواب: «من خاصرته».

(٢) هذا هو الصواب، و في أصلي: «و لم يفتن ...».

(٣) هذا هو الصواب، و في الأصل: «و أنس بحيث ما استوحش منه الجاهلون».

و كلام المصنّف هذا مقتبس من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته إلى كميل بن زياد المعروفة بين الخاصّ و العام.

و من قوله: «و خطّة فصل» - الآتى بعد ثلاث فقرات - إلى قوله: «عطائك المعلول». أيضا مقتبس مما رواه المصنّف عن أمير المؤمنين عليه السلام المتقدم في ص ٢٥٨.

و قد رواه أيضا السيد الرضى في المختار: (٧٠ و ١٠٦) من نهج البلاغة ..

صادق، و عدل ظاهر، و نزاهة نفس و خطّة فصل و منطق عدل، ففتح الله به ما أغلق، و أعلن به ما كتم، و دمع به الباطل في غير نكل في قدم و لا واه في عزم.

اللَّهُمَّ فَأَكْرَمَ لَدَيْكَ مِثْوَاهَ وَ نَزَلَهُ وَ تَمَّمَ لَهُ نُورَهُ وَ اجْزَاهُ كَمَا حَمَلَّ، فَاضْطَلَعَ بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ، حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ.

اللَّهُمَّ فَاجْزِهِ مِنْ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ مَرْضَى الْمَقَالَةِ، شَرِيفَ الْمَنْزِلَةِ، مِنْ فَوْزِ ثَوَابِكَ الْمَحْلُولِ، وَ جَزِيلِ عَطَائِلِ الْمَعْلُولِ.

ص: ٢٩٨

[أَجُوبَةُ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَسْتَلَةِ ابْنِ الْكَوَّاءِ عَنْ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَ عَنْ أَجَلَةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَمَ.

وَ فِي ذِيلِ الْكَلَامِ بَيَانُ مَنْزِلَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ قَوْلُهُ حَوْلَ اخْتِلَافِ الْأَحَادِيثِ الْمَرْوِيَّةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَ أَنَّ الْمَعْتَمِدَ مِنْهَا هُوَ مَا اقْتَبَسَهُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَمَ وَ أَمَّا غَيْرُهُ فَلَا بَدَّ مِنَ التَّثَبُّتِ فِيهِ] وَ ذَكَرُوا أَنَّ ابْنَ الْكَوَّاءِ لَمَّا سَمِعَ عَلِيًّا يَقُولُ: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، سَلُونِي فَإِنَّ الْعِلْمَ يَقْبِضُ قَبْضًا، سَلُونِي فَإِنَّ بَيْنَ الْجَوَانِحِ [مَنْى] عِلْمًا جَمًّا.

فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكَوَّاءِ فَقَالَ: [أَنَا] أَسْأَلُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: سَلْ تَفَقَّهًا وَ لَا تَسَلْ تَعَنَّتًا، وَ سَلْ عَمَّا يَعْنِيكَ وَ دَعْ مَا لَا يَعْنِيكَ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: مَا «الذَّارِيَّاتُ ذَرَوَا»؟ «١» قَالَ: تِلْكَ الرِّيحُ. قَالَ: فَمَا «الْحَامِلَاتُ وَقَرَا»؟ «٢» قَالَ: تِلْكَ السَّحَابُ. قَالَ:

فَمَا «الْجَارِيَّاتُ يَسِرَا»؟ «٣» قَالَ: تِلْكَ السَّفِينُ. قَالَ: فَمَا «الْمَقْسَمَاتُ أَمْرًا»؟ «٤» قَالَ:

تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ.

(١- ٢- ٣- ٤) الْآيَاتُ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ «وَالذَّارِيَّاتُ»: ٥١، وَ مَا فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ أَخِيرًا أَى قَوْلِهِ: «فَالْمَقْسَمَاتُ أَمْرًا» هُوَ الصَّوَابُ، وَ مِثْلُهَا فِي رَوَايَةِ أَبِي الْفَرَجِ - دُونَ مَا فِي رَوَايَةِ ابْنِ عَسَاكِرَ فِي تَرْجُمَةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ كَمَا نَبَّهْنَا عَلَى ذَلِكَ فِي تَعْلِيقِ الْمُخْتَارِ: (٣٤١) مِنْ نَهْجِ السَّعَادَةِ: ج ٢ ص ٤٢٨.

ص: ٢٩٩

قَالَ: فَحَدَّثَنِي عَنْ [قَوْلِ اللَّهِ: وَ] «الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ» [٤- ٥ / الطور: ٥٢]. قَالَ: ذَلِكَ الضَّرَاحُ بَيْتٌ فِي السَّمَاءِ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ.

قَالَ: فَحَدَّثَنِي عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ! أَتَى أَمَ مَلِكٍ؟! قَالَ: لَيْسَ وَاحِدًا مِنْهُمَا وَ لَكِنْ كَانَ عَبْدًا نَصَحَ اللَّهُ فَنَصَحَ اللَّهُ لَهُ، وَ أَحَبَّ اللَّهُ فَأَحَبَّهُ.

قَالَ: فَأَخْبَرَنِي فِيمَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَ أَلْحَقُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ» [٢٨ / إبراهيم: ١٤] قَالَ: هُمُ الْأَفْجَرَانِ مِنْ قَرِيشٍ:

بنو أمية و بنو المغيرة «١»، فأما بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر، و أما بنو أمية فمتعوا إلى حين.

قال: فحدثني عن قوله: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» [١٠٣ / الكهف: ١٨]. قال:

هم أهل حروراء.

قال: يا أمير المؤمنين فحدثني عن هذه المجرة ما هي؟ قال: هذه أسراج السماء و منها هبط من السماء / ٨٨ / الماء المنهمر «٢».

قال: يا أمير المؤمنين فحدثني عن قوس قزح؟ قال: لا تقل قوس قزح و لكنها قوس الله و أمان من الغرق.

قال: فحدثني عن هذا المحق الذي «٣» في القمر ما هو؟ قال: قال الله: «فَمَحَوْنَا

(١) انظر كتاب فضائل الخامسة: ج ٣ ص ٣٠٦ ط ٢.

(٢) كذا في أصلي، و في المختار: (٣٤٢) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٦٣٢: «قال: فما المجرة؟ قال: شرج السماء، و منها فتحت أبواب السماء بماء منهمر زمن الغرق على قوم نوح».

أقول: و ذيل الكلام إشارة إلى قوله تعالى في الآية: (١١) من سورة القمر: (٥٤): «ففتحننا أبواب السماء بماء منهمر».

(٣) لفظة: «المحق» رسم خطها غير واضح في أصلي.

ص: ٣٠٠

آيَةُ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً» [١٢ / الإسراء: ١٧] كان ضوء القمر مثل ضوء الشمس فمحا الله.

قال: فحدثني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. قال: سل عمن أحببت. قال: عبد الله بن مسعود؟ قال: قرأ القرآن و قام عنده.

قال: فحدثني عن أبي ذر الغفاري. قال: عالم شحيح على علمه.

قال: فعن حذيفة بن اليمان [حدثني؟] قال: عرف المنافقين و سأل عن المعضلات و لو سألتموه وجدتموه بها خبيرا.

قال: فحدثني عن سلمان الفارسي؟ قال: علم علم الأول و العلم الآخر و هو بحر لا ينزح، و يحك و من لك بلقمان الحكيم و هو من أهل البيت.

قال: فحدثني عن عمّار بن ياسر قال: خالط الإيمان شعره و بشره و لحمه و دمه و عصبه و عظامه و هو محرّم على النار، كيف زال الحقّ زال معه عمّار.

قال: فحدثني عن نفسك قال: قال الله: «فلا تزكّوا أنفسكم»! قال: و قد قال: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» [١١/ الضحى] قال: و يحك! كنت أوّل داخل على [النبيّ] و آخر خارج [من عنده] و كنت إذا سألت أعطيت و إذا سكتّ ابتديت، و كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه و سلم فى كل يوم دخلة و فى كل ليلة [دخلة] و ربما كان ذلك فى بيتى يأتينى رسول الله عليه الصلاة و السلام أكثر من ذلك فى منزلى فإذا دخلت عليه فى بعض منازلہ أخلا بى و أقام نساءه فلم يبق [عنده] غيرى، و إذا أتانى لم يقم فاطمة و لا أحدا من ولدى، فإذا سألتہ أجابنى، و إذا سكتّ عنه و نفدت مسألتى ابتدأتى.

فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم آية من القرآن إلّا أقرأنيها و أملاها علىّ و كتبتها بخطى فدعا الله أن يفهمنى و يعطينى، فما نزلت آية من كتاب الله إلّا حفظتها

ص: ٣٠١

و علّمنى تأويلها.

و ما تركت شيئا من حلال و لا حرام إلّا و قد حفظته و علّمنى تأويله، لم أنس منه حرفا واحدا منذ وضع يده صلى الله عليه و سلم على صدرى فدعا الله أن يملأ قلبى فهما و علما و حكما و نورا «١».

و فى تحقيق ذلك: ما تأثرونه من روايتكم عن النبيّ صلى الله عليه و سلم أنّه قال لعلىّ: إنّ الله أمرنى أن أدنّيك و لا أقصيك، و أن أعلمك و لا أجفوك؛ فحقيق علىّ أن أعلمك و حقيق عليك أن تعي «٢».

و ذكروا أنّ سائلا سأله عن أحاديث البدع و عمّا فى أيدي الناس من اختلاف الخبر فأقبل على السائل فقال له: قد سألت فافهم الجواب «٣»:

(١) هذا هو الصواب الموافق لما ذكره الآن فى المصادر التالية، و رسم الخط فى أصلى: «و كلما».

و ليعلم أنّ الأسئلة ابن الكواء هذه مصادر و أسانيد و صور عديدة من حيث الإجمال و التفصيل و اشتمالها على الخصوصيات..

و ما ذكره المصنف هاهنا من أتمّ صورها.

و قد ذكرنا صورا منها فى المختار: (٣٤٠) من القسم الأول من باب الخطب من نهج السعادة: ج ٢ ص ٢٤٦، و فى المختار: (١١١) من القسم الثانى من باب الخطب: ج ٣ ص ٤١٩ ط ١.

و لكن التفصيل المذكور فى هذا الذيل هاهنا غير وارد فيما أدرجناه فى نهج السعادة من الصور المشار إليها.

نعم هذا التفصيل ذكره في كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ٩١ و في الحديث الأوّل من باب اختلاف الحديث - و هو الباب: (٢٠) من كتاب فضل العلم من الكافي: ج ١، ص ٦٢، و ذكره أيضا الشيخ الصدوق في الحديث: (١٣١) من باب الأربعة من كتاب الخصال ص ٢٥٥. و في باب الحديثين المختلفين من اعتقاداته، و ذكره أيضا النعماني في الباب الرابع من كتاب الغيبة و غيرهم في غيرها، و لكن في كل هذه المصادر جعلوا هذا الذيل جزءا للحديث الأخير الآتي من هذا الكتاب.

(٢) و لهذا الحديث مصادر كثيرة و أسانيد جمّة جدا تجد أكثرها في الحديث: (١٠٠٧) و ما يليه و تعليقاتها في تفسير قوله تعالى في الآية: (١٢) من سورة الحاقة في كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٢٧١ - ٢٨٥.

(٣) كذا في كثير من المصادر، و في أصلي هاهنا: «فافهم الجواب الجواب ...».

ص: ٣٠٢

إنّ في أيدي الناس حقّا و باطلا و صدقا و كذبا و ناسخا و منسوخا و عامّا و خاصّا و محكما و متشابها و حفظا و وهما، و قد كذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم على عهده حتى قام خطيبا فقال:

من كذب علىّ متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار.

و إنّما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان متصنّع بالإسلام لا يتأثم و لا يتحرّج «١» يكذب على رسول الله متعمّدا؛ فلو علم الناس أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه و لم يصدقوه؛ و لكنّهم قالوا: هذا صاحب رسول الله / ٨٩ / صلى الله عليه و سلم و رآه و سمع منه. فيأخذون عنه «٢» و قد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك و وصفهم بما وصفهم به، ثمّ بقوا بعد النبيّ صلى الله عليه و سلم فتقرّبوا إلى أئمّة الضلالة و الدّعاة إلى النار بالزور و الكذب و البهتان فولّوهم الأعمال و حملوهم على رقاب الناس و أكلوا بهم الدنيا «٣» و إنّما الناس مع الملوك و الدّنيا إلّا من عصم الله.

فهذا أحد الأربعة.

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما في المختار: (٢٠٧) من نهج البلاغة، و في أصلي: «و لا يتأثم و لا يتحرّج».

و لا يتأثم: لا يبالي بارتكاب الإثم و الوقوع فيه. و لا يتحرّج: لا يرى ارتكاب أي جريمة حرجا عليه أي حراما عليه.

(٢) هذا هو الظاهر الموافق للسياق و لما رويناه عن مصدر آخر في المختار: (٣٣١) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٦١٠، و في أصلي و مثله في نهج البلاغة: «فيأخذون عنه ...».

(٣) و هاهنا أحد أسس السعادة و الشقاوة، و مبني من مباني الرشد و الغيّ و لا ينبغي الذهول و الخروج منه، و مفارقه بلا تدبّر و تعمّق.

و راجع أيضا بتعمق ما رواه ابن أبي الحديد فى شرح الكلام أى المختار: (٢٠٣) من نهج البلاغة: ج ١١، ص ٤٣.

ص: ٣٠٣

و رجل سمع من رسول الله عليه السلام شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه «١» و لم يتعمد كذبا، فهو فى يديه يعمل به و يرويه و يقول: أنا سمعته [من رسول الله صلى الله عليه و آله] فلو علم المسلمون أنه و هم [فيه] لم يقبلوه «٢» و لو علم هو أنه و هم لرفضه «٣».

و رجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئا يأمر به ثم نهى عنه و هو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به و هو لا يعلم، حفظ المنسوخ و لم يحفظ الناسخ فلو يعلم «٤» أنه منسوخ لرفضه، و لو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

و آخر رابع لم يكذب على الله و لا على رسوله - مبغض للكذب خوفا [من] الله و تعظيما لرسول الله «٥» - و لم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه و لم ينقص منه و حفظ الناسخ و المنسوخ فعمل بالناسخ و رفض المنسوخ «٦» و عرف الخاص من العام فوضع كل شيء موضعه و عرف المتشابهة بمحكمه «٧»

(١) هذا هو الظاهر فيه، و فى تاليه فى آخر هذا القسم الموافق لما فى نهج البلاغة و غيره من مصادر الكلام، و ها و هاهنا فى كلّى الموردين من أصلى: «فأوهم فيه ... و لو علم المسلمون أنه أوهم ...».

و وهم فيه - على وزن وجل و يابه -: غلط فيه و أخطأ.

(٢) ما بين المعقوفين مأخوذ من نهج البلاغة، و هو الصواب، و فى أصلى: «أنا سمعته كثيرا فلم علم المسلمون أنه أوهم [فيه] لم يقبلوه ...».

(٣) و فى نهج البلاغة: «و لو علم هو أنه كذلك لرفضه».

(٤) كذا فى أصلى، و فى نهج البلاغة: «فحفظ المنسوخ و لم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ ...».

(٥) هذا هو الظاهر الموافق لنهج البلاغة، و ما بين المعقوفين أيضا منه..

و فى أصلى: «خوفا لله و تعظيما لرسول الله و لم يوهم ...».

(٦) كذا فى أصلى، و فى نهج البلاغة: «فحفظ الناسخ فعمل به و حفظ المنسوخ فجنب عنه ...».

(٧) أى عرف المتشابهات من كلام رسول الله بمحكماته. و المتشابه من الكلام: يحتمل على وجوه كثيرة و لا ظهور له فى أحدها. و المحكم: المتقن الذى يكون معناه واضحا.

و فى نهج البلاغة: «و عرف الخاص و العام، و عرف المتشابهة و محكمه ...»

و قد كان يكون من رسول الله الكلام له وجهان:

فكلام خاصّ و كلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به و لا ما عنى به رسوله فيحمله السامع و يوجّهه على غير معرفة بمعناه و ما قصد به و ما خرج من أجله.

و ليس كل أصحاب رسول الله [من] كان يسأله و يستفهمه حتى [أن] كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي أو الطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا «١».

و كان لا يمرّ بى من ذلك شيء إلّا سألت عنه و حفظته.

فهذه وجوه ما عليه الناس فى اختلافهم و عللهم فى رواياتهم «٢».

انتهى كلامه عليه السلام «٣».

(١) ما بين المعقوفات مأخوذ من نهج البلاغة، و فيه أيضا: «أن يجيء الأعرابي و الطارئ ...».

(٢) هذا هو الظاهر الموافق لنهج البلاغة، و فى أصلى: «ما على الناس فى اختلافهم ...».

(٣) قال الشيخ محمد باقر المحمودى: هذا آخر ما وجدته من كتاب المعيار و الموازنة. و قد فرغت من كتابة هذه الدرة اليتيمة و الجوهرة الثمينة، و مقابلتها مع الأصل المخطوط بمعونة ابنى الشيخ محمد كاظم المحمودى.

و كان بدء إقدامى على استنساخ الكتاب فى أواسط شهر شوال المكرّم من سنة (١٣٩٩) الهجرية، و أنهيت كتابته و مقابلته مع الأصل المأخوذ منه فى طول أيام و ليالى آخرها يوم الجمعة الثامن عشر من شهر ذى القعدة الحرام من العام (١٣٩٩).

و أمّا الأصل فكان بخط نسخ جميل مشتملا على أغلاط إملائية كثيرة، مع بلاغات فى حواشيه، و كان فى ختامه توقيعات من بعض أكابر اليمنيين ممّن فاز بمطالعة الكتاب.

و قد منّ الله تعالى علينا بالتصدّى لنشره فى أوائل شهر جمادى الثانية من العام (١٤٠٠) الهجرى، و أنهيناه و فرغنا منه فى شهر شوال المكرّم من العام المذكور..

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

٦ مقدمة المؤلف و سبب تأليفه الكتاب.

١٧ فى أن علة انحراف الناس عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كانت من أجل الأحقاد الجاهلية و الضغائن الطائفية.

٢٠ أرجحية القول بتفضيل على عليه السلام استنادا إلى روايات أكابر الصحابة على القول بمفضوليته تقليدا لابن عمر. ثم إبطال المصنّف ما تمسّك به المنحرفون على مفضولية علىّ من تكلم عدد قليل من ضعفاء الصحابة فيه، بمردودية قول هؤلاء بتقريظ جمّ غفير من عظماء الصحابة إياه.

ثم معارضتهم و نقض مزعمتهم بأن من تكلم من عظماء الصحابة فى عثمان كان أكثر ممن تكلم فى علىّ من أصاغر الصحابة، فما بال المنحرفين لم يتأثروا بكلام أشرف الصحابة فى عثمان، و تأثروا بكلام أنذالهم فى علىّ؟! ..

٢٥ المقايضة بين ما صنعة الإمام أمير المؤمنين من الصفح و الرجاحة و بين ما أتى به غيره من الخفة و الشراسة.

٢٥ ما جرى بين أمير المؤمنين عليه السلام و مخالفه بعد ما بايعه الناس.

٢٧ ما خطته أم المؤمنين عائشة و نقضته أم المؤمنين أم سلمة.

٣٠ كتاب أم المؤمنين أم سلمة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و إعلامها إياه بمسير طلحة و الزبير و عائشة إلى البصرة، ثم إرسالها ابنها عمر بن أبى سلمة إلى معاودة علىّ و توصيتها إياه بملازمته إياه و عدم تخلفه عنه.

ص: ٣٠٦

٣١ ذكر أصناف المخالفين و المعادين للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٣٨ بدء بيعة أبى بكر و بيانه عن نفسيّته.

٤٤ نظر المؤلف فى طريقة انعقاد الإمامة، و وصفه و بيانه بيعة الناس لأمر المؤمنين عليه السلام و أنها كانت أقوى بيعة أركاننا و أعظمها حجة ..

٤٧ فى أن عقد بيعة أبى بكر كان من عمر، ثم عقدها أبو بكر لعمر بعده!! ٤٩ إسراع الناس بعد قتل عثمان إلى الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السلام و ازدحامهم و تداكهم عليه و تقريظهم إياه بتعيينه للزعامة، و الإمامة، و طلبهم منه أن يبسط يده لليباعوه، و إباؤه عن ذلك، ثم إلحاح الناس عليه، ثم إتمامه الحجّة على طلحة و الزبير، ثم شرطه على الناس أن يبايعوه فى مسجد رسول الله، ثم خطبته ثم مبايعة الناس إياه فى المسجد.

٥٣ خطبة أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام لما بلغه مسير طلحة و الزبير و عائشة إلى البصرة و بيانه نفسيّتهم و ما يثول إليه أمرهم و قصة نباح كلاب الحوآب على عائشة و ما قالت و ما قالوا و دبروا لها.

٥٧ استقبال الصحابى الكبير عمران بن حصين الخزاعى و أبى الأسود الدئلى بقرب البصرة أم المؤمنين عائشة و نصيحتهما و وعظهما لها.

٦٠ كتاب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الصحابي الأنصاري واليه على البصرة لما تحقّق عنده مسير طلحة و الزبير و عائشة إلى البصرة، و أمره له بالتى هى أحسن. و بعض مكارم أخلاقه عليه السلام مع أصحاب الجمل.

٦٣ البيان التفصيلى لأفضلية الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام على جميع البشر

ص: ٣٠٧

بعد الأنبياء و الرسل لاحتوائه على أصول المكارم و أساس المحاسن مما اجتمع فيه و تفرق فى غيره، و استغنائه عن غيره و احتياجه غيره إليه.

٦٦ بيان أفضلية الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام علىّ بن أبي طالب عليه السلام من جهة سبقه إلى الإسلام و اعتناقه به حينما كان غيره يعبد الأصنام.

٧٩ بعض ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من ينابيع الحكم.

٨٧ تقسيم مخالفى أمير المؤمنين عليه السلام على طبقات ثلاث خاسرة هالكة ٨٨ أفضلية على خاصة و بنى هاشم عامة على سائر المؤمنين بما ابتلوا و تحملوا من الضنك الشديد فى أيام حصر قريش النبى و بنى هاشم فى شعب أبى طالب.

٨٩ أفضلية الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام على كافة المؤمنين فى منازل الجهاد و ميادين بذل النفس و التفادى فى سبيل الله. و الإشارة إلى بعض نكاياته فى المشركين فى غزوتى بدر و أحد.

٩٥ بيان أشعات من أنوار الآراء العلوية، و إيراد قبسات من الأقوال و التدابير المرتضوية الشامخة.

١٠٢ ذكر قبسات من حججه البالغة و كتبه المنيرة و سيرته الميمونة و رأيه الصائب و تدييره الباهر.

١٠٥ خطبته عليه السلام لما تخلف عن بيعته سعد بن أبى وقاص و ابن عمر، و محمد بن مسلمة، ثمّ دعوته إياهم و عتابه لهم بمرأى و مسمع من المهاجرين و الأنصار و احتجاجه عليهم.

١٠٧ كلام عمّار بن ياسر رفع الله مقامه مع ابن عمر و ابن مسلمة ثمّ كلام أمير

ص: ٣٠٨

المؤمنين عليه السلام فى المتخلفين عنه.

١٠٩ خطبته عليه السلام لما أخبره أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بأنّ طلحة و الزبير التقيّا بمن كان بالمدينة من بنى أمية فأجمع رأيهم على نقض بيعته.

١١٥ بعث أمير المؤمنين عمار بن ياسر و الإمام الحسن إلى الكوفة لاستنفار أهلها إليه، ثم خطبة عمار رفع الله مقامه في أهل الكوفة و احتجاجه على أبي موسى الأشعري.

١١٧ خطبة أخرى لعمار بن ياسر رفع الله مقامه في أهل الكوفة و حثه إياهم على اللحاق بأمير المؤمنين.

١٢٠ خطبة زيد بن صوحان رفع الله مقامه في أهل الكوفة و تقرّضه عليا عليه السلام ثمّ تحرّضه أهل الكوفة على اللحق بأمير المؤمنين.

١٢١ كلام حجر بن عدى رفع الله مقامه في تقرّض الإمام الحسن عليه السلام، ثمّ حثّ الناس على المسير إلى مؤازرة أمير المؤمنين عليه السلام.

١٢٢ كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أصحاب الخراج.

١٢٤ كتابه عليه السلام إلى عماله لما عزم المسير إلى الفتنة الباغية و جنوده إخوة الناكثين و المارقين.

١٢٥ مشاورة أمير المؤمنين عليه السلام أهل الكوفة في المسير إلى الشام، ثمّ حثّ إياهم على قتال أهل الشام لما وافاه أصحابه و من كتب إليهم بالقدوم عليه من عماله. ثمّ كلام جمع من رؤساء أصحابه و قواد جنوده. ثمّ تقديمه عبد الله بن بديل أمامه، ثمّ خطبته، ثمّ نهوضه بجنده إلى الشام.

ص: ٣٠٩

١٣٤ نزول أمير المؤمنين عليه السلام في مسيرة إلى الشام. إلى جانب دير «الرقّة» و نزول صاحب الدير إليه و عرضه عليه كتابا كتبه بعض أصحاب عيسى بن مريم في البشارة ببعث النبي العربي و مرور وصيّيه على هذا الدير، ثمّ توصيته بالإيمان به و مصاحبة وصيّيه ١٣٦ كلام الصحابي الكبير عمار بن ياسر و كشفه ما في ضميره من إخلاصه و تقربه إلى الله تعالى بالتفادي في سبيله في محاربة الفتنة الباغية.

١٣٧ تحذير أمير المؤمنين أصحابه عن اعتياد السب و اللعن و كراهيته لهم أن يكونوا سبّابين لعانين. و كتابه عليه السلام إلى معاوية.

١٣٩ خطبة ابن عباس في أهل البصرة و حثّ إياهم على حرب معاوية لمّا بلغه كتاب أمير المؤمنين يأمره فيه بالقدوم إليه في جند البصرة للذهاب إلى الشام.

١٤٠ وصية أمير المؤمنين لزياد بن النضر لمّا أمره على مقدّمة جيشه و قدّمه أمامه.

١٤١ كتاب أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر و شريح بن هانئ قائد مقدّمة جيشه لمّا بلغه اختلافهما.

١٤٤ خطبة ابن عباس بصفين لمّا التقوا بمعاوية و جند الشام ثمّ المحاربة على الماء و استيلاء العراقيين على الماء ثمّ سماح أمير المؤمنين للشاميين أن يستقوا من الماء كالعراقيين ثمّ محاورة أمير المؤمنين مع حوشب ذي ظلم.

١٤٩ خطبة أمير المؤمنين و لومه أصحابه فى بعض أيام صفين لما انهزموا من جند الشام أولا ثم كروا عليهم فهزموهم آخرًا. ثم خروج الزبرقان إلى ساحة القتال و طلبه البراز من أهل العراق و براز الإمام الحسن إليه و ما جرى بينهما.

١٥٢ كلامه عليه السلام لما مرّ على جمع من أهل الشام و هم يشتمونه.

ص: ٣١٠

١٥٤ ذكر لمعات من أنوار ما بثته حوارى أمير المؤمنين و إيراد بعض ما كان عليه مخالفوهم من زبانية معاوية.

١٥٨ شأنه و سيرته عليه السلام فى حروبه و وصاياه لأصحابه عند مصارعتهم مع أعدائهم.

١٥٩ كلام عقبة المرادى فى هوان الدنيا و غلاء الدار الآخرة ثم حثّه على قتال معاوية ثم خروجه مع اخوته إلى القتال و استشهداهم رضى الله عنهم.

١٦٢ خدعة عمرو بن العاص و معاوية صبيحة ليلة الهدير برفع المصاحف على الرماح و نداء الشاميين: يا أهل العراق بيننا و بينكم كتاب الله. و انخداع العراقيين به و تحذير أمير المؤمنين إياهم عن الركون إلى هتافهم و بيانه لهم بأن هذا مكر منهم. و إصرار النوكى من القراء على خلافه!!!! ١٦٧ كلمات بعض القوادم الرؤساء من أهل العراق لما رفع الفتنة الباغية القرآن على الرماح فانخدع العراقيون.

١٧٩ كتاب عقيل إلى أخيه الإمام على بن أبى طالب عليهم السلام و جوابه ثم يجىء سليمان بن صرد الخزاعى إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعد انخداع جمهور جند العراق برفع الشاميين المصاحف على الرماح، و شكايته من تغيير الناس عمّا كانوا عليه.

١٨٢ رجوع أمير المؤمنين عليه السلام من صفين إلى الكوفة و كلامه مع عبد الله بن وديعة و استفساره منه عن قول الناس فيما جرى بينه و بين معاوية.

و بعده كلم من أمير المؤمنين دارت بينه و بين مخالفيه صبيحة ليلة الهرير

ص: ٣١١

بصفين، ثم كلام الأحنف مع أبى موسى الأشعرى ثم اجتماع أبى موسى مع عمر و بن العاص و انخداعه بمكيدته.

١٩٢ كلام أمير المؤمنين مع صالح بن سليم و حارث بن شرحبيل عند ما رجع من صفين و أشرف على الكوفة.

١٩٤ مفارقة النوكى و الضلال من الخوارج قطب دائرة الحق على بن أبى طالب عليه السلام و اعلانهم بالمشاقة و تكفيرهم أصحابه و ارسال أمير المؤمنين ابن عباس إليهم و احتجاجه معهم.

١٩٨ دخول أمير المؤمنين عليه السلام معسكر الخوارج ثم قيامه فيهم بالخطبة و الاحتجاج ٢٠٣ استنتاج المصنف مما ساقه من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ثم تعقيبه بأن محنة أمير المؤمنين كانت من أكبر المحن لا مثيل لها كما كان هو من أعظم المؤمنين لا نظير له، ثم تنديده بالمعتزلة و المرجئة و المقلدة من المحدثين.

٢٠٦ تفنيد المصنف حديث: «هما سيدا كهول أهل الجنة».

٢٠٨ بيان إجمالي في اختيار رسول الله صلى الله عليه و سلم علياً أخاً له لما آخى بين المهاجرين و الأنصار و قرن كلّ شئ بطبقه ٢١٠ حديث الغدير أو لمعة من خطبة رسول الله صلى الله عليه و سلم ب «غدير خم» و نصبه علياً خليفة له و إماماً للناس ٢١٩ حديث المنزلة المتواتر بين المسلمين.

٢٣٢ إبطال بعض ما اختلقه شيعة بنى أمية في شأن الشيخين ثم تعقيبه بذكر لمع من

ص: ٣١٢

فضائل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. من حديث الطير، و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: من آذى علياً فقد آذاني. و قوله: من فارق علياً فقد فارقتي.

٢٢٦ في أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فاق العالمين زهداً و صبراً ٢٢٩ ذكر أعمدة من شوامخ العلوّ و العظمة العلوية.

٢٣٢ ذكر صفحة من صفحات صبره و تحمله عن حاسديه و معانديه.

٢٣٤ ذكر نبذة من عوالم عفوه و غفرانه عمن أساء إليه و ظلمه.

٢٣٥ ذكر أشعة من أنوار إفضاله على المعدمين و إثارة إيّاهم على نفسه و أهل بيته.

٢٤٠ ثواب من شواهد زهده و تواضعه و لطفه بالمسلمين، و كلامه عليه السلام في نعت الكملين من الشيعة و اصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و مآلته ما بقى من ثيابه بعد وفاته ٢٤٣ عيادته عليه السلام الربيع - أو العلاء - بن زياد الحارثي بالبصرة و كلامه معه و مع أخيه عاصم بن زياد.

٢٤٥ وصيته عليه السلام عند إشرافه على الخلاص من دار العناء و لحوقه بالملا الأعلى.

٢٤٨ لمعات من عدله عليه السلام في أهله و رعيته و قبسات من أقواله و أعماله في جذب النفوس إلى الله تعالى منها كلامه مع الرجل الذي أراد أن يبعثه على أخذ الخراج من أهل عكبرا.

٢٥٠ أزهار من بساتين أعماله و أقواله و أطافه و عدالته في القريب و البعيد من رعيته.

و دخول أبي صالح بيت الإمام و إحضار أهله الطعام له و قول أبي صالح لهم:

أَ تَطْعَمُونِي هَذَا الطَّعَامَ وَأَنْتُمْ الْأُمَرَاءُ؟! وَ كَلَامُ الْمُصَنِّفِ وَ اسْتِنْتَاغُهُ فِي ذِيلِ الْبَحْثِ.

ص: ٣١٣

٢٥٤ بيان أفضلية الإمام على بن أبي طالب عليه السلام على جميع البشر - بعد الأنبياء و الرسل - من حيث العلم و تقدمه فيه على جميع العالمين، و بيان نموذج من كلمه عليه السلام منها خطبته الموسومة بالزهراء.

٢٥٩ كلامه عليه السلام في جواب يهودى سأله: متى كان ربنا؟

٢٦٠ كلامه عليه السلام في نعت الاسلام و قواعده و أركانه.

٢٦٣ كلامه عليه السلام في تقريرى الزهاد و الترغيب في اقتفاء آثارهم ٢٦٤ كلامه عليه السلام في التحذير عن الدنيا و عدم الاغترار بإقبالها و الحسرة عن إدارها.

٢٦٨ كلامه عليه السلام في نعت الدنيا عند ما سمع قول من يذمها.

٢٧٠ من كلامه له عليه السلام كان ينادى به في كل ليلة بصوت رفيع.

٢٧٢ كلامه عليه السلام في كيفية الصلوات على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

٢٧٤ كلامه عليه السلام في تأكد وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و عدم جواز المدارات مع الفساد و الطغاة.

٢٨٠ كلامه عليه السلام في نعت الإمام العادل و بيان ما يخصه من الوظائف، و انه حجة على الرعية، و أن لها الحجة عليه إذا مال عن محجة العدالة.

٢٨٩ كلامه عليه السلام في ذم الحشوية و قدح المتنسكين من الجهال المواظبين على بعض العبادات المستهينين بشأن الربانيين من العلماء.

٢٩١ كلامه عليه السلام في شرح بداية الفتن و اساس الانحراف عن الحق و الحقيقة.

٢٩٢ كلامه عليه السلام في تقسيم الناس إلى المحق و المبطل و أن أكثر الناس في

ص: ٣١٤

أكثر الأوقات هم المبطلون، و ان الأقلية المحقة قد تغلب الأثرية المبطله.

٢٩٤ في أن عامة كلم أمير المؤمنين عليه السلام قد حلّى بها المتكلمون كتبهم و زين بها الوعاظ و القصاص مجالسهم و نسبوها الى أنفسهم!! و استنتاج المصنف في ذيل الكلام.

٢٩٨ أجوبة أمير المؤمنين عليه السلام عن أسئلة ابن الكواء حول آيات من القرآن الكريم و بعض الأجلة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣٠٠ قوله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي إن أمرني أن أدنيك و لا أقصيك، و أن أعلمك و لا أجفوك فحقيق عليّ أن أعلمك، و حقيق عليك أن تعي.

٣٠٢ كلامه عليه السلام حول سبب اختلاف الأحاديث الواردة عن رسول الله و أن المعتمد منها هو ما يرويه هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و أما ما يرويه غيره فلا بدّ من التثبت فيه و التماس قرينة على صدقه.

ص: ٣١٥

الآيات المحكمات من كتاب الله تعالى الواردة في كتاب المعيار و الموازنة، على حسب ورودها و ذكرها في أبحاث و مواضع الكتاب

١٦ قل مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ [٩٨ / البقرة: ٢].

الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ [٦٧ / الزخرف: ٤٣].

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [١٠ / الحجرات: ٤٩].

لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ [١٣ / المجادلة ٥٨] لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رُسُلَهُ الْآيَةُ ٢٢ [المجادلة: ٥٨].

٢٥ «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا [١٠ / الفتح: ٤٨].

٢٦ «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» [٣٣ / الأحزاب ٣٣] ٤٠ «فَلَا تَرْكُؤُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى» [٣٢ / النجم: ٥٣].

٤٤ «وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ» [٣٨ / الشورى: ٤٢].

٦٢ «وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» [٢٥ / الأنفال: ٨] ٦٣ «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» [٩ / الزمر: ٣٩] ٦٤ «أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ» [١٩ / الرعد: ١٣] «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» [٢٨ / فاطر: ٣٥].

«لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً

ص: ٣١٦

مِنَ الَّذِينَ اتَّفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قَاتَلُوا، وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى» [١٠/ الحديد ٥٧] «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» [٩٥/ النساء: ٤] «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [١١١/ التوبة: ٩].

«وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» [١٧٧/ البقرة: ٢] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [٢٠٠/ آل عمران: ٣].

«وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» [١٥٥- ١٥٧ سورة البقرة ٦٥ «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» [٣٥/ الأحقاف: ٤٦] «وَالْكَافِرِينَ الْغِيَظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ» [١٣٤/ آل عمران: ٣] ٩٧ «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا» [٣٣/ الإسراء: ١٧] ٩٩ «إِذْ تَصْعَدُونَ وَ لَا تَلُودُونَ عَلَى أَحَدٍ وَ الرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ» [١٥٣/ آل عمران: ٣].

«فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ» [٤٦/ التوبة: ٩].

«وَ إِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ: قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا» [٧٢/ النساء: ٤] ١١٠ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»

ص: ٣١٧

«إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» الآية: [٣١/ آل عمران: ٣] ١١١ «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» ١١٨ «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» [٦٦/ التوبة: ٩] «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ» [١٤/ التوبة] «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صَاغِرُونَ» [٢٨/ التوبة: ٩] «وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفْغَى إِلَى أَمْرِ اللَّهِ [فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَ أَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ]» ١٢ الحجرات ٤٩ «وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ» [٣٩/ الأنفال: ٨] ١٢٠ «الْمَ أَسِيبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ» [١/ العنكبوت:

[٢٩] ١٢٣ «قُلْ مَا يَعْذُوبُكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ» [٧٧/ الفرقان: ٢٥] ١٣٢ «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ، وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ» [٢٦/ الدخان: ٤٤] ١٨٥ «يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى؟ قَالَ: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ» [١٠٢/ الصافات: ٣٧] «وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ، وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» [٥٤/ آل عمران: ٣] ١٨٦ «يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَ إِنْ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَ أَطِيعُوا أَمْرِي. قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ» [٩١/ طه: ٢٠] ١٩٢ «لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَ لَا عَلَى الْمَرْضَى وَ لَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ

ص: ٣١٨

إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [٩١ التوبة: ٩] ١٩٤ «فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا» [٣٥ النساء: ٤] ١٩٥ «يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ» [٩٥ المائدة: ٥٤] ١٩٦ «الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ» [٦٦ الأنفال: ٨] ٢٠٠ «قُلْ فَاتُوا بَكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» [٤٩ القصص: ٢٨] ٢٠٥ «كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» [٥/ الجمعة: ٦٢] «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا» [٣١ التوبة: ٩] «أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا» [٦٧ الأحزاب: ٦] «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» [٢٤ محمد: ٤٧] «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» [٨٣ النساء: ٤] «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» [٢٨ فاطر ٣٥] ٢٢٣ «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» [٥٤ غافر: ٤٠] «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى» [١١٣ التوبة: ٩]

ص: ٣١٩

٢٢٨ «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» [٥٥ المائدة: ٥] «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا؟ لَا يَسْتَوُونَ، أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ» [٢٠ السجدة: ٣٢] ٢٣٧ «كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ: يَا مَرْيَمُ أَنَّنِي لَكَ هَذَا؟ قَالَتْ: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» [٣٧ آل عمران: ٢٦٤] «كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا» [٤٥ الكهف: ١٨] ٢٦٦ «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [١٥ هود: ١٢] ٢٦٧ «لَعِبُّ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ، وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ» [٢٠ الحديد: ٥٧٥] «فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» [٥٨ القصص: ٢٨] ٢٦٨ «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ» [١٠٤ الأنبياء: ٢٤] ٢٧٤ «لَوْ لَا يَنْهَاهُمْ رَبَّانِيُونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ» [٦٣ المائدة]

ص: ٣٢٠

«لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» [٧٨ / ٨٩ المائدة].

٢٧٥ «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا [لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيِّينَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ] فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ» (٤٤) المائدة «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» [٧١ التوبة: ٩]